

دروس تربية من المهيرة العلمية

(حفظه الله)

السيد علي الخامنئي

عَلَّمَ



مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع



www.haydarya.com

**دروس تربية
من السيرة العلوية**



دروس تربوية من السيرة العلووية

السيد علي الخامنائي
حفظه المولى

تهذيب وإعداد

السيد علي عاشور



الناشر

مؤسسة الأئمة في العراق
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

THE ARABIC HISTORY

Publishing & Distributing

مؤسسة التاريخ العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان الجديد

بيروت - طريق المطار - خلف غولدن بلازا - هاتف ٠١/٥٤١٠٠٠ - فاكس ٠١/٤٥٥٥٥٩ - ص.ب. ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Air port street - Golden plaza - Tel: 01/540000 - 01/455559 - Fax: 850717 - p.o.box 7957/11



مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله بمحامده كلها على نعمه كلها ، الحمد لله
 على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته ، والحمد لله على طول أناته في غضبه
 وهو قادر على ما يريد .

نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوكل عليه ، ونصلي ونسلم على حبيبه ونجيبه
 وخيرته في خلقه وحافظ سرّه ومبلّغ رسالاته ، بشير رحمته ونذير نقمته ، سيدنا
 ونبيّنا وحبیب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمّد وعلى آله الأطيبين الأطهرين
 المنتجبين الهداة المهديين المعصومين سيّما بقية الله في الأرضين ، وصلّ على
 أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين .

يعتبر الإمام الخامنئي أدام الله عزّه من المحققين المجهولين فمع ضيق الوقت
 لديه نجده كثيراً ما يهتمّ بسيرة أهل البيت عليهم السلام خاصة المفاهيم المهمة
 والقضايا الحساسة التي لها أثر عملي على حياة الإنسان، سواء من الناحية الشخصية
 للفرد أم من الناحية العائلية للأسرة أم من الناحية الإجتماعية للمجتمع، حيث نجده
 عندما يتعرض لقضية ما حول الأئمة الأطهار عليهم السلام فإنه يستخرج منها الموعظة التي
 يحتاجها الإنسان في تلك الواقعة .

بل أحياناً نجده يستفيد من سيرتهم العطرة لتصويب العالم أجمع نحو الهدف
 الذي وُجد من أجله وهو عبادة الواحد الأحد .

وحاولنا من خلال هذه المحاضرات (١)، أن نبرز هذا الأسلوب المفيد عند سماحته خاصة ما يتعلق بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام التي كلها مواعظ وعبر وحكم، بل ودستور للمسلمين وغير المسلمين في كيفية جعل حياتهم ذات معنى وهدف. نشكر كل من ساهم في نشر هذا الكتاب ونخص بالذكر سماحة الشيخ علي شقير الذي أفادنا بملاحظاته القيمة حول الكتاب.

ونسأل الله تعالى أن يلهمنا الصفاء في متابعة تهذيب وإعداد هذه المفاهيم إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين ونشكره على ما أنعم علينا من فضله الدائم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين.

رأي القائد في الكتاب

لقد طرح الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله قضية الولاية بصورة رسمية في الغدير ونصّب أمير المؤمنين بصفته مصداقاً لها، ولاشك في أنّ ثمة الكثير من التفاصيل التي تعرفونها؛ فإذا كان هناك من لم يطلع عليها - ولا سيّما من الشباب - فيجدر به أن يتابعها في المؤلفات والكتب الاستدلالية والعلمية وهي كثيرة ومفيدة (٢).

(١) التي ألقاها في مناسبات مختلفة وعلى عدة سنوات (١٨ سنة) والتي كانت تطبع مترجمة على شكل بيانات خطابية في قم المقدسة من قبل دار الولاية للثقافة والإعلام طيلة هذه السنوات.
(٢) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ - مدينة مشهد المقدسة .

تمهيد

قال السيد الخامنئي: قد تحدث الخطباء والكتاب والمفكرون والشعراء والناديون والمادحون لأهل البيت (عليهم السلام)، وجميع المسلمين من الشيعة وغيرهم، وغير المسلمين قرابة ألف وأربعمائة سنة، وسيستمر الحديث عنه إلى أبد الدهر، إلا أنّ دائرة الكلام حول هذه الشخصية العظيمة من الاتساع بدرجة إذ لو دخلنا من أية زاوية لوجدنا أشياء غير مذكورة.

لقد فكرت في ما يتعيّن علينا ذكره فيما إذا أردنا أن نتحدث بشأن هذا الرجل الفذ.

ولا أقصد الجوهر الملكوتي لذلك الإنسان الربّاني الذي لا يمكن بلوغه، والذي لا يسع لأمثالي نيّله، وإنّما أقصد ذلك الجانب من وجوده وهويته وشخصيته التي يمكن للإنسان ملاحظتها والتدبّر فيها والتأّسي بها أحياناً. فوجدت كتاباً واحدة لا يكفي، فهذه الشخصية ذات أبعاد واسعة جداً: (هو البحر من أي النواحي أتيته). فليس بالإمكان إحاطة المخاطب بجميع حقائقه ويقال له: هذا هو أمير المؤمنين عليه السلام. نعم بالإمكان الدخول من أبعاد مختلفة وبيان شيءٍ حول هذا الشخص العظيم بمقدار ما تسعّه هممتنا وفهمنا وبصيرتنا ^(١).

فالإيمان، والإخلاص، والتضحية، والإيثار، والتقوى، والجهاد، والسبق للإسلام، والانصراف عن كلّ ما هو لغير الله، والعزوف عن الزخارف المادية، وتحقير الدنيا،

(١) من كلمة ألقاها في ١٩ رمضان ١٤١٦ هـ

والعلم، والمعرفة، والقمة في الإنسانية بجميع أبعادها، كانت جميعها من القيم الكريمة التي كان يتحلّى بها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (١).

مدح أمير المؤمنين عليه السلام

في الإرشاد : كنا عند الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام)، فجرى ذكر أمير المؤمنين ومدحه (الإمام الصادق عليه السلام) بما هو أهله.

لقد نظرت في الرواية، فوجدت أن كل فقرة في هذه الرواية تشير إلى بُعد من أبعاد شخصية أمير المؤمنين، كزهده، وعبادته، والأبعاد الأخرى التي سأذكرها. فيمدح الإمام الصادق عليه السلام - طبقاً للرواية - أمير المؤمنين هكذا:

«والله ما أكل علي بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا حراماً قط حتى مضى إلى سبيله (٢). أي أنه كان يتجنب أكل الحرام، ويتجنب المال الحرام، ويتجنب المنال الحرام. والمراد طبعاً هو الحرام الحقيقي وليس الحرام المنجز حكمه بالنسبة له؛ أي أنه كان يبتعد حتى عما كان فيه شبهة. وقد وضعوا أمامنا هذه الأمور كتعاليم ومثالاً عملياً، والأهم من ذلك كمثال فكري.

وأقرّ الإمام الصادق والإمام الباقر والإمام السجّاد عليهم السلام بأنهم لا يستطيعون العيش بالشكل الذي عاشه الإمام علي، فما بالك إذا وصل الدور لأناس من أمثالي.

القضية لا تتعلق بكيفية الحياة التي نريد أن نعيشها أنا أو أنت؛ فتلك الحياة هي قمة الحياة والإمام يشير إلى تلك القمة، وهذا يعني أنّ الجميع يجب أن يسيروا في هذا الاتجاه. ولكن من الذي يستطيع بلوغ تلك القمة؟ الإمام السجّاد عليه السلام نفسه قال

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ / ١٢ / ١٤١٤ هـ.

(٢) وسائل الشيعة: ١ / ٩١ ح ٢١٥.

في هذا الحديث إنه لا يستطيع العيش بتلك الصورة.

«وما عرض له أمران كلاهما لله رضاً إلا أخذ بأشدهما عليه في بدنه»^(١). فإذا عرض له نوعان من الطعام كان يختار أدناهما، وإذا عرض له نوعان من الثياب كان يختار أردءهما، وإذا عرض له عملان كلاهما حلال كان يختار أصعبهما عليه.

وهذا الكلام غير صادر من متحدث عادي، وإنما المتحدث هنا - كما تشير الرواية - هو الإمام الصادق عليه السلام، أي أن كلامه في غاية الدقة. إذاً من المهم جداً التشدد على الذات في الحياة الدنيا ومتاعها ونعيمها.

«وما نزلت برسول عليه السلام نازلة قط إلا دعاه فقدمه ثقة به»^(٢). أي أن الرسول الكريم عليه السلام متى ما ألمّت به ملمة كان يستدعيه وينتدبه لها ويقدمه فيها وذلك أولاً: لعلمه بأنه قادر على أدائها على أحسن وجه.

وثانياً: إنه لم يكن يتمرد على الأعمال العسيرة والمهام الشاقة.

وثالثاً: كان على استعداد للجهد والبذل في سبيل الله. ففي ليلة المبيت مثلاً حين هاجر رسول الله سراً من مكة إلى المدينة، كان يجب أن يبيت أحد في سريره. وهناك قدّم الرسول علياً عليهما السلام.

وفي الحروب كان الرسول الأكرم عليه السلام يقدمه أيضاً.

وفي جميع القضايا الأساسية والمهمة التي كانت تعرض للرسول عليه السلام كان يقدم لها علياً ثقةً منه به.

والقضية هناك هي ليست مجرد ادّعاء يطلقه أشخاص حقيرون وضعفاء من أمثالي، ونزعم أننا نريد العيش على هذه الشاكلة، وإنما القضية هي أننا يجب أن

(١) المصدر السابق.

(٢) الوسائل: ١ / ٩١ ح ٢١٥.

نسير في هذا الإتجاه. والإنسان المسلم السائر على نهج علي، يجب أن يسير على هذا الخط، وأن يتقدّم إلى الأمام بأسرع ما يمكن.

ثم قال: «وما أطاق أحد عمل رسول الله ﷺ من هذه الأمة غيره، وإن كان لا يعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار»^(١). أي على الرغم من كل هذه الأعمال الإيمانية الكبرى كان سلوكه سلوك إنسان يعيش بين الخوف والرجاء؛ فهو كان يخشى الله وكأنه متأرجح بين الجنة والنار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه.

وخلاصة هذا الكلام هي أنه على الرغم من كثرة جهاده وبذله وعبادته إلا أنه لم يغتر بشيء من ذلك. في حين إذا صلى أحدنا ركعتي نافلة وقرأ بضعة جمل من الأدعية، وأراق دموعين، يغتر بعمله الضئيل هذا ويتفاخر ويتصور نفسه وكأنه أصبح (طاووس العليين). أما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يغتر بكثرة عمله الصالح.

أما لماذا يخاف أشخاص كالرسول وكأمير المؤمنين والسجاد عليهم السلام - وهم الذين خلق الله الجنة من أجلهم^(٢) - نار جهنم ويستعيذون بالله منها، فهو بحث آخر.

نحن أناس صغار وضعفاء وقصيروا النظر ولا ندرك عظمة الله، ومثلنا في ذلك كمثّل طفل صغير يلعب أمام شخصية علمية كبرى ويجيء ويذهب غير آبه لوجود هذه الشخصية؛ وذلك لأنه لا يعرف حقيقة هذه الشخصية. في حين تجد أن والد ذلك الطفل الذي يفوق عقله عقل طفله مائة مرّة يتواضع لتلك الشخصية.

وهكذا حالنا أمام الله تعالى؛ فنحن لا ندرك عظمته وكأننا أطفال أو كأننا أشخاص غافلون وأناس وضيعون.

(١) الوسائل: ١ / ٦٨ ح ٢١٥.

(٢) فعن رسول الله ﷺ قال: «يا علي لولا نحن ما خلق الله لا آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض» كمال الدين: ٢٥٤ باب نص الرسول على القائم.

أما الذين وصلوا من مرحلة العلم إلى مرحلة الإيمان، ومن مرحلة الإيمان إلى مرحلة الشهود، ومن مرحلة الشهود إلى مرحلة الفناء في الله، أولئك تتجلى عظمة الله تعالى أمام أبصارهم بشكل تتضاءل أمامه قيمة كل عمل صالح يعملونه، ويشعرون على الدوام وكأنهم لم يعملوا عملاً صالحاً، وأنهم مدينون لله تعالى^(١).

«ولقد اعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار مما كذب يديه ورشح منه جبينه» أي أن الأموال التي أنفقها على عتق أولئك المماليك لم يحصل عليها بالمجان، وإنما حصل عليه بتعب يديه وعرق جبينه وبالعمل الشاق؛ سواء في عهد الرسول الكريم ﷺ أم في فترة الخمسة وعشرين سنة، أم في عهد خلافته، إذ يستدل من بعض الآثار والدلائل أنه كان يعمل أيضاً في زمن خلافته؛ فكان يحفر القنوات ويحيي الأراضي ويزرعها ويحصل على المال من هذا الطريق ثم ينفقه في سبيل الله، فكان يشتري العبيد ويعتقهم، وأعتق على هذا المنوال ألف عبد.

«وإنه كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة». أي أن طعامه العادي الذي كان في داره هو الزيتون والخل والتمر من الدرجة المتوسطة أو الرديئة، وكان طعامه يشبه الخبز واللبن أو الخبز والجبن في عرف مجتمعنا في الوقت الحاضر.

«وما كان لباسه إلا الكرابيس، إذا فضل شيء عن يده من كفه دعا بالجم فقضه»^(٢). أي أنه لم يكن يرتضي لنفسه حتى الزيادة في الأكمام، وإذا زاد القماش عن ذلك دعا بمقصر فقضه لكي يستخدم ذلك القماش في خياطة شيء آخر؛ لأن القماش كان قليلاً في ذلك العصر وكان الناس يواجهون مشكلة في الحصول عليه.

(١) ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه للمتقين: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم».

(٢) مرسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ٢٠٧ / ٥.

ثم تحدث بعد ذلك عن عبادته. فقد كان عليه السلام قمة الإسلام وأسوة للمسلمين. وجاء في هذه الرواية: «ما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبيهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليهما السلام».

وذكر الإمام الصادق عليه السلام فصلاً في باب عبادة الإمام السجاد عليه السلام، وقال من جملة ما قال: «ولقد دخل أبو جعفر عليه السلام ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد» وعلامة ذلك أن وجهه قد شحب من السهر واختالت عيناه من البكاء وورمت رجلاه؛ فتألم الإمام الباقر عليه السلام لما شاهده من حال أبيه، فقال: «فلم أملك حتى رأيتك بتلك الحال، (البكاء) فبكيت رحمة له»^(١).

وكان الإمام السجاد عليه السلام متفكراً - والتفكر عبادة - فأدرك بالفراصة سبب بكاء ولده الباقر، فأراد أن يقدم له درساً، فرفع رأسه وقال: «يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب». ويبدو أن هناك كتابات ومدونات في باب قضاء أمير المؤمنين عليه السلام وحياته وأحاديثه كانت موجودة لدى الأئمة عليهم السلام، ويستشف من مجموع الروايات الأخرى أنهم كانوا يرجعون إليها ويستفيدون منها في مواقف شتى.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً». فالإمام السجاد عليه السلام يقدم هنا درساً للإمام الباقر وللإمام الصادق عليهما السلام، ويقدم درساً لي ولكم، قال: «من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

الإمام السجاد عليه السلام كان يكثر من عبادة الله إلى الحد الذي جعل الإمام الباقر يرق لحاله - وليس مثلي ومثلكم فنحن نستعظم ما هو أقل من ذلك - فالإمام الباقر عليه السلام هو نفسه إمام وله مقامات رفيعة، إلا أنه يتألم لكثرة عبادة علي بن الحسين عليهما السلام ولا

(١) الوسائل: ١ / ٦٨ ح ٢١٥.

(٢) الوسائل: ١ / ٩٢ ح ٢١٥.

يطبق الصبر على البكاء فيبكي لا إرادياً.

ومع كل هذا نجد علي بن الحسين عليه السلام مع كل عبادته يقول: «من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام» أي أنه كان يرى بوناً شاسعاً بينه وبين علي عليه السلام (١).

عليّ قدوة

هكذا عاش أمير المؤمنين عليه السلام وهذه صفاته، فتعرّف ببركة هذه الصفات العظيمة ملايين الناس على الإسلام والحقيقة.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي لُعن قرابة المائة عام فوق المنابر، وأسيء إليه في جميع العالم الإسلامي، ووضعت آلاف الأحاديث ضده أو ضد ما تفوه به، وثُتت في ميادين الفكر، وتمكن بعد مضي هذه السنوات الطوال من أن يخرج نفسه من تحت ركام هذه الأوهام والخرافات ويقف بطوله الشامخ يوجّه التاريخ.

إنّ جوهرة مثل علي عليه السلام يكتب لها البقاء دون أن يلوّثها أو يقلل من قيمتها الطين والشوك والأدران، فإنّك إذا رميت ماسة في الطين تبقى ماسة وستظهر نفسها. فلا بدّ من استحصال مثل هذا الجوهر، وعلى كل مسلم أن يجعل هذا المشعل العظيم قدوته ويتجه صوبه.

لم يدع شخص أنّ بإمكانه العمل مثل علي بن أبي طالب، ولا ينبغي جدلاً أن يقال لهذا أو ذاك: لماذا لا تصنع نفس صنيع علي عليه السلام، فقد تحدثوا مع الإمام السجاد عليه السلام حول عبادة أمير المؤمنين عليه السلام فبكى الإمام وقال: أين نحن من أمير المؤمنين. نُقل ذلك عن الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام وهو معصوم، أفهل يمكننا

(١) من كلمة ألقاها في ٢٢ رمضان ١٤٢٠هـ - طهران.

أن نكون مثل علي عليه السلام؟

لم يستطع لحد الآن أي شخص من عظماء العالم، ولم يدع ولم يتخيل ولا خطر في ذهنه مثل هذا الاشتباه في أنه سيتمكن من القيام بنفس ما كان يقوم به أمير المؤمنين عليه السلام.

المهم أن يكون نهجنا نهج أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ هذا الرجل العظيم بنفسه يقول في نهج البلاغة في كتاب له إلى عثمان بن حنيف بعد أن بيّن له وضعه وكيفية عيشه قال: «ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك». كلا فهذا مقام لا يمكن نبيله، إلاّ أنه أسوة، فليكن سعينا هو الإتجاه نحو هذه الأسوة (١).

أبعاد شخصية أمير المؤمنين عليه السلام

«نحن لا نتمكن من الخوض في الأبعاد المعنوية لأمر المؤمنين ٧، إلا أن بعض الأبعاد المادية والاجتماعية، يمكننا التحدث عنها. لاحظوا أن خليفة المسلمين وأمرهم كيف يصبح ويمسي وماذا يلبس؟! يريد أن يخطب خطبة الجمعة، فيرتقي المنبر ويحرك لباسه ليخفف، ذلك لأنه لم يكن للإمام رداءين ولباسين يرتديهما . وأما نعله فهو يخصفه بيديه، وعندما يسأل عن ثمن نعله يجيب أنه لا فرق بين النعل وبين الإمرة عليكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً^(١). أين نحن من أمير وقائد كهذا.

إن أمير المؤمنين (سلام الله عليه) مظلوم حقاً، وحتى بين الشيعة فإنه مظلوم. عندما يريدون ذكر مناقبه وفضائله، يأتون بأمر غير صحيحة بل كلها إهانة له. مثلاً يدعون أن الخاتم الذي أنفقه في صلته على المسكين، تساوي قيمته خراج (ميزانية) بلاد الشام كلها! ذلك الإنسان الزاهد بذلك اللباس المتواضع والنعل الممزق، كيف يلبس مثل هذا الخاتم الثمين؟! هذا كذب وافتراء حتى لو جاء ضمن حديث؛ فمثل هذا الحديث كذب مزخرف ولكنه ليس في الحديث أبداً..... نحن لا يمكننا أبداً أن نقلده في أفعاله وأعماله، لكن - وكما أمرنا أيضاً^(٢) - علينا أن نعينه بتقوى واجتهاد وبصبر وسداد^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٤٠ / ٣٧٨.

(٢) في نهج البلاغة: ٣ / ٧٠.

(٣) من كلام للإمام الخميني (قده).

أمير المؤمنين عليه السلام الشخصية التاريخية المحبوبة

يعتبر أمير المؤمنين عليه السلام من الوجوه الجذابة في التاريخ. وقلما يجد المرء شخصية تاريخية عشقتها البشرية وليس المسلمون وحدهم، كشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهناك الكثير من غير المسلمين الذين لا يقرون الدين الإسلامي ولا نبوة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، يحبون علياً عليه السلام ويحترمونه ويثنون عليه، ناهيك عن أن المسلمين وخاصة الشيعة يكرمونه ويعظمونه في قلوبهم وأنفسهم وعقولهم.

يوجد بيننا نحن الشيعة وعامة المسلمين أشخاص لا يعملون بأحكام الإسلام إلا أنهم ينظرون إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام بعين الإكرام والإجلال؛ وسبب ذلك يعود طبعاً إلى الخصائص والصفات الإنسانية العليا الكثيرة التي كانت متجسدة فيه عليه السلام.

فكل من سمع عن علي عليه السلام شيئاً فهو ينظر إلى تلك الخصائص بكل إكبار، باستثناء طائفة واحدة تعرف علياً ولكنها تناصبه العداوة، وتلك هي الطائفة التي تناهض المبادئ التي جاهد من أجلها هذا الإنسان العظيم وأنفق عمره من أجلها؛ فهي بطبيعة الحال تعادي جنديها الأول، أو أولئك الذين نالهم في تلك الأدوار الأولى سيفه البتار وصلابته التي تآبى التساوم مع كل ما هو سيء وقبيح، وإلا فإن المنصفين والمجبولين على فطرتهم الإنسانية مغرمون بهذه الشخصية العظيمة، وهذا ينطبق طبعاً على من سمعوا شيئاً عنه، أما الذين لم يسمعوا عنه شيئاً فهم مستثنون من هذه القاعدة.

علينا الاقتداء عملياً بأمير المؤمنين عليه السلام

إننا حينما ننظر من بعيد إلى الشخصيات بما اجتمع فيها من خصائص إيجابية،

فإننا غالباً ما نشني عليها. ولكننا عند الاقتراب منها، وعند معايشة قضايا التطبيق العملي والانقياد والولاء، نقع في المحذور. وهذا واحد من عيوب أبناء البشر، ولو أن أهل الدنيا مالوا إلى مناصرة المظلوم الذي تجسّد في شخصه الكريم، وهبوا لمناصرة الحقيقة التي تمثّلت فيه، ونهضوا لمقارعة الظلم كنهضته، واقتربوا عملياً ولو خطوة واحدة نحو تلك الخصائص، على قدر تعاطفهم مع عدل وانصاف وشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام، لأصبحت الدنيا روضة. لكننا نحن بني الإنسان - من أمثالي - الذين نشني على أمير المؤمنين إلى هذا الحد، ليس من المؤكد أننا نشني في حياتنا اليومية وفي أحكامنا العادية على أحد الأعمال التي نشني عليها في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، أو عند مشاهدة شخص بروم السير على نهج أمير المؤمنين، وإنما تضطرم عليه قلوبنا ونهّب لمواجهته، وإذا غلبتنا الشقاوة لا سمح الله، نشهر بوجهه السيف. وهذا هو موطن الخلل.

ولهذا فمن المناسب الاطلاع على التفاصيل الجزئية من خصائصه، بقدر الاطلاع على الجوانب المستخلصة من خصاله؛ كأن نطلع على كيفية عدله، وكيف كانت عدالته التي نالت كل هذا الاطراء والثناء؟ وكيف كانت سيرته في الجانب العملي؟ ثم نحاول كخطوة لاحقة التقرب منه في مجال الممارسة العملية. وهو أمر صحيح ويفضي إلى التكامل.

لابد وأنكم سمعتم ما ورد في بعض الروايات أن أشخاصاً كانوا يأتون إلى الأئمة عليهم السلام ويقولون إننا شيعة لكم - كما ورد في رواية أن بعضهم جاءوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام نفسه وقالوا له ذلك - إلا أن الأئمة عليهم السلام كما تنفد هذه الروايات - كانوا يستنكرون ذلك منهم، ويقولون لهم: وأين وجه الشبه بينكم وبين شيعتنا ومواليينا؟ فأنتم تتصفون بمثل هذه الخصائص والصفات والأعمال^(١).

(١) انظر أعلام الدين للدليمي: ١٢٣.

ويعبارة أخرى إنهم يطالبوننا بالعمل، والعمل يكون تابعاً للاعتقاد، وإن الإنسان يجب أن يكون لديه اعتقاد ما.

من الطبيعي أن الشعب الإيراني يجب أن يكون شاكرًا لله تعالى على توفّر أجواء الاقتداء بأمير المؤمنين والالتزام بالإسلام في هذا البلد؛ فالغالبية العظمى من أبناء هذا الشعب تحذوهم رغبة قلبية للتوجه صوب الحقيقة - وإن كان يوجد بينهم حالياً أشخاص لا يعملون بالفروع - بيد أنّ الأرواح والقلوب والمعتقدات تهفوا صوب الإتجاه الذي يشير إليه أصبع أمير المؤمنين عليه السلام لهداية الناس (١).

أمير المؤمنين عليه السلام أسوة كاملة للجميع

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أسوة كاملة للجميع، فشبابه المتوثّب والمتفجر بالحماس هو نموذج للشباب، وحكومته المتميزة بالعدل والقسط نموذج للحكّام، وحياته المشبعة بالجهاد والمسؤولية نموذج لجميع المؤمنين، وحرّيته نموذج لكافة أحرار العالم، وأقواله الحكّيمة ودروسه الخالدة نموذج للعلماء والمفكرين والمثقفين.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يأل جهداً على امتداد عهد حكومته في إحقاق حقوق الضعفاء والمساكين والحفّاة، فعلى الاقتداء به؛ ولكنه كان متسامحاً في حقوقه، فعلى التأسّي به أيضاً طوال حياتنا، حيث كان مظهرًا للعبادة لله والإخلاص والجهاد والسعي والحيوية والنشاط، وكان يستقبل الأتراح والأحزان والآلام بصدر رحب؛ فأدى واجبه بعناية، وهذه هي الأسوة الحسنة.

إننا نستطيع الاقتراب من آمالنا الكبرى وتحقيق مطامح بلادنا وشعبنا ونظام جمهوريتنا الإسلامية، أي العدالة الإجتماعية، في ظل الاقتراب من علي عليه السلام (٢).

(١) من كلمة ألقاها في ٢٢ رمضان ١٤٢٠هـ - طهران .

(٢) من كلمة ألقاها في ١٣ ذي الحجة ١٤٢٠هـ - طهران .

صفات وخصائص علي عليه السلام

البشرية بحاجة إلى خصال أمير المؤمنين عليه السلام

يعتبر الإمام علي عليه السلام الذي نعشقه أنا وأنت، وتعشقه الدنيا، ويكتب المسيحي كتاباً عنه إنطلاقاً من عشقه له، ويثني عليه حتى من لا يلتزم عملياً بأحكام الدين، لماذا تنظر له عن بعد؟ إقترب منه وانظر إليه عن كذب، كل من ينظر إلى قمة (دماوند) عن بعد ينبهر بها. ولكن يجب عليه أن ينطلق ويجتاز المنعطفات والمسالك الوعرة ويقترّب إليها.

البشرية اليوم بحاجة إلى الخصال التي كان أمير المؤمنين عليه السلام رافع لواءها؛ لأنها خصال لا تبلى بتقدّم العلم والتكنولوجيا، ولا تندثر بظهور أنماط جديدة من الحياة. فالعدالة لا تبلى، والإنصاف لا يبلى، والدعوة إلى الحق لا تبلى، ومقارعة الغطرسة والتجبر لا تبلى، وارتباط القلب بالله لا يبلى، لأن هذه الخصال ثابتة في فطرة الإنسان على امتداد التاريخ. وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام رافعاً لواء هذه الخصال.

البشرية اليوم متعطّشة لهذا الكلام ولهذه الحقائق. فما هو الحل إذا؟ الحل يكمن في الاقتراب والدنو. فلانستكثر كلمة حق قلناها أنا وأنت هنا أو هناك؛ لأن هذا نهج علي، ولانستكثر ساعة عبدنا الله بها في الليل أو النهار، ويداخلنا العجب بأنفسنا؛ فعلي عليه السلام كان كذلك، ولانستعظم موقفاً أقتحمنا فيه المخاطر؛ فعلي كان كذلك. عليكم بالاقتراب من خصال علي جهد المستطاع. يا أيها الصائمون، يا أيها

المصلون، يا مصلو النوافل، أيها المجاهدون في سبيل الله، أيها المقتحمون المخاطر، أيها الزهاد في الدنيا، يا أسود النهار، وأيها العباد في الليل، هنيئاً لكم، فأنتم أقرب إلى علي، ويمكنكم أيضاً أن تكونوا أقرب فأقرب.

إذا كان العالم الإسلامي بل العالم كله يعترف لعلي عليه السلام بالفضل فذلك يعزى إلى ما كان يتصف به من زهد وعبادة وشجاعة وحزم في سبيل الله؛ فمتى ما اقتضت الحاجة كان يهوي بسيفه على أعداء الحقيقة وأعداء الدين وأعداء الله بلا خوف أو وجل، ولا تأخذه في الله لومة لائم. فإذا ما وجد شخص منحرف ومضرو ومخل، في طريق السير إلى الله، كان لسيفه القول الفصل. ومتى ما كان هناك مظلوم ومسلوب الحق كان أمير المؤمنين عليه السلام يتحول إلى أرق إنسان وأعطف إنسان.

جاء في رواية أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يكثر من إطعام الأيتام بيده إلى حد جعل أحد أصحابه - ولا بد أنه كان شاباً على سبيل المثال - يقول: يا ليتنا كنا أيتاماً حتى يكون أمير المؤمنين رؤوفاً بنا إلى هذا الحد^(١).

وكان مجهولاً لدى الفقراء والمساكين والمحتاجين ولم يعرفوه إلا بعدما ضرب، أنه هو ذلك الشخص الرؤوف الذي كان يغشاهم وهم لا يعرفونه.

أما كلامه في نهج البلاغة فهو أفصح كلام إنسان عند العرب. ونهج البلاغة ذروة في الفن والجمال؛ جمال اللفظ وجمال المعنى، ويبهر العقول. ولم يستطع أي شاعر عربي كبير أو كاتب أو أديب عربي أن يقول بأنه غني عن الرجوع إلى نهج البلاغة.

وعلى كل حال، فقد فجع أهل الكوفة بالأمس بشهادته، ولم يشيع جثمانه في الكوفة، ولم يجتمع الناس حول جثمانه. ولعله كان يرى تسلط الأعداء على الكوفة بعد ذلك بعشر سنين أو عشرين سنة.

فما الذي جرى في الكوفة؟ فالذين داروا بيناته في أسواق الكوفة، ورفعوا رأس فلذة كبده على رؤوس الرماح، ما كانوا يتورّعون عن نبش قبره والتنكيل برمسه. ولهذا السبب بقي قبره مخفياً ولم يعثر عليه إلا بعد مضي مدّة طويلة (١).

شبهاء علي بالأنبياء عليهم السلام

وردت رواية من طرق غير شيعية، أنّ الرسول الأكرم ﷺ قال لجمع من أصحابه: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في هيئته وإلى عيسى في عبادته، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب» (٢).

أي أنّ علم آدم الذي ورد عنه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (٣)، وحلم إبراهيم الذي قال تعالى عنه في القرآن: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمًا أَوَّاهًا مَنِينًا﴾ (٤)، وهيبة موسى التي كانت سطوة فرعون وعظمتها ضعيفة أمامه، وعبادة عيسى الذي كان مظهراً للزهد والإخلاص والتعبّد لله، وفي بعض الروايات المنقولة من غير الشيعة أيضاً، أضيفت عبارة أخرى وهي: زهد يحيى بن زكريا؛ كلها جمعت في هذا الإنسان العظيم الذي نعتبر أنفسنا من شيعته.

(١) من كلمة ألقاها في ٢٢ رمضان ١٤٢٠هـ - طهران.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩ / ٣٥.

(٣) سورة البقرة: ٣١.

(٤) سورة هود: ٧٥.

لا فغن ابن الحميراء وأبي سعيد وأنس وابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه [فقهه] وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى في زهده وإلى موسى في بطشه فليُنظر إلى علي بن أبي طالب». (أخرجه الحاكم والديلمي وابن شاهين وابن عساكر، انظر مناقب ابن المغازلي: ١٢٣ ح ٢٥٦، وشواهد التنزيل ١ / ١٠٣ ح ١١٧، واللاقي، المصنوعة: ١ / ١٨٤ ط. بولاق، والفوائد المجموعة: ٣٦٧ ح ٥٩ من مناقب علي، وترجمة علي من تاريخ دمشق: ٢ / ٢٢٥ و ٢٨٠ ح ٧٣٠ و ٨٠٤، وروضة الراءطين: ١٢٨).

وهذا الكلام يمكنه أن يوضح لنا - الى حدِّ ما - صورة عن شخصية ذلك الرجل العظيم (١).

المعرفة مقدمة للاقتداء بأمر المؤمنين عليه السلام

الذي يحظى بأهمية أكثر من المعرفة والاطلاع بالنسبة لنا هو التقرب العملي من أمير المؤمنين عليه السلام، فهو القدوة بالنسبة لنا، فلا تكفي معرفة علي عليه السلام، بل لابد أن تكون المعرفة مقدمة للاقتراب من مقام أمير المؤمنين عليه السلام؛ فإذا ما أرادت أية حكومة خير أمتها وصلاحها فعليها أن تتخذ من علي بن أبي طالب عليه السلام قدوة وأسوة لها، حينها سيشعر الناس بالسعادة تغمر حياتهم، سواء في الوقت الراهن أو المستقبل، وإذا ما كان المجتمع يصبو لبلوغ السعادة فإن السبيل العملي لتحقيق ذلك يتمثل في أن تتخذ الحكومات من حياة أمير المؤمنين عليه السلام وحكومته قدوة لها وتنحو منحاه.

إنّ مزاعم الحكومات الغربية - التي تمسك بوسائل الإعلام العالمية - وأفعالها المرئية ليست بقادرة على توفير السعادة للبشرية أو أن تذيب المجتمع طعم العدالة بحقيقتها (٢).

أثر معرفة صفات علي عليه السلام

إنّ ما يهمنّا أيها الأخوة والأخوات - بعد المعرفة الإجمالية أو أيّ درجة ممكنة في معرفة هذا الإنسان العظيم وسائر أولياء الله - هو أن نلتفت الى أنّ الإمام هو ذلك المثل الأعلى الذي يجعله الله على الأرض ويبينّه للبشر ليعرف الناس ما هي القدوة

(١) من كلمة ألقاها في ١٣ رجب ١٤١٤ هـ.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٠ ذي الحجة ١٤٢١ هـ - طهران.

والأسوة؟ وما هو الهدف الذي يتحرك نحوه؟ .

فبمعرفة الإمام يهتدي الإنسان الطريق، وهذا هو المهم، ولذا فالإمام في مفهومه الإسلامي الصحيح هو من يرشد الناس بسلوكه وشخصيته وأفعاله الى الطريق المستقيم بمقدار ما يرشدهم بلسانه وأوامره، أو أكثر. وهذه مسألة مهمة؛ إن أمير المؤمنين عليه السلام إمامنا وإمام جميع المسلمين، أي أنّ الجميع يعتقدون به كإمام.

ولكن ما معنى (الإمام)؟ ، يعني أن نلاحظ أبعاد هذه الشخصية كالنموذج الرفيع الذي نضعه أمامنا، ثم نحاول بناء شيء شبيه به، يجب أن نروض أنفسنا لتكون شخصيتنا، من حيث السلوك الفردي، العلاقة مع الله، التعامل مع الأخ المسلم في المجتمع، التصرف فيما لدينا من أموال وإمكانات ووسائل من بيت المال، من حيث التعامل مع الناس باعتبارهم مجموعة بشرية نحن رعاتها وحكامها في جزء من حياتها، في الاخلاص في العمل لأجل المحرومين مادياً أو ذهنياً أو علمياً أو عقائدياً، من حيث تعاملنا مع دين الله، وكيف يجب أن ندافع عنه، وكيف يجب أن نكون دقيقين تجاهه، من حيث معاملة أعداء الله تعالى .

الأسوة بعد المعرفة

ليكن أمير المؤمنين عليه السلام أسوتنا في جميع هذه، ونسعى لتكون مثل ذلك الإمام. إذ كيف يمكن لأحد أن يدّعي أنّه من شيعة علي بن أبي طالب ويكون أمير المؤمنين عليه السلام إمامه بينما تكون علاقته القلبية مع الله أقلّ أمرٍ يهتمّ به، إنّ الإمام عليه السلام صرف كلّ عمره في العبادة والعمل لله ، منذ أول لحظة أشرق نور الهداية الإلهية في وجود ذلك الإمام عن طريق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وحتى تلك اللحظة التي نال فيها لقاء الله لم يغفل الإمام لحظة عن عبادة الله، وعن ذكر الله، وعن الارتباط بالله، فقد كان في ارتباط دائم مع الله تعالى ، في الفرح وفي الحزن، في

الحرب وفي السلم، ليلاً ونهاراً، في المسجد وفي الحرب، في الحكم وفي القضاء...
كان ذلك الإنسان يحمل همّ ضعفاء المجتمع في جميع لحظات وأنان الحكم
والسلطة، ويفكر بهم، وكذلك يوصي من يرسلهم الى أماكن مختلفة كولاية وحكام
وسفراء وغيرهم بذلك.

عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر

فقد عهد الى مالك الأشتر بأن يبحث عن أولئك الذين لا تقع عيون أمثاله عليهم.
فيا مكان الأثرياء والأذكىاء وأهل المناصب والألسن الوصول الى أمثال مالك الأشتر،
ولكن هناك من لا يقدر على ذلك، حيث لا يملك الجرأة ولا المال ولا من يعرفه
عنده، يقول عليه السلام له بأن يبحث عنهم ويتفقدهم.

فأمير المؤمنين عليه السلام يأمر ولاته، وكان يباشر هذا العمل بنفسه، فيذهب الى بيوت
الفقراء ويطعم اليتامى بيده، حتى إن شخصاً قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد أطعم
اليتامى بيده الى درجة أننا كنا نتمنى أن نكون يتامى.

فكيف يدعي شخص أن أمير المؤمنين عليه السلام إمامه في حين أنه لا يتفقد في فترة
حكمه وسلطته وراثته... ولو كانت رئاسة محدودة في منطقة من مناطق البلد -
المحرومين والفقراء والمستضعفين.

الشيعة الحقيقي

وكيف يدعي أن هذا الإمام هو إمامه، وهو غير قادر على تحمّل صفة واحدة في
سبيل الله، بينما كان ذلك الرجل يحارب أعداء الله ليل نهار لتبليغ الدين والعمل به،
وشارك في جميع الحروب التي قادها النبي صلى الله عليه وآله إلا في حالات نادرة، كمعركة تبوك
حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله عليه السلام أن يبقى في المدينة ويحافظ عليها، لأن المدينة

كانت معرضة للخطر، فأبقاه النبي ﷺ في المدينة، لكن بقية الحروب أو أكثرها كان مع النبي ﷺ. كان حاضراً الى جانب النبي ﷺ في الوقت الذي هرب الجميع وفي أخطر وأحلك المواقف، كيف يمكن لأحد أن يدعي أنه من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام لكنه لا يجرو على الاعتراض على أعداء الله خوفاً من سطوتهم وتجبرهم.

إنّ الذين حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافته وقبل ذلك كانوا أعداءاً للدين وكانت لديهم سلطة سياسية وعسكرية، وكان لدى بعضهم قاعدة شعبية ونفوذ ويدعون الإيمان والتقديس. كان البعض مثل الخوارج شبيهين ببعض المتطرفين المتظاهرين بالثورية، والذين لم يعترفوا بأحد غيرهم، كالذين لم يعترفوا في بداية الثورة بالإمام كشخص ثوري. كان أمير المؤمنين عليه السلام قد واجه أولئك وشتتهم وقال بأنه لو لم يحاربهم لما تجرأ أحد على محاربتهم.

هناك من يدعون بأنّ الإمام هو إمامهم ولكنهم غير مستعدين لأن يقولوا كلمة واحدة تزعج الاستكبار وأمريكا والذين يظلمون اليوم مئات أضعاف ظلم المقتدرين الفسدة في صدر الإسلام، ويرتكبون من الظلم في يوم واحد ما يعادل الظلم الذي ارتكبه أولئك في عدّة أعوام. يقول هؤلاء أنهم شيعة علي وآله عليه السلام إمامهم! فماذا يعني الإمام؟، هذا هو أمير المؤمنين عليه السلام وهذه هي شموليته، وطبعاً لا يمكن توضيح شموليته بهذه الكلمات.

إننا مثل ذلك الرسّام الطفيلي الذي يريد أن يرسم وجهاً جميلاً لكنه يرسم هيكلاً جامداً، إنّه عليه السلام أرفع كثيراً من هذا الكلام، إلا أنّ هذه الصورة الناقصة التي نرسمها جميلة ورفيعة وشاخصة الى درجة أنها تحيّر الناس، يجب علينا التحرك في هذا الإتجاه، وطبعاً لا يتوقع أحد أن يصل حتى على بعد فرسخ من مستوى أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه حقيقة، وقد ذكرت سابقاً أننا لانقدر أن نكون مثل

أمير المؤمنين عليه السلام، فكتب أحدهم إليّ قائلاً: نعم لقد أرختم أنفسكم بهذا الكلام لأنكم ليس بإمكانكم أن تكونوا كأمر المؤمنين عليه السلام، كلاً ليس الموضوع هذا، فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام نفسه في حديث له: «ولكنكم لا تقدرون على ذلك» فهو في القمة، تصوّروا قمة عالية، علينا أن نصعد إليها، ولا نقول أننا لا نصل إليها، بل يجب التحرك.

إن أمير المؤمنين عليه السلام هو أسوة للمسؤولين في المؤسسات الحكومية، في أيّ جهاز إداري وحكومي كانوا، سواء كانت مسؤوليتهم صغيرة أو كبيرة.

لقد أراد منا أن نؤدّي العمل بإخلاص، نؤدّيه للناس دون منّة، ونحترم مراجعنا ولا نحقرهم، ونحن نتمتع بسلامة اليد والبصر واللسان، بل ونملك قلباً سليماً. لقد عمل أمير المؤمنين عليه السلام لإحياء الناس.

إنّ العالم الاستكباري يسعى اليوم لبثّ اليأس في قلوب الشعب الإيراني لمنعه من مواصلة السير على نهج أمير المؤمنين عليه السلام وفي طريق الإسلام. إنني أقول لكم وللشعب الإيراني أنّ أعظم جهاد هذا اليوم - في ميدان الاعلام - هو أن يتمكن الإنسان من بعث الأمل لدى الشعب الإيراني بعاقبة هذا الطريق، وكلّ من يعمل على خلاف ذلك، فإنّه يخون هذا الشعب.

إنّ أفضل وسيلة لمنع متسلّق من صعود الجبل هو أن يقال له كذباً: لا يمكنك الصعود الى القمة لوجود الإشكال والمانع الفلاني، أنّه يريد الصعود الى القمة ولديه هدف، ولكن ما أن يفهم أنّه ليس بإمكانه ذلك يعود من حيث أتى، ومنذ خمسة عشر سنة ويحاول الإعلام السياسي في العالم بثّ اليأس لدى الشعب الإيراني السائر نحو الذروة والقمة، فيقال: إنّ الوضع الاقتصادي متدهور والناس مستأوون وأمريكا تمنع من ذلك... و...، ويهمسون هذه الأمور في آذان الناس بشكل دائم وفق اسلوب إعلامي ذكي، إنني أستمع أحياناً الى كلامهم، وأقرأ ما ينقل عنهم وأرى ماذا يقولون، أنّهم يختارون الكلمات ويبحثون عن الأسلوب الذي يصدّق

الناس هذا الكلام وهذه الكذبة المسلمة، وللأسف هناك في الداخل من يتكلم لا لشيء سوى لبثّ اليأس في قلوب الشعب (١).

إنّ التشيع يعني التبعية، وإذا لم تتحقق تلك التبعية له عليه السلام فإن ادعاء الانتساب إليه سيكون ظلماً بحقه. أضف إلى ذلك أننا نستطيع عبر التعريف بشخصيته العظيمة تنوير أذهان بني عصرنا وقلوبهم فيما يتعلق بالمسألة الجوهرية في الإسلام، وهي إدارة المجتمعات البشرية في ظل نظام إسلامي ووفقاً للدستور الإسلامي، والمحور في كل شيء حكومة أمير المؤمنين عليه السلام التي استمرت بضع سنين، فلا بد أن يكون المراد من حديثنا عنه عليه السلام هو التبعية له، ويتعين عليّ - بطبيعة الحال - التأكيد أنه بما أن نظامنا الإسلامي القائم في زماننا هذا يرتكز على أساس التبعية للأحكام الإسلامية فإن المعنيين بالدرجة الأولى في اتباع أمير المؤمنين عليه السلام هم المسؤولون من الطراز الأول وأصحاب المناصب العليا في النظام الإسلامي.

إننا اليوم بأمس الحاجة لمعرفة هذه التعاليم والتوجيهات والعمل بها، وإذا ما عملنا بها فحينذاك يتحقق المراد من الآية الكريمة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (٢)؛ أي سنتحول إلى تلك الأمة التي لو نظر إليها العالمون جميعاً اتخذوها قدوة وأسوة لهم، وإلا فربما يصل الأمر بشعبنا ومسؤولينا - لا سمح الله - إلى أن يصابوا بالعجز عن خدمة الإسلام، بل يساهمون في إضعافه؛ فالخطر يكمن فيما إذا ابتعدنا عملياً عن التعاليم الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام (٣).

(١) من كلمة ألقاها في ١٣ رجب ١٤١٤ هـ.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٨ رمضان ١٤٢١ هـ - طهران.

صفات أمير المؤمنين عليه السلام لا تحصى

لقد تحدث الخطباء والكتاب والمفكرون والشعراء والنادبون والمادحون لأهل البيت (عليهم السلام)، وجميع المسلمين من الشيعة وغيرهم، وغير المسلمين قرابة ألف وأربعمائة سنة، وسيستمر الحديث عنه إلى أبد الدهر، إلا أن دائرة الكلام حول هذه الشخصية العظيمة من الاتساع بدرجة إذ لو دخلنا من أية زاوية لوجدنا أشياء غير مذكورة.

لقد فكرت في ما يتعين علينا ذكره فيما إذا أردنا أن نتحدث بشأن هذا الرجل الفذ.

ولا أقصد الجوهر الملكوتي لذلك الإنسان الرباني الذي لا يمكن بلوغه^(١)،

(١) قال رسول الله ﷺ: «يا علي ما عرفك إلا الله وأنا، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرف الله إلا أنا وأنت».

قال رجب البرسي في المشارق: هذا حديث صحيح والناس مع صحته يدعون معرفة الله ورسوله، وصدق الحديث يوجب كذب دعواهم، وصدق دعواهم يوجب كذب الحديث، ولكن الحديث صادق، فدعواهم في معرفة حقيقة الله ورسوله كاذبة، سبحانه ما عرفناك حق معرفتك، لأن حقيقة معرفة الله ومعرفة حقيقة الله غير معلومة للبشر، وكذا معرفة حقيقة محمد وعلي، وإليه الإشارة بقوله: «ما عرف الله غير الله، وما وُحِدَ الله غير محمد رسول الله».

وكذا حقيقة محمد وعلي ما عرفها إلا الله، وهم وقليل من أوليائهم، ممن وصل إلى الدرجة العليا العاشرة من الإيمان. يدل على صحة هذه الدعوى، والشاهد ما ورد في كتاب البشائر: أن عمر دخل على رسول الله ﷺ في مسجده يوماً وبين يديه أمير المؤمنين فقال عمر: فمالي سألته (أبا ذر) عن علي فقال: لا يعرفه إلا الله .

قلت: أصدقكم لهجة أبو ذر، فقال: هو كما قلت، فقال عمر: فما لي سألته عنك فقال: هو في مسجده،

والذي لا يسع لأمثالي نيله، وإنما أقصد ذلك الجانب من وجوده وهويته وشخصيته التي يمكن للإنسان ملاحظتها والتدبر فيها والتأسي بها أحياناً. فوجدت كتاباً واحداً لا يكفي، فهذه الشخصية ذات أبعاد واسعة جداً: (هو البحر من أي النواحي أتيت). فليس بالإمكان إحاطة المخاطب بجميع حقائقه ويقال له: هذا هو أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم بالإمكان الدخول من أبعاد مختلفة وبيان شيءٍ حول هذا الشخص العظيم بمقدار ما تسعته هممتنا وفهمنا وبصيرتنا.

فكرت فرأيت أنه ربما أمكن العثور على مائة صفة - ذكر التعبير بالمائة بعض الكبار أيضاً في بعض الروايات - وخصوصية في أمير المؤمنين عليه السلام، سواء الخصوصيات المعنوية كالعلم والتقوى والزهد والحلم والصبر وخصوصياته النفسية، أو خصوصياته السلوكية ككونه أباً وزوجاً ومواطناً ومقاتلاً وقائداً وحاكماً، أو خصوصياته في معاشرته الناس كإنسان متواضع وعادل ومدبر لشؤون الناس وقاضٍ، وربما أمكن عدُّ مائة صفة من هذا النوع لأمر المؤمنين عليه السلام، ولو أمكن لشخص بيان هذه المائة صفة ببيان شامل وبلغ لأمكنه إجمالاً عرض صورة كاملة تقريباً عن أمير المؤمنين عليه السلام.

غير أن دائرة هذه الصفات أيضاً من الاتساع بحيث تحتاج كل واحدة منها إلى كتاب واحد على الأقل.

نأخذ إيمان أمير المؤمنين عليه السلام كمثال:

فقلت: ومن عنده؟

فقال: رجل لا أعرفه، وهذا علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدق أبو ذر يا عمر، هذا رجل لا يعرفه إلا الله

ورسوله. (مشارك أنوار اليقين: ١٧٢ - ١٧٣).

١- الإيمان:

إنَّ الخصوصيات التي أريد التحدث عنها وسأذكرها فيما بعد ليست هي الإيمان، إلاَّ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إنساناً مؤمناً، أي أنَّ الفكر والإيمان والاعتقاد كان راسخاً في أعماق وجوده^(١)، فبأي شيء يمكننا أن نقيس هذا الإيمان حتى تتجلى عظمة إيمان أمير المؤمنين عليه السلام، وبناءً على ما نقل عنه عليه السلام أنه قال: (لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً)^(٢)، أي لو أزيلت حُجُب الغيب وتمكنت من مشاهدة الذات المقدسة للباري تعالى والملائكة والجنَّة والنار وكل ما ذكرته الأديان عن الغيب وملكوت هذا العالم بهذه العين الباصرة لما زاد يقيني على ما هو عليه، أي أنَّ هذا اليقين كيقين من شاهد جميع الحقائق بعينه.

(١) عن ابن عباس قال: عُرض على عليّ الإسلام. فقال علي: انظرني الليلة. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: « يا علي هذا دين الله الذي اصطفاه واختاره، وأنا أدعوك الى الله وحده، وأن تذر اللات والعزى فانهما لا تنفعان ولا تضران ».

فقال علي عليه السلام: « ما سمعت بهذا الدين الى اليوم، وأنا أستأمر أبي فيه ».

- فكره النبي أن يفشي ذلك قبل استعلان أمره -.

فقال صلى الله عليه وآله: « يا علي ان فعلت ما قلت لك، وإلا فأنتم ما رأيت ».

فمضى ليلته ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: « أعد علي ما قلت ».

فأعاده، فأسلم. وفي لفظ: فمكث علي تلك الليلة مفكراً فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: « لم أزل

البارحة أفكر فيما قلت لي فعرفت الحق والصدق في قولك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له وأنت رسول الله » كثر الفوائد: ١٢٠ - ١٢٧ فصل في بيان أن الأمير أول بشر سبق الى الاسلام،

ومناقب الخوارزمي: ٥٢ ح ١٦ الفصل الرابع، وأنساب الأشراف: ١١٢ / ٢ - ١٢٥ - ١٢٦ ح ٢١٨،

ذكر من كتب رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) انظر مناقب آل أبي طالب: ٣١٧ / ١.

٢- السابقة في الإسلام: (١)

أو السابقة إلى الإسلام مثلاً إذ آمن في صغره (٢) وارتضى هذا الطريق وسلكه بكل كيانه حتى اللحظة الأخيرة، وهذا شيء لا يمكن بيانه في بضع كلمات.

وعلى كل حال فجميع هذه الأبعاد أبعاد عظيمة وواسعة. وقد شاهدنا كثيراً من العظماء وتعرفنا عليهم أو قرأنا سيرهم في الكتب وهم من العظمة بمكان لو جسدهم الإنسان بشكل صحيح فسوف يشعر حقاً بالضآلة أمامهم، ومثله في ذلك كمن يرفع رأسه إلى السماء ويشاهد القمر وكوكب الزهرة والمشتري، فكم هي كبيرة ومرتفعة هذه الكواكب وكم هي وضياءة، غير أن أعيننا القاصرة والضعيفة عاجزة عن

(١) روي عن علي عليه السلام أنه قال: «صليت قبل الناس بسبع سنين» «لقد صلت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين وذلك أنه لم يصل معي رجل فيها غيره» صحيح ابن ماجه - المقدمة - : ٤٤ باب فضل أصحاب الرسول، كنز العمال: ١٣ / ١٢٢ و١٢٦ ح ٣٦٤٠٠.

وقال ابن حجر: قال ابن عباس وائس وزيد بن ارقم وسلمان الفارسي وجماعة [من الصحابة] انه اول من اسلم، [حتى] ونقل بعضهم الاجماع عليه، الصواعق: ١٢٠ ط. مصر و١٨٥ ط. بيروت الباب التاسع

- في إسلام علي، ولوامع الانوار البهية للسفريني: ٢ / ٣٣٨ فصل في فضل الصحابة وقال الحاكم: ولا أعلم خلافاً بين اصحاب التواريخ أن علي بن أبي طالب اولهم اسلاماً وانما اختلفوا في بلوغه، وقال السفاريني: ونقل الحاكم اتفاق المؤرخين عليه، لوامع الانوار البهية للسفريني: ٢ / ٣١١ تفضيل الصديق، والغدير: ٣ / ٢٣٨.

وقال الطبري: اجتمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعدما تنبأ رسول الله بسنة فأقام بمكة اثنتي عشرة سنة، وقال آخرون أول من أسلم من الرجال أبو بكر، تاريخ الطبري: ٢ / ٥٨ ذكر الخبر عما كان من أمر النبي عند إرسال جبرائيل عليه السلام.

(٢) روي أن أمير المؤمنين عليه السلام أسلم وعمره عشرون عاماً، وروي أن له ستة عشرة سنة وروي أن له خمسة عشرة سنة، انظر معرفة الصحابة: ١ / ٢٠ ترجمة علي، والمستدرک: ٣ / ١١١ ذكر مناقب الامير، والمعجم الكبير للطبراني: ١ / ٩٥ ح ١٦٣، والاستيعاب: ٢ / ٤٥٨ ط. حيدرآباد ١٣٣٦ عن قتادة عن الحسن.

فهم الفرق بين هذا الكوكب الذي يحمل اسم المشتري أو الزهرة وبين ذلك الكوكب الذي لا يشاهد إلا بواسطة الأجهزة الفنية والتلسكوبات الدقيقة ويقال إنها تبعدُ عنا بملايين السنين الضوئية وتشكل مجرةً وحدها، وكم هي بعيدة عنه، فكلاهما يبدو كوكباً وكلاهما تراه أعيننا في الليل شاخصاً في السماء. ولكن أين هذا من ذلك، فنحن عن تلك العظمة من البعد بمكانٍ لا يمكننا معه أن نفهم الفرق بشكل صحيح بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين العظماء والكبار في التاريخ والإسلام والكتاب والعلماء وفي كل المواطن التاريخية والبشرية.

إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام حقيقة مذهلة، والإشكال في المسألة يبدأ من أننا وإياكم نعد من شيعة علي بن أبي طالب، وعلينا أن نقتدي به، فلو جهلنا شيئاً من أبعاد شخصيته فسيحدث خلل في هويتنا. فأحياناً لا يدعي الإنسان شيئاً، إلا أننا ندعي ذلك الشيء ونريد أن نكون علويين.

فنحن الشيعة في الدرجة الأولى والمسلمون من غير الشيعة في الدرجة الثانية نواجه هذه المشكلة، طبعاً جميع المسلمين يقرّون بأمر المؤمنين عليه السلام، غير أنّ الشيعة ينظرون إلى هذا الرجل الشامخ ويعرفونه بكيفية وعظمة خاصتين.

٣- شجاعة أمير المؤمنين: (١)

أمّا الخصوصية التي بدت لي وأحاول أن أتحدث قليلاً حولها بشأن أمير المؤمنين عليه السلام، فهي عبارة عن شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام.

فالشجاعة صفة عظيمة ومؤثرة، وأثر الشجاعة في ساحة القتال هو أن لا يخشى الإنسان المخاطر ويخوض غمار الهول ويبذل جهده وينتصر على العدو، والناس يفهمون هذا الجانب من الشجاعة.

ولكن للشجاعة مواطن أخرى غير ساحة الحرب، ويكون أثر الشجاعة هناك أهم منه في ساحة الحرب، كما في مجالات الحياة، وتقابل الحق مع الباطل، وساحة المعرفة وتبيين الحقائق وساحة المواقف التي تعرض للإنسان طيلة حياته، فأثر الشجاعة يظهر في هذه المواطن.

الشجاعة بمعناها العام

فالشجاع هو الذي حينما يعرى الحق يتبعه ولا يخشى شيئاً ولا يحول دونه محذور ولا تحول دونه الأنانية ولا عظمة جبهة العدو، وأمّا غير الشجاع فلا نقول إنه

(١) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «علي ألب أمّتي وأشجعها» وعن الشعبي: «كان علي أشجع الناس تقر العرب بذلك» المطالب العالية: ٤ / ٨٥ ح ٤٠٣٠، وكنز العمال: ١١ / ٧٥٣ ح ٣٣٦٧٠ والاستيعاب: ٣ / ٣٦٣.

وقال العلامة الحلي: وقد أجمع الناس كافة على أن علياً كان أشجع الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله، نهج الحق: ٢٤٤.

وقال الفضل روزبهان: شجاعة أمير المؤمنين أمر لا ينكره إلا من أنكر وجود الرمح والسماك في السماء، مقدم إذ الأبطال تحجم لبّات إذا الملاحم تهجم، وهما مما يسلمه الجمهور، نهج الحق الحاشية.

لا ينتصر على العدو فحسب، بل أحياناً قد يتداعى بناء الحق بانعدام شجاعة الفرد إذا كان ذا منزلة ومكانة في المجتمع. هذه هي حقيقة الشجاعة.

فأحياناً على أثر عدم شجاعة فرد ينقلب حق إلى باطل، وأحياناً على أثر عدم شجاعة شخص كان ينبغي عليه التدخل ينقلب باطل إلى حق. هذه شجاعة أخلاقية واجتماعية وشجاعة في واقع الحياة، وهذه الشجاعة أسمى من الشجاعة في ساحة القتال.

كان أمير المؤمنين عليه السلام من أشجع الشجعان في ساحة الحرب، فلم يولّ العدو ظهره أبداً وليس هذا بالقليل، فقصته في حرب الخندق معلومة حيث تقدم عندما تخاذل الجميع، كذلك قصته في فتح خيبر، وفي وقعة بدر وأحد وحُنين، وكل واحدة من هذه الوقائع لو نظرت إليها تجدون أمير المؤمنين عليه السلام - وله من العمر في بعضها ٢٤ سنة وفي بعضها ٢٥ سنة، وفي بعض المواطن ٣٠ سنة - قد نصر الإسلام وهو شاب لم يتجاوز العقد الثالث بشجاعته في ميادين القتال وخلق تلك الأعاجيب، وهذا يختص بالحرب.

شجاعة علي في سبقه للإسلام

ولكنني أقول: يا عليّ الكبير، يا حبيب الله إنّ شجاعتك في ميادين الحياة أكثر بكثير من شجاعتك في ساحة الحرب، وذلك منذ صغرك فقضية السبق إلى الإسلام - التي ذكرتها - والتي لبّيت فيها الدعوة حين رفضها الجميع ولم يجروا أحد منهم، فهذه شجاعة.

طبعاً خذوا بنظر الاعتبار حادثة كهذه حيث يمكن أن تكون مثلاً من أبعاد مختلفة لخصوصيات مختلفة، إلا أننا الآن ننظر إليها من زاوية شجاعة هذا العمل.

طرح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله دعوته في مجتمع كانت جميع العوامل فيه تناهض هذه

الدعوة، فجهل الناس وحميتهم، وشرف الأشراف المسيطرة على الناس تقف تجاه هذه الدعوة.

فأي نجاح يمكن أن تحظى به دعوة كهذه في المجتمع.

قام النبي الأكرم ﷺ بطرح مثل هذه الدعوة ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾^(١)، في البداية عمد الأعمام المتكبرون وأصحاب الرؤوس المليئة بالعصبية والغرور والعنجهية وغير المدعنة للحق والساخرة بكل كلام متين في الدنيا، عمدوا إلى الاستهزاء والسخرية، مع أنه كان جزءاً منهم وكانت عندهم عصبية تجاه العرق، فجميع الناس آنذاك كانوا كذلك، فأحياناً يقتتلون عشر سنوات انتصاراً لقريب لهم. ولكنه عندما حمل هذا القريب هذا المشعل بيده زوى الجميع أعينهم وصرفوا وجوههم ولم يحتفلوا به وأهانوه وحقرّوه وسخروا منه.

وهنا قام هذا الغلام وقال: أنا يا رسول الله.

طبعاً كان قد آمن قبل ذلك إلا أنه هنا أعلن إيمانه، وأمير المؤمنين عليه السلام هو ذلك المؤمن الذي لم يكن إيمانه مستوراً أبداً طيلة ثلاث عشرة سنة من بداية البعثة إلا في الأيام القليلة الأولى، فقد أخفى المسلمون إيمانهم لعدة سنوات، إلا أن الجميع كانوا يعرفون بأن أمير المؤمنين عليه السلام قد آمن منذ البداية.

جسّدوا هذا الأمر في ذهنكم بشكل صحيح ففي الوقت الذي يمارس فيه الجيران وكبار المجتمع الإهانات والتضييق، إذ يسخر الشاعر والخطيب والثري، ويوجّه الحقير والسافل الإهانات، يقف الإنسان وسط هذه الأمواج الجارفة والمعارضة شامخاً صلباً كالجبل الأشم معلناً: عرفت الله^(٢)، وعرفت هذا الطريق وأصر عليه. فهذه هي الشجاعة.

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٢) إشارة لما ذكرناه سابقاً أن إسلامه كان عن تفكير وتدبر ووعي.

شجاعة علي في بيعة الرضوان

وقد تجسدت هذه الشجاعة في مكة والمدينة وفي مبايعة النبي ﷺ. فقد عمد النبي الأكرم ﷺ عدّة مرات ولعدة مناسبات على أخذ البيعة، وإحدى تلك البيعات وربما أصعبها هي بيعة الشجرة (بيعة الرضوان) في حادثة الحديبية. فعندما ازداد الموقف حرجاً جمع النبي الأكرم ﷺ ذلك الألف وبضع مئات من الذين تحلّقوا حوله - على ما هو مذكور في كتب التاريخ ونقله الجميع قائلاً: تبايعوني على الموت وعدم الهزيمة وأن تحاربوا حتى النصر أو القتل.

وأتصور بحسب الظاهر - أنّ النبي ﷺ لم يأخذ مثل هذه البيعة من المسلمين في موضع آخر غير هذا الموضع، وكان في هذه الجماعة مختلف الناس وكان فيهم ضعاف الإيمان إذ يذكرون بعض الأسماء أيضاً وفيهم حتى من المنافقين في هذه البيعة.

وأول من بايع لرسول الله ﷺ هو هذا الشاب اليافع الذي له من العمر عشرون سنة ونيف، فرغ يده وقال: (أبايعك على الموت)، وبعد ذلك تشجع المسلمون وتقدموا وبايعوا واحداً بعد الآخر. وحتى الذين لم يرغبوا في ذلك اضطروا إلى المبايعة ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم...﴾ (١) وهذه شجاعة.

ففي حياة النبي ﷺ أينما وجد موضع لإظهار الجوهر الإنساني كان هذا العظيم يتقدم، فكان السباق في كل الصعاب.

الجوهر الإنساني في علي

فأينما لزم وجود الجوهر الإنساني كان هذا الرجل العظيم حاضراً هناك حتى إذا لم يكن معه أحد، فقد كان يقول: (لا تستوحشوا من طريق الهدى لقلّة أهله)^(١)، وكان هو أيضاً كذلك، فإذا كنتم في أقلية وكان جميع أهل الدنيا ضدكم ولا يرتضون طريقكم، أو أنّ الأكثرية لا تقبل ذلك فلا تستوحشوا ولا تتراجعوا، فعندما تتعرفون على الطريق القويم أسلكوه بكل وجودكم.

هذا هو المنطق الشجاع لأمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما التزمه أيضاً في حياته.

(١) نهج البلاغة: ١/٤٦ كلام ١٥.

شجاعة علي في حكومته

وفي حكومته أيضاً التي استغرقت أقل بقليل من خمس سنوات كان منطق القوة والثبات ماثلاً أمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكل ما ترونه شجاعة، فمنذ اليوم الثاني من مبايعته عليه السلام خرج وتكلم بشأن القطائع التي أعطيت قبله لهذا وذاك وقال: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق»^(١)، وشرع في ذلك وحدثت تلك الضغائن. فهل تُعهد شجاعة أعظم من هذه الشجاعة.

وقف بشجاعة أمام أكثر الناس عناداً، ووقف بشجاعة أمام ذوي النفوذ في المجتمع الإسلامي، ووقف بشجاعة تجاه الثروة المتكدسة في الشام والتي كان يمكنها تجهيز ورضّ عشرات الآلاف من الجنود لمقاتلته، فعندما عرف طريق الله لم يتساهل مع أي شخص، وهذه شجاعة، كما أنه لم يتساهل حتى مع أقربائه.

إنّ التلقّظ بهذه الأمور سهل، إلا أنّ العمل بها عظيم وشاقّ جداً، فقد كنا في يومٍ ما نبين هذه الأمور كعبرٍ من حياة علي عليه السلام، ولا بدّ من الاعتراف بحقيقة الأمر وهو: أنّنا لم ندرك عمق هذا المطلب بشكل جيد.

وأما الآن حيث بيد أمثالي إدارة المجتمع الإسلامي وهذا المنصب الحساس أدرك هذا المطلب تماماً وأستوعب كم هي عظمة علي عليه السلام^(٢).

(١) نهج البلاغة: ٢ / ١٨١ كلام ٢٠١.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٩ رمضان ١٤١٦ هـ.

كزار غير فرار

إنَّ من ألقاب أمير المؤمنين عليه السلام أنه (كزار غير فرار) ^(١) وقد لقبه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بذلك؛ وهذا لا يختص بساحة الحرب، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام كزاراً غير فرار في جميع الميادين الإنسانية، فكان مقداماً ومقتدراً ومفكراً لا يعرف التراجع.

إنَّ المواقف الصلبة والثبات على المبادئ المقبولة والمعتقد بها، والخروج من موقف الدفاع، والوقوف بوجه الإنحرافات والمعاصي والمساوئ والمظالم وانعدام العدل تمثل ما اتصف به أمير المؤمنين عليه السلام من كونه كزاراً غير فرار.

ولو أنكم تدرسون سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ستجدون أنَّ هذه هي صفته من أولها إلى منتهاها.

وهنا يكمن علاجنا فإن كنت تريد أن تبقى حياً وعزيزاً ومقديماً من الناحية العلمية والعملية؟ وإن كنتم تريدون أن يكون شبابكم مرفوعي الرأس؟ وإذا أردتم أن يكون غدكم مشرقاً؟ فلا بد أن تكونوا مستقيمين ناشطين وأن تكونوا كرارين، لا تعرفون التعب وتواصلون أهدافكم، وسيكون مستقبل هذه الأمة مشرقاً.

ولحسن الحظ فإن شعبنا قد بدأ هذا الطريق ولا زال يواصله، بيِّد أنه بحاجة إلى استمرار ^(٢).

(١) شرح أصول الكافي: ٤٩٩ / ١٢.

(٢) من كلمة ألقاها في: ١٣٨٤/٥/٢٨ هـ - ١٣٧٧/٧/١٤٢٦ هـ - ق - ٢٠٠٥/٨/١٩ م.

شجاعة علي في بيت المال

لا يمكن لأحد أن تكون له شجاعة علي عليه السلام، فإنَّ أقرب الناس إليه عليه السلام وهو عبدالله بن عباس ^(١)، فقد كان ابن عمّه وتلميذه ورفيقه وأمين سره وكان مخلصاً ومحباً حقيقياً لأمر المؤمنين عليه السلام - وقد ارتكب غلطةً ولا أريد الدخول في تفاصيل ذلك لأنَّ هذا الرجل العظيم كان عظيماً حقاً - وكان قد أخذ مقداراً من أموال بيت المال ظناً منه أنه يستحقها وذهب إلى مكة، فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً يشعر له بالجلد، فأى رجل هو هذا وكم هو عظيم - قال فيه: «فاتق الله وأردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك، ولأضربك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا ودخل النار! والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هودة ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما» ^(٢).

إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يعلم أنَّ الحسن والحسين عليه السلام معصومان إلا أنه يقول: إذا حصل مثل هذا الأمر - الذي لا يمكن أن يحصل - سوف لا أكون رحيماً معهما. فهذه شجاعة، وطبعاً من زاوية أخرى هي عدل، ومن زاوية ثالثة احترام للقانون، توجد لذلك عناوين متعددة إلا أنها من هذه الزاوية شجاعة ومقدرة نفسية ^(٣).

(١) وقيل عبيد الله أخوه .

(٢) نهج البلاغة: ٣ / ٦٧ ح ٤١ .

(٣) من كلمة ألقاها في ١٩ رمضان ١٤١٦ هـ .

حاجة المسلمين لشجاعة أمير المؤمنين

إننا اليوم بحاجة إلى هذه الشجاعة، فالشعب الإيراني بحاجة إليها، والعامل في هذه الحكومة يحتاج إليها بشكل أكبر، وكل شخص تظال يده شيئاً من بيت مال المسلمين، وكل شخص يحظى بثقة الناس يكون بحاجة أكثر إلى هذه الشجاعة، كما أنّ الناس فرداً فرداً بحاجة إلى هذه الشجاعة، والشعب الإيراني بمجموعه اليوم بحاجة إلى هذه الشجاعة تجاه جميع الدنيا.

فالعالم اليوم لا يرأسه جهّال مثل أبي لهب وأبي جهل، بل كفّار العالم ومعانديه حالياً هم من أكبر دُهاة العالم، وهم أناس يحركون أهم الأحداث السياسية والإعلامية كما يحركون الخاتم في إصبعهم، فالقوى الخادعة التي تدير العالم سياسياً وتحرك الشعوب وتبدل الحكومات وتستعمر بقاع الدنيا وتثير الحروب وتخمدتها وتطيح بالأنظمة وتأتي بغيرها مكوّنة من أكبر الدهاة في العالم، وهؤلاء جميعاً مترصدون بالجمهورية الإسلامية.

إنّ سياستهم تجاه الجمهورية الإسلامية هي الازدراء بهذه الجمهورية وبالشعب الإيراني والاستهزاء به وتخطئته، فيقولون: أنتم على خطأ في عدم مجاراتكم للأعراف السائدة في العالم، وأنتم على اشتباه إذ لم تستسلموا للسياسة العالمية والدولية لأمریکا والقوى العظمى، وأنتم على اشتباه في قضية فلسطين والبوسنة وقضايا المسلمين، وهكذا. كانت هذه سياستهم منذ بداية الثورة وهي سياسة تعتمد على تخطئة الشعب والمسؤولين في إيران، وكل من كان أكثر جدية في مخالفتهم يقومون بتخطئته بشكل أكثر، وأي عمل يتضررون منه أكثر يسخرون منه أكثر، فتراهم يسخرون من معاملة المرأة، ويسخرون من الجامعة والعبادة وصلاة الجماعة والامتناع عن المشروبات الكحولية وإقامة الحدود الإلهية.

أعزائي إنَّ هذه السخرية وهذا الاحتقار والإمتهان قد يستأصل أحياناً جذور شخصيات عظيمة فتقضى مضاجعهم وينفذ صبرهم فيضطرون إلى مجارات الوضع، وعندما تضع تلك القوى أيديها على صدورهم وتضحك في سرها ملء شديقتها على نجاح خطتها وإزاحة مانع عن طريقها، فتراها تغرق ذلك التيار الثوري في العالم بالسخرية حتى يتراجع علناً وصراحة عن أفكاره وآماله ومبادئه الثورية بل ويسخر منها أيضاً.

فقد شوهد في ساحة السياسة العالمية من وقف بالأمس بوجه الأعداء، وأخذ اليوم هازئاً يضحك من حاضره، وأخذوا هم يضحكون حتى يُجاري الوضع السائد. طبعاً حينما يرى هؤلاء هذا الشيء يقولون له: طوبى لك فأنت متحضر؛ ليشعروه بالغبطة والحبور، إلا أنَّ الحاصل في الحقيقة هو أنهم تمكنوا من إزاحة مانع عن طريقهم.

وهنا يتعين على شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، بل وحتى المسلم المؤمن بأمير المؤمنين علي عليه السلام أن يستلهم العبر من شجاعة ذلك الإمام، فلا يستوحشوا من إغراض العدو ومن الإحساس بالغرابة.

لا تنزعزع عقيدتكم بالجواهر الثمينة التي عندكم من سخرية العدو، فإنكم قد أمسكتكم بجوهرة نفيسة وأنجزتم عملاً كبيراً واكتشفتهم في بلادكم كنزاً لا ينضب، لقد وجدتم الإسلام وحصلتم على الاستقلال والحرية وتمكنتم من التخلص من رقة القوى العظمى.

ففي يوم ما كانت هذه البلاد وهذه الجامعة وطهران وهذا المعسكر والقوات المسلحة ودوائر الدولة والوزارات وهذه الأجهزة الاستخبارية كلها ملكاً لأمريكا. أمّا حالياً فلو شوهد (في أقصى نقاط البلاد في الأرياف) الوطن الكبير في العالم، فهنا ينتعش كل شيء ويبرز نفسه، وسيلفت بريق الشعب الإيراني الأنظار إليه بالتدرج.

إنَّ شجاعة علي بن أبي طالب وصروده أمام ذلك الباطل الذي أرادوا إجباره عليه هو اليوم درسنا الكبير - بالشرح الذي نقلناه حول تلك الشخصية العظيمة - (١).

٤- تقوى أمير المؤمنين عليه السلام

إنّ الاسم المبارك لأمير المؤمنين عليه السلام عمّ الكثير من النشاطات والفعاليات العلمية والثقافية على امتداد هذا العام، بيد أنّ المهم هو التشبّه بعلي عليه السلام، أو السير بهذا الإتجاه إن زعمنا في ذلك نوعاً من المبالغة، فعلى الجميع وبالذات مسؤولي البلاد ومن ألقى على عواتقهم جانب من المسؤولية في بعدها الاجتماعي، السعي لأن تتواكب أعمالهم مع الإتجاه الذي يفضي إلى التشبّه بأمير المؤمنين عليه السلام.

إنّ اسم أمير المؤمنين عليه السلام موضع اعتزاز من قبل الجميع، وإن شعبنا يفيض حباً لهذا الرجل العظيم؛ وإذا ما حاولنا البلوغ بأنفسنا إلى المستوى الذي ينشده الإسلام فذلك يعدّ أفضل إشارة نجاح بالنسبة لنا.

ينبغي عدم الاكتفاء بالأعمال الثقافية والعلمية، فلا بد أن نصب الجهود للاقتراب بسلوكنا وأعمالنا، لاسيما في القضايا الاجتماعية وبالذات في مجال الشؤون الحكومية، من سيرة ذلك العظيم.

إنّ تقوى أمير المؤمنين عليه السلام وزهده، ودنوّه من الطبقات المستضعفة والمسحوقه وحنوّه عليها، وعمله في سبيل الله، واستقامته وتفانيه ودأبه في سبيل الأهداف السامية، كل منها يعدّ عنواناً، بمقدور المسؤولين ومن هم تحت مسؤوليتهم توجيه مسيرتهم في اتجاهها - أو باتجاه واحد منها على أقل تقدير - وحثهم على الحركة وبذل الجهود، وإذا ما أفلحنا في أن نجعل من سيرة ذلك الرجل العظيم أسوة للمسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية، وبذلنا جهودنا للاقتراب منها، فمن المسلّم به أن معالجة المشاكل الحياتية لأبناء شعبنا وبلدنا ستيسر آنذاك كثيراً

وستنفتح أبواب الكمال أمام شعبنا العزيز وتصبح أكثر يسراً^(١).

شخصية أمير المؤمنين.. قوة ومظلومية وانتصار

إنَّ زاد الإنسان لما بعد الممات هو التقوى، ومؤنثته في السير على النهج القويم في الحياة هي التقوى، وأجلّ منفعة يجنيها العبد من الصيام هي التقوى، وأهم عطاء ينجم عن مجاهدة النفس ومحاربة الأهواء النفسية هو التقوى. وهكذا يجب أن تتركز همّة المؤمنين جميعاً؛ شيوخاً وشباباً ورجالاً ونساءً، ومن أية شريحة أو طبقة كانوا، على اكتساب التقوى. والتقوى حصن للمرء في وجه الأعداء، وهي هُدًى لسواء السبيل ولما فيه رضا الله.

أكبر خصائص علي عليه السلام التقوى، وكتابه المعروف بنهج البلاغة كتاب تقوى، ونهجه في الحياة مبني على التقوى^(٢).

(١) من كلمة ألقاها في بداية حلول العام الهجري الشمسي الجديد (١٣٨٠).

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

٥- قوة أمير المؤمنين عليه السلام

فقوته تكمن في إرادته الصلبة وعزمه الراسخ، وفي تسيير دفة الشؤون العسكرية في أعقد المواقف، وفي هداية العقول نحو أسنى المفاهيم الإسلامية والإنسانية، وتربية وإعداد شخصيات كبرى من قبيل مالك الأشتر وعمّار وابن عباس ومحمّد بن أبي بكر وغيرهم، وشقّ مسار مميز في تاريخ الإنسانية.

ويتمثل مظهر قوّته في اقتداره المنطقي واقتداره في ميادين الفكر والسياسة، وفي اقتدار حكومته وشدة ساعده.

ليس لمة ضعف في شخصية أمير المؤمنين في أي جانب من جوانبها^(١).

٦- مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام

يعتبر علي عليه السلام من أبرز الشخصيات المظلومة في التاريخ، وقد كانت مظلوميته في كل جوانب حياته؛ لقد ظلّم في أيام شبابه، حيث تعرّض للظلم حينذاك من بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وظلّم في سنوات كهولته وفي عهد خلافته واستشهد مظلوماً، وظل من بعد استشهاده يُسبّ على المنابر على مدى سنوات طوال، وتُنسب إليه شتى الأكاذيب.

لدينا في تاريخنا الإسلامي شخصيتان أطلقت عليهما صفة ثار الله.

فعندما يقتل شخص ظلماً فأسرته هي وليّ دمه، وهذا هو ما يسمّى بالثار، ولأسرته حق المطالبة بثاره. أما ما يسمّى بثار الله فهو تعبير قاصر وناقص لكلمة الثار

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

ولا يوصل المعنى المطلوب. فالثأر معناه حق المطالبة بالدم؛ فإذا كان لأسرة ما ثأر، فلها حق المطالبة به.

وورد في التاريخ الإسلامي اسما شخصيتين، وليّ دمهما الله، وهو الذي يطلب بثأرهما؛ أحدهما الإمام الحسين عليه السلام، والآخر هو أبوه أمير المؤمنين عليه السلام: «يا ثأر الله وابن ثأره»، أي أنّ الطالب بدم أبيه هو الله تعالى أيضاً^(١).

لو أردنا الخروج بنتيجة ملخّصة عن الظروف التي عاشها أمير المؤمنين في حياته وفي عهد حكومته لقلنا أنها كانت حكومة قوية ولكنها في الوقت ذاته مظلومة ومنتصرة. بمعنى أنه استطاع قهر أعدائه في أيام حياته، واستطاع من بعد استشهاد مظلوماً أن يتحول إلى شعلة وهّاجة على مدى تاريخ الإنسانية. ولاشك في أنّ المرارة التي ذاقها أمير المؤمنين عليه السلام خلال هذه الفترة تعتبر من أشد وأصعب المعن في التاريخ^(٢).

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

٧- المؤيد والمنصور دائماً

الصفة السابعة لأmir المؤمنين والتي طبعت على حياته ^{عليه السلام} هو النصر؛ حيث تغلب في حياته على جميع التجارب العصبية التي فرضت عليه؛ ولم تستطع جميع الجبهات التي فتحها أعداؤه ضده أن تنال منه وإنما تفهقرت كلها أمامه.

ومن بعد استشهاده أخذت حقيقته الناصعة تتجلى وتفتح يوماً بعد آخر أكثر مما كانت عليه حتى في أيام حياته.

ففي عالم اليوم، ليس العالم الإسلامي وحده وإنما العالم كله، هناك أناس كثيرون لا يؤمنون حتى بالإسلام، إلا أنهم يؤمنون بعلي بن أبي طالب كشخصية تاريخية لامعة.

وهذا هو جلاء ذلك الجوهر الوهاج، وكأن الله يكافئه على ما لحق به من ظلم. فلا بد وأن لتلك الظلومية ولذلك الكبت والضغط والتعتيم على ضوء الشمس، وتلك التهم الشنيعة، وما واجهها به من صبر، ثواباً عند الله، وثوابها هو أنك لا تجد على مدى التاريخ شخصية على هذه الدرجة من الاشراف ونالت كل هذا الاجماع في القبول. ولعل أفضل الكتب التي سطرته حتى اليوم بحق أمير المؤمنين، كان أكثرها ولهاً وحباً هي تلك التي كتبها أشخاص غير مسلمين.

وتحتفظ ذاكرتي حالياً بأسماء ثلاثة كتّاب مسيحيين كتبوا بوليه حول أمير المؤمنين كتباً جديدة بالثناء حقاً؛ وهذا الحب نشأ منذ اليوم الأول، أي من بعد استشهاده، حيث تكالب الجميع على الإساءة إليه والانتقاص منه، من الطغمة التي كانت تحكم الشام ومن كان يدور في فلکها، ومن امتلاً غيظاً من سيف أمير المؤمنين ومن عدل أمير المؤمنين. فكانت هذه القضية قد اتضحت منذ ذلك

الوقت، وأنا أذكرها هنا مثلاً واحداً على ذلك:

انتقص ذات يوم ابن عبد الله بن عروة بن الزبير من أمير المؤمنين عليه السلام، أمام أبيه عبد الله بن عروة بن الزبير. وكان آل الزبير كلهم ضد عليّ إلا واحداً منهم وهو مصعب بن الزبير الذي كان رجلاً شجاعاً كريماً، وهو الذي دخل لاحقاً في صراع مع المختار الثقفي في الكوفة، ومن بعده مع عبد الملك بن مروان، وهو زوج سكينه؛ أي انه أول صهر للحسين عليه السلام. كان آل الزبير - باستثنائه - كلهم خصوماً لأmir المؤمنين عليه السلام أباً عن جدّ. وهذا ما يدركه الإنسان من خلال دراسته للتاريخ. وبعدما سمع عبد الله ذلك الانتقاص على لسان ابنه قال جملة ليست حيادية كثيراً، إلا أنها تنطوي على نقطة مهمة سجّلتها لديّ وهي: «والله يا بني، ما بنى الناس شيئاً قط إلا هدمه الدين، ولا بنى الدين شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه». أي أنهم يحاولون عبثاً هدم اسم أمير المؤمنين القائم اسمه على أساس الدين والإيمان، «ألم تر إلى عليّ كيف تظهر بنو مروان من عيبه وذمّه، والله لكانهم يأخذون بناصيته رفعا إلى السماء. وما ترى ما يندبون به موتاهم من التآبين والمديح، والله لكانما يكشفون به عن الجيف»^(١).

لعل هذه الكلمة قيلت بعد حوالي ثلاثين سنة بعد شهادة أمير المؤمنين، أي أن أمير المؤمنين وعلى الرغم من فداحة الظلم الذي نزل به، أضحى هو المنتصر في حياته وفي التاريخ وفي ذاكرة الإنسانية^(٢).

(١) انظر البيان والتبيين لأبي عثمان: ٣٠١ / ١.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

الشخصية المعنوية لأمير المؤمنين عليه السلام

إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يدخل في عداد الشخصيات المحبوبة اليوم وبالأمس، ليس بين الشيعة فحسب وإنما بين المسلمين كافة، بل وبين أحرار العالم قاطبة حتى من غير المسلمين، وقلما تجد شخصية كبرى حتى بين الأنبياء الإلهيين عليهم السلام حظيت حتى بين غير أتباعها ومريديها بمثل ما حظيت به شخصية أمير المؤمنين عليه السلام من الثناء والتمجيد.

لا شك في أن معرفتنا ضئيلة ورؤيتنا قاصرة، وإلا فهو عليه السلام ذو شخصية معنوية خارقة. ونحن غير قادرين على معرفة كل أبعاد شخصيته على الوجه الصحيح، وخاصة الجوانب المعنوية والإلهية منها، وهي جوانب يتعسر فهمها حتى على الكثير من أولياء الله (١).

بيد أنَّ الأبعاد الظاهرية لشخصيته كان لها من الجاذبية والروعة ما جعلها تنال الإعجاب والحب حتى لدى من لا يفهمون القضايا والأبعاد المعنوية للشخصيات الإنسانية وأولياء الله.

كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يتصف في مختلف أدوار حياته؛ سواء في مقتبل شبابه؛ أي في أوائل بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أم في عنفوان شبابه؛ أي في الفترة التي وقعت فيها الهجرة إلى المدينة - وكان حينها شاباً في العشرين ونيّف من العمر - أم في مرحلة ما بعد رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ حينما واجه تلك الابتلاءات

(١) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم: «يا علي ما عرفك إلا الله وأنا، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرف الله إلا أنا وأنت».

والمحن العسيرة، أم في السنوات الأخيرة من حياته، أي في السنوات الخمس الأخيرة من عمره حين أخذ بزمام الخلافة وتصدى للمسؤولية، كان طوال هذه الخمسين سنة تقريباً، يتصف بخصائص بارزة يمكن للجميع - وخاصة الشباب - استقاء الدروس منها.

٨- اليقظة عند علي عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام يتحلى منذ مطلع شبابه وحتى شهادته بصفة اليقظة، فهو لم يقع ولا حتى لحظة واحدة فريسة للغفلة وسوء الفهم والانحراف الفكري أو الخطأ في فهم الحقائق. فمنذ أن خفقت راية الإسلام بيد الرسول صلى الله عليه وآله انطلقاً من غار حراء في جبل النور وجرت على لسانه كلمة «لا إله إلا الله»، وصدق مبشراً بالنبوة والرسالة، استطاع علي بن أبي طالب تشخيص هذه الحقيقة الوضاعة وثبت على موقفه ذاك وألف كل ما نجم عن ذلك الموقف من مشاكل وصعوبات. فإن تطلب جهداً، بذل له جهده، وإن تطلب حرباً حارب من أجله، وإن استلزم تضحية، وضع روحه على طبق الاخلاص ونزل إلى الميدان، وإذا استدعى عملاً سياسياً ونشاطاً إدارياً وحكومياً، أذاه خير أداء. ولم يكن في معزل عن الوعي والبصيرة حتى لحظة واحدة.

٩- الصبر والثبات

الصفة التاسعة عند علي عليه السلام هي الصبر والثبات؛ فقد تمسك وثبت على هذا الصراط المستقيم. ولاشك في أنّ الصبر والثبات والجهد الذي لا يعرف الكلل وعدم مطاوعة الأهواء النفسية التي تميل بالمرء إلى التكاسل وترك العمل، تعد صفات بالغة الأهمية.

أجل، إن عصمة أمير المؤمنين عليه السلام غير قابلة للتقليد، وشخصيته لا يمكن أن تقارن بها شخصية أخرى. وكل شخصية عرفناها في بيئتنا أو في تاريخنا إذا أريد مقارنتها بشخصية أمير المؤمنين تكون كمقارنة ذرة بالشمس - إذ لا وجه للمقارنة

بينهما - بيد أن هذه الصفة التي كانت في أمير المؤمنين عليه السلام يمكن تقليدها والاقتداء بها.

فلا يمكن لقائل أن يقول إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يحمل صفة الصبر انطلاقاً من كونه أمير المؤمنين عليه السلام بلى كانت هي نتيجة مثابرة وثبات في مختلف الميادين، فعلى الجميع السعي لاكتساب صفات علي عليه السلام والتقرب بها - كل حسب همته وكفاءته - من أمير المؤمنين عليه السلام.

أثر البصيرة والصبر في المجتمعات

إن كل مشكلة يقع فيها الأفراد أو الجماعات ناجمة عن واحدة من هاتين الصفتين؛ إما انعدام البصيرة وإما انعدام الصبر. فإما أنهم يغفلون ويعجزون عن تشخيص الحقائق وفهمها، وإما أنهم مع فهمهم لها يعجزون عن الصمود بوجهها. ولهذا السبب نجد تاريخ البشرية حافلاً بالمحن الكبرى للشعوب، وطافحاً بغلبة الأقوياء على الشعوب الغافلة والعاجزة عن الصمود وذلك نتيجة لوجود واحدة من هاتين الصفتين أو كليهما معاً.

فقد تمر على بعض الشعوب عشرات أو حتى مئات السنين تبقى خلالها رازحة تحت سيطرة قوّة كبرى. ولكن لماذا توجد هذه الحالة؟ ألم يكن لشعوبها شعور إنساني؟ بلى، كان لهم ولكنهم إما كانوا يفتقدون البصيرة، أو أنهم إذا كانت لهم بصيرة، لم تكن لهم قدرة على الصبر. أي أنهم كانوا يفتقدون إما للوعي أو للقدرة على الثبات والصمود.

وكلما أوغلنا في العهود التي سبقت الثورة ندرك مدى فداحة المحنة والذل والتعاسة وشتى ألوان الضغوط التي كانت تمارسها الطبقات الحاكمة والسلطات المستبدة، ومدى الغطرسة والاستخفاف الذي كانت تمارسه القوى الأجنبية في

بلدنا.

لقد مرّت على هذا البلد عهود من السيطرة البريطانية تارة، والروسية تارة أخرى، ثم كلاهما معاً تارة ثالثة، ثم أخيراً السيطرة الأمريكية وكان كل ما تقرره تلك القوى يجري على هذا الشعب. في وقت كان شعبنا هو هذا الشعب نفسه ويتصف بنفس هذه الطاقات والكفاءات التي ازدهرت اليوم وأشرقت لدى شبابنا كإشراقة الشمس والكواكب. إلا أنه كان حينذاك على قدر ضئيل من البصيرة والصبر بسبب وجود الحكومات غير الكفوءة وما كانت تشيعه من تربية مغلوبة. وحينما ظهرت بين أبنائه شخصيات واعية فاهمة حكيمة، وظهر شخص كالإمام الخميني نفخوا في هذا الشعب روح البصيرة وحفزوه على الصبر وأشاعوا بينه مفاهيم ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾^(١) فنجم عن ذلك انبثاق هذا البحر الهادر ووضعت نهاية لحقبة تاريخية مليئة بالذلة والمحن، وقُطع دابر التسلط الأجنبي على هذا البلد.

إذا نظرتم اليوم إلى الأفق السياسي في العالم، ورأيتم شعباً لا وجود للتسلط الأجنبي عليه، فذلك هو الشعب الإيراني. وإذا وجدت عدّة دول وشعوب تحمل مثل هذه الصفة، فلا بد وأنّ إيران والشعب الإيراني يحتلان مركز الصدارة بينها.

ويعود سبب ذلك إلى أن أبناء هذا الشعب وشبابه ومسؤوليه وقادته استلهموا درس البصيرة والصبر من أمير المؤمنين عليه السلام. إذن فهاتان الخاصيتان على هذا القدر من الأهمية.

كما أنّ الذين يمسكون بزمام القوى السياسية السلطوية ويترأسون الشركات الاقتصادية ويديرون الأجهزة الدعائية السرطانية والشبكات الاعلامية النفعية الهائلة، إنما يسيطرون على الشعوب الأخرى بواسطة واحدة من هاتين الخاصيتين،

أو يحاولون سلبها بصيرتها وإبقائها في حالة سبات وغفلة. وإذا لم يتأت لهم سلبها بصيرتها كلياً، يحاولون على الأقل سلبها تلك البصيرة في مورد معين وفي قضية خاصة تحظى لديهم بالأهمية، أو يحاولون أن يجعلوها عاجزة عن الصبر والتحمّل^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٣ رجب ١٤١٩ هـ - طهران.

١٠ و ١١ - الصراحة والصدق عند علي عليه السلام

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام في شخصيته مظهراً لمزايا ما لو جسدناها نحن - مسؤولين وجماهير - في أقوالنا وأفعالنا لبلغ مجتمعنا الإسلامي ذروة مجده وسؤدده، فمن السهولة لأي شعب طيَّ طريقه نحو المجد والرقي وإصلاح دنياه وآخرته، ولا وجود للطريق المسدود أمام من آمن بالله وبرسالة الإنسان، وبوسع أي شعب إزالة ما يعترض طريقه نحو السمو والتكامل من معضلات وعثرات، وذلك مشروط بأن تتوفر فيه تلك المزايا الضرورية لذلك التحرك العظيم الشامل؛ تلك المزايا التي كان أمير المؤمنين عليه السلام مظهراً لها؛ إذ كان عليه السلام مظهراً للتقوى والأمانة بالإضافة لصدقه وصراحته، فبالرغم من أنه عليه السلام كان سياسياً وزعيماً للأمة الإسلامية ويتولى إدارة شؤون عشرات الملايين من المسلمين في ذلك الزمان الذي كان يخلو من وسائل الاتصال الحديثة، ولكن سياسته لم تؤد به إلى مجانبة سبيل الصراحة والصدق، بل كان عليه السلام صادقاً صريحاً يقول ما يؤمن به ويدل عليه عملياً، وهذا ما جعل كلماته تبقى على مدى التاريخ نبراساً يستنير به أعلام الفكر في العالم.

لم يستبطن أمير المؤمنين عليه السلام أيّاً من أفعال السياسيين - سواء في عصرنا هذا أو على مرّ التاريخ - أو ما يتلفظون به من أقوال ترددها ألسنتهم دون أن تعتقد بها قلوبهم، وما يتظاهرون به نفاقاً وهو معاكس لما تضمّره بواطنهم.

انظروا إلى ما يطلقه أرباب السياسة من كلمات براقية جذابة حيث ينادون باسم الإنسان وحقوقه، وحاكمية الشعب، والسلام، والقداسة، غير أن أيّاً من هذه الحقائق لا وجود له في داخلهم أو على الصعيد العملي.

ومثل هذا الواقع كان موجوداً قبل عهد أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك في يومنا هذا،

بيد أن أمير المؤمنين عليه السلام - تلك القمة الإنسانية السامقة - عمل بما يعاكس غالبية أرباب السياسة في هذا المضمار.

قيمة الإنسانية عند علي

تمثلت ميزته عليه السلام في أنه عندما كان ينادي باسم الإنسانية فلما يراه من قيمة حقيقية لها، وليس مثلما يفعله الداعمون للارهاب الدولي - والصهاينة ممن يحترفون الارهاب في عصرنا - وللناهبين الدوليين المتمثلين اليوم بالناشطين خلف الكواليس من قوى الاستكبار وأصحاب الثروة في العالم، وحماة المعتدين الذين يسحقون حقوق الإنسان، ثم ينادون دون حياء باسم حقوق الإنسان وسيادة الشعب، محملين بذلك الشعوب المتهمة!

إنهم يرفضون نظام الجمهورية الإسلامية ولا يرون فيه نظاماً منبثقاً عن حاكمية الشعب! لكنهم يعتبرون الأنظمة الفردية المطلقة والحكومات الملكية الوراثية، وتلك التي جاءت عن طريق الانقلابات العسكرية، وتلك الأنظمة التي لا يشعر تلاميذ المدارس فيها بالأمان من تجاوز قوى الأمن فيها بل ويقتلون على أيديهم، أنظمة تلتزم بحقوق الإنسان.. يا لها من مهزلة سياسية عالمية!

١٢- الصرامة والتصلب عند علي عليه السلام

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام ينادي باسم الأمة لأنه كان نصيراً واقعياً للأمة وضعفائها، ومن سجاياه الأخرى العطف على الضعفاء والتصلب والصرامة إزاء الأقوياء وبلغاة الباطل، وقلة الاستفادة من الثروات العامة، فمن كان يرى في بيت مال المسلمين ملكاً عضوضاً - سواء صرح بذلك أم لا، أو كان عمله يوحى بذلك بحيث يأكل ما يشاء ويهب ما يشاء ويوظفه لأغراضه الشخصية - لا قدرة له على الادعاء بتبعيته لعلي عليه السلام، وواجبنا الالتزام بالسمت العلوي في كل هذه الحقول، وذلك يتمثل في العمل الكثير مع قلة الاستفادة.

فلقد كان أمير المؤمنين عليه السلام متواجداً في وسط الساحة ومثابراً على العمل، سواء في الفترة التي تولى فيها أمر الحكومة أو عندما كان يعيش العزلة التي فرضوها عليه، ولم يمر وقت على علي عليه السلام أصبح فيه جليس الدار زاوياً عن الأمة والمجتمع، فليس ذلك من سجاياه أبداً.

١٣ - تعبئة الطاقات في سبيل الحق

ومن مزاياه أيضاً تعبئة الطاقات في سبيل الحق ومواجهة الباطل، فلا يجوز لأحد القول لماذا تُعبئون الأمة وتوجهون مشاعرها ضد الاستكبار وما يرتكبه من مظالم وضد مرتزقة أعداء الله، فإن تلك ميزة اتصف بها أمير المؤمنين عليه السلام، فعلينا نحن أيضاً أن نصنع كما صنع أمير المؤمنين عليه السلام فنعبئ كل الطاقات، كل القلوب، كل الأبدان والامكانيات في سبيل الحق ومواجهة الباطل. وعلينا التأهب بأرواحنا وقلوبنا، وتعبئة شببيتنا وذوي الأفئدة النورانية - حيث يزدهي مجتمعنا المعاصر بوجود الشباب ذوي القلوب الطاهرة - في سبيل الله وطريق الحقيقة والعمل المخلص حيث إن إيران الإسلام بأمس الحاجة لذلك في هذه المرحلة.

وامتاز عليه السلام أيضاً بمقارعة ذوي الظواهر المقدسة المتحجرين الخاوين، فلقد تصدى أمير المؤمنين عليه السلام - ذلك العابد الزاهد الذاكر الذي احتفظت ذاكرة نخيلات الكوفة بصراخات أدعيته ومناجاته إلى الأبد - لأولئك الذين أرادوا التسلل بكيانهم الشخصي إلى نفوس الناس عن طريق التقديس والعبادة المتحجرة الخاوية؛ هؤلاء الذين حتى لو توفروا على الاخلاص فإنهم قد عطلوا سائر الأبعاد في شخصياتهم وشخصيات الآخرين، فلقد كان أمير المؤمنين عليه السلام ينطق بلب الحقيقة، سواء تطابقت مع أذواق مختلف التيارات أم لا، وسواء اتفقت مع مذاق أولئك الذين يتشبثون بالظواهر تاركين الباطل أم لا، وانسجمت مع ميول الذين يريدون تفسير الدين وفقاً لأرائهم الشخصية أم لا.

هؤلاء جميعاً كانوا في زمن أمير المؤمنين عليه السلام والتاريخ يذكر نماذج لهم، أما إسلام أمير المؤمنين عليه السلام فهو إسلام زاخر بالذكر والحيوية والنشاط والتحرك والبناء

والجهاد والتضحية والايثار، وحيث إننا نشاهد مثل هذه النماذج في وقتنا الراهن فذلك مما يعني أن هنالك مسؤولية تقع على عواتقنا.

علينا السير باتجاه هذه القمة السامقة

ليس هنالك من يمتلك القدرة على مقارنة نفسه بعلي عليه السلام، غير أن الجميع لهم القابلية على السير باتجاه هذه القمة السامقة، فأمر المؤمنين شاخص بذاته، ونحن - المسؤولين - ملزمون بالدرجة الأولى بملاءمة عملنا مع عمل أمير المؤمنين عليه السلام ومقارنة توجهاتنا مع توجهاته، وهذا التكليف يسري إلى أبناء الشعب أيضاً.

ولقد تقدم مني القول انه عليه السلام كان سياسياً ومدبراً ومواطناً عادياً أيضاً وقد اجتمعت كافة الأبعاد في شخصيته عليه السلام؛ وبهذا فإمكان مختلف طبقات الشعب شبيهاً وشباناً رجالاً ونساءً استلهام الدرس من أمير المؤمنين عليه السلام، بيد أن الثقل الأكبر يقع على عاتق المسؤولين.

إن مهمة المسؤولين باهظة للغاية ولا بد أن تتجذر السيرة العلوية في أوساطنا نحن المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية، يومها لن يبقى خطر يتهدد هذا النظام.

أمير المؤمنين قدوة الثورة الإسلامية

لقد قامت الثورة الإسلامية على أساس الاقتداء بهذه الشخصية الكاملة لعلي عليه السلام من جميع الجوانب، ولم يدر في خلد أولئك الذين حاولوا اصطناع الأشباه للثورة الإسلامية من الثورات التي سبقتها أو من بعض الوقائع التي شهدتها البلدان الأخرى، أن الثورة الإسلامية قد اتخذت من أمير المؤمنين عليه السلام قدوة وأنموذجاً وعنهما تبلور نظام الجمهورية الإسلامية، وعلى هذا تركزت تعليمات

إمامنا العظيم (ره) الذي يعد تلميذ مدرسة أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) وأحد تابعيها، سواء في قوله أو في فعله، وإذا ما أمعنتم النظر في تعاليمه (ره) ستجدون الملامح العلوية تطبعها جميعاً وذلك ما حدا بالأعداء لأن ينشطوا في مناصبته العدا، ولقد استهدف أعداء الثورة ونظام الجمهورية الإسلامية - وهم أعداء الشعب الإيراني أيضاً - في حملاتهم الإعلامية إشاعة كل ما من شأنه التضاد مع الخط الذي رسمه إمامنا الراحل وفق معالم معينة، وأن شعبنا العزيز لم ولن يستسلم للضغوط الاعلامية التي يمارسها العدو، غير أن هنالك مَنْ هم في أوساطنا قد وقعوا في الخطأ وسلكوا طريقاً منحرفاً وجرفوا معهم بعض الفئات.

لقد علّم الإمام (ره) شعبنا بأن تكليف المسؤولين في الاهتمام بالمستضعفين والحفاة والعناية بمتطلبات الجماهير، فيما جعل أولئك في إعلامهم وفي غزوهم الثقافي من الاهتمام بمآرب القوى الاستكبارية ملاكاً لهم، فهم يتجنبون ما يرون فيه ازعاجاً لأمريكا، ويتحركون بالإتجاه الذي يستسيغه السلطويون والمتغطرسون في العالم، وتلك هي النقطة المعاكسة للتعاليم التي تحملها الجمهورية الإسلامية وكانت تتجلى فيما ينطق به إمامنا العظيم.

لقد علّمنا الإمام أن نطلق ما لدينا من صرخات بوجه أمريكا، بيد أن البعض ينزلون صرخاتهم على رؤوس مواطنيهم ويعلمون الآخرين على إنزال صرخاتهم على بعضهم البعض! وطالما تكرر من الإمام في وصيته أو في تعليماته، التي كانت تصدر عنه أيام حياته الميمونة، التحذير من الغرباء والأجانب والنفوذيين، ويردد: احذروا الذين لم تجمعهم أية آصرة مع الثورة والنظام والإسلام ومع مصالح الشعب من أن يتسللوا إلى مراكز اتخاذ القرار في البلدا

والإمام (ره) هو أول من أثار قضية الغرباء والأجانب والأبعاد الذين يسرون في الإتجاه المعاكس لخط الإمام ويدعون إلى الحذر من الأصدقاء وتجنبهم، ويحاولون

إثارة ذلك عبر عناوين شتى من قبيل اليمين واليسار.

إنّ الجمهورية الإسلامية اتخذت من أمير المؤمنين عليه السلام - الأسوة في الإيمان والتقوى والطهارة ورعاية المحرومين وتلبية إرادة الطبقات المحرومة في المجتمع والمحافظة على المصالح العامة - قدوة لها، ومن الطبيعي أن ينبري البعض لمعاداة ومناهضة هكذا نظام وحكومة وبلد يرفض الخنوع والاستسلام للعدو الذي يرمي التدخل في شؤونه، ولا يبسط الأرض وروداً تحت أقدام الغزاة، ولا يسلم مصالحه بيد الأجانب، ويصمد مدافعاً عن حقوقه (١).

السيرة العلوية درس خالد لنا

إن مسؤولي البلاد مكلفون دائماً بأن يضعوا السيرة العلوية في مقدمة أعمالهم وطروحاتهم؛ فالنظام الإسلامي إنما يعتربه التزلزل حقاً متى ما نسي امتلاكه لنموذج ومثال عظيم كعلي بن أبي طالب عليه السلام.

فيجب أن يكون الحكم العلوي نصب أعيننا على الدوام ونتحرك باتجاهه ونصبو إليه ونعمل من أجله، فأحلام من قاسى الظلم على مرّ العصور إنما ستتحقق في ظل حكومة تدار بالسيرة العلوية ليس إلا.

ما الذي قاسته البشرية على امتداد قرون تاريخها الطويل وأية آلام عانتها؟ لقد قاست البشرية من الإجحاف والتمييز والخطرة وهيمنة القوى الغاصبة وكذلك من القسوة والتقاتل.

إنّ النظام العلوي والحكومة العلوية تجعل الناس - ببركة العدل الشامل العام - يعيشون الأمن والاستقرار الحقيقيين، ولو منح أمير المؤمنين عليه السلام الفرصة لبنى

(١) من كلمة ألقاها في ٢٥ ذي الحجة ١٤٢١ هـ - حرم الإمام الرضا عليه السلام.

عالمًا زاهرًا ماديًا ومعنويًا ملؤه العدل والاستقرار والسلام الحقيقي لم يسبق للبشرية أن رأت مثله؛ واليوم من المستعصي بلوغ تلکم الأمانی إلا في ظل مثل هذه السيرة. وبناءً على هذا فإن السيرة العلوية تعد درساً أبدياً بالنسبة لنا، لا تتوقف على عام واحد.

وبطبيعة الحال فإن الأهداف الكبرى إنما يتيسر تحقيقها بما يناسبها من الزمن المديد والسعي والمجاهدة، ولا يمكن بلوغها بالخلود إلى الدعة ومجاناً، بل لابد من بذل الجهد والتخطيط^(١).

تعاليم علي دستورنا

إنّ الدولة الإسلامية التي يمكنها تلبية أهداف الشعب الإيراني وثورته العظيمة، هي التي تخلو من الرشى والفساد الإداري والمحسوبيات، والتطفيف في العمل وإهمال الناس، والميل إلى الاستقراطية وتبذير بيت المال، إلى غير ذلك مما هو ضروري للدولة الإسلامية.

وجميع ذلك موجود في تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

ولا يقولن أحد أن هذا يعود إلى قبل أربعة عشر قرناً، إذ لا يزال هناك من يكرر هذه الشبهات التي تمّ ردّها مئات المرات.

إنّ الأصول والحقائق الإنسانية لا تتغير بتعاقب الأزمنة، فالإنسان ينشد العدالة منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا وسينشدها إلى نهاية العالم، كما أنّ الناس على مرّ الأزمنة بحاجة إلى المسؤولين الأوفياء؛ الذين يخدمونهم ويعملون من أجلهم بصدق، فهذا ما لا يمكن له أن يتغير.

(١) من كلمة ألقاها في ١٤ محرم ١٤٢٣ هـ - محافظة خوزستان (معسكر دو كوهه).

إنّ درس أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة ناظر إلى هذه الأمور.

فقد قام أمير المؤمنين عليه السلام ببيان هذه الأصول وثوابت الحياة البشرية على طول التاريخ وهذا هو ما نريده ونصبر إليه، وإلا فنحن لا نقول بالاستمرار على السفر بوسائط النقل السائدة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، فبالإمكان حالياً الاستفادة من الطائرة، وربما استحدثت بعد مدة واسطة أسرع من الطائرة، وقد كان البريد يستغرق آنذاك مدة شهرين من الزمن كي يصل إلى غايته، في حين أن بإمكانكم حالياً الاتصال بجميع نقاط العالم عبر شبكة الانترنت لحظة بلحظة.

فهذه متغيرات، والحال أنّ العدالة والصلاح في المسؤولين شيء ثابت، وهكذا عدم التبذير بما في أيدينا من أموال الناس، فهذه لا تقبل التغيير، فإذا أمكننا بتوفيق الله بلوغ التكامل في هذا الإتجاه وواصلنا الخطوات التي قطعناها حتى الآن، فعندها سينعم بلدنا الإسلامي بالنحو الذي ذكرت، أي أن بإمكان الدولة الإسلامية إنشاء بلد إسلامي.

ولو كنت أنا وأمثالي من الصادقين فسيغدو بإمكاننا إنشاء مجتمع صادق.

ولو لم تستول علينا الأهواء فيمكننا إنشاء مجتمع متحرر من الأهواء، ولو كنا شجعاناً أمكننا إنشاء مجتمع شجاع. ولو كنتُ وأمثالي في أسر الأهواء والمطامع، وكنا أذلة خائفين كما أمكننا ذلك من إنشاء المجتمع على الفضائل.

ويتوقف ذلك على حظ الإنسان في العثور على أستاذٍ جيد ليعمل على تربيته من الناحية الفردية.

الدولة الإسلامية هي التي تنشئ بلداً إسلامياً، وإذا أقيم البلد الإسلامي أقيمت الحضارة الإسلامية؛ وعندها ستعمّ الثقافة الإنسانية أجواء المجتمعات قاطبة^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٢٨/٥/١٣٨٤ هـ - ١٣/٧/١٤٢٦ هـ - ق - ١٩/٨/٢٠٠٥ م.

١٤- تقوى أمير المؤمنين عليه السلام

كانت حياة أمير المؤمنين مظهراً للعلم والعقل والتقوى والشجاعة، هذه الخصال الأربع التي هي أكثر ما يحتاجه العالم الإسلامي اليوم شعوباً وحكومات.

إن الأمة الإسلامية إنما تكون قادرة على استثمار ذكرى مولد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، استثماراً عملياً حينما تجاهد لإيجاد هذه الخصال الأربع في وجودها، وتعميم هذه الخصال في أوساطها.

وفي هذه الحالة فقط ستصل اليقظة الإسلامية التي يتلمس العالم الإسلامي اليوم ثمارها بالتدرج إلى غاياتها المطلوبة.

يمثل أمير المؤمنين عليه السلام هامة الكرامة الإنسانية، وأسوة الحكماء على مر التاريخ، وإمام الصالحين والمتقين والمؤمنين والصادقين على مدى العصور.

ولكي لا نكتفي بمجرد الألفاظ والظواهر، ولكي نستلهم الدروس من أمير المؤمنين عليه السلام - وهو ما نحن بأمس الحاجة إليه حالياً - أتعرض هنا باختصار إلى درس من دروس ذلك الإمام العظيم، ألا وهو درس التقوى، وهو ما ينبغي التأكيد عليه أكثر من غيره.

مفهوم التقوى

إن التقوى هي الدرس الخالد الذي يُعطيه أمير المؤمنين عليه السلام، فلو أنكم تراجعون نهج البلاغة ستدركون أنه لم يدعْ إلى شيء بالمقدار الذي دعى فيه إلى التقوى. إن التقوى في الواقع من أهم المفاصل في حياة أمير المؤمنين العملية،

وتعاليمه الربانية.

والتقوى تعني مراقبة النفس، فعلى العبد أن يراقب نفسه دائماً، فيراقب أعماله وسلوكياته، أي يراقب عينه ولسانه وسمعه ويده، كما يراقب قلبه، وعدم تغلغل الخصال الحيوانية الدنيئة، وعدم الميل إلى الهوى، وعدم الانجذاب إلى المظاهر التي تؤدي به إلى الهاوية، فلا يضمّر الحسد ولا يريد الشرّ لغيره، وأن لا يسمح للوساوس بالتطرق إلى فؤاده، وعليه أن يجعل من قلبه مسرحاً للفضائل وذكر الله وحبّ أوليائه وعباده، وأن يراعي التقوى في الفكر والعقل، بأن يصون العقل من الانحراف والوقوع في الأخطاء والمزلق، وإنقاذه من الجمود، وتوظيف الذكاء في شؤون الحياة، وعليه فإن المراقبة المستمرة للجوارح والقلب والفكر والعقل، من التقوى؛ فإن الكثير من الأعمال التي نرتكبها والمزلق التي نقع فيها تنشأ من عدم المراقبة، وكثير من المعاصي تصدر عنا لا بقصد سابق، وإنما نغفل عن أنفسنا فنقع في الغيبة والتهمة وبتّ الشائعات والكذب، وهكذا الأمر بالنسبة إلى أيدينا وأعيننا. إذا الغفلة هي التي توقعنا في البلاء.

فلو أننا راقبنا أعيننا وألسنتنا وأيدينا وتواقيعنا وأحكامنا وكتاباتنا وكلامنا، فسنكون بمنأى عن كثير من الأخطاء والذنوب الكبيرة والصغيرة.

ولو أننا راقبنا أفئدتنا، لَمَا ترسّخ الحسد وإرادة الشر وسوء الظن والحقد والبخل والمخاوف الواهية والطمع بالأموال الدنيوية، والتعرض لأعراض الآخرين وممتلكاتهم.

إنّ هذه المراقبة تعتبر طريق العبد إلى النجاة، وإنّ العبد ليحصل على حسن العاقبة من خلال هذه المراقبة ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) ولو توفّرت هذه المراقبة لدى

العبد، فَسَتَقِيلُ نسبة احتمال وقوعه في المعصية، كما تثبت العدالة للعبد من خلال هذه المراقبة، وتنشأ استقامة الإنسان والأمة والمطالبة بالحق وإتباعه من هذه المراقبة.

فإنّ هذه المراقبة وهذه التقوى أمّ كلّ الفضائل، كما تحصل الهداية من خلال هذه المراقبة، وأنّ التقدّم في الدنيا والآخرة ناشئ من هذه المراقبة.

وعندما نراقب يشرع فكرنا بالعمل، ويصان قلبنا من الخطأ، ولا تقع جوارحنا وأعضاؤنا في الخطأ أو الزلل .

إنّ الدنيا والآخرة تحت ظلّ التقوى، هذا هو درس أمير المؤمنين عليه السلام، ونحن حالياً في أمّس الحاجة إليه، ولسنا بحاجة إليه في هذا اليوم فقط، وإنما نحتاجه دائماً، إلا أنّ هذه البرهة الزمنية مهمة بالنسبة لنا.

نحن شعب مسلم، وقد تمكن هذا الشعب من خلال إرادته الجماهيرية الراسخة من إقامة نظام منسجم مع إيمانه ومعتقداته في هذه البلاد.

فما هو هدف هذا النظام؟ وما هو هدف هذا الشعب؟ كان الهدف أن ينعم هذا البلد مع النظام بجميع الحسنات والتقدم والخيرات والبركات التي وعد بها الله تعالى الشعوب المؤمنة، بأن يكون بلداً إسلامياً أي البلد الذي يحكمه الإسلام النابض بالحياة والحيوية والتحرك، والخالي من الانحراف الفكري والتحجر والزيغ والتبعية.

الإسلام الذي يلهب النفوس بالشجاعة، ويهدي الناس إلى العلم والفكر، الإسلام الذي سار عليه المسلمون في القرن الأول منه، حيث تمكن أن يثبت الألفة بين جماعة متفرقة، ورفعها إلى قمة الحضارة التاريخية والعالمية، وأن تسيطر على العالم من خلال علمها وفكرها.

إنّ السيطرة والهيمنة العلمية تستتبع العزة السياسية والرفاه الاقتصادي والفضائل

الأخلاقية، لو أن البلد أصبح إسلامياً بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ ولكي يتحقق ذلك، كان علينا أن نقوم قبل كل شيء بحركة ثورية للإطاحة بالهيكل المتداعي والمهترئ والمائل والردئي الذي أقامته النظم الاستبدادية، وهذا ما أنجزه الشعب بقدرة تامة ونجاح كامل^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٢٨/٥/١٣٨٤ هـ - ١٣/٧/١٤٢٦ هـ - ق - ١٩/٨/٢٠٠٥ م.

١٥ - علي عليه السلام أكثر الناس أعداء ومحبين

لعلنا لا نستطيع العثور بين الوجوه المعروفة في العالم، وعلى الأخص بين الشخصيات الإسلامية على شخصية محبوبة لدى الشعوب وأتباع الأديان المختلفة وعلى مرّ العصور كشخصية أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ولا حتى رسول الله ﷺ نفسه؛ فحينما تنظرون تجدون حتى وفي ذلك الزمان الذي أوجد سيف عدالته الصارم في القلوب المتمردة والأرواح الأنانية البغض له، وأدى إلى تأليب جبهة واسعة من الخصوم ضده، تجدون خصومه حينما كانوا يراجعون أعماق نفوسهم يشعرون أزاء شخصيته بعقيدة مقرونة بالاجلال والتكريم والمحبة. واستمرت هذه الحالة حتى في العصور اللاحقة.

كان علي (عليه الصلاة والسلام) أكثر الناس أعداء، إلا أنه كان في نفس الوقت أكثر من حاز على الثناء حتى ممن لا يؤمنون بدينه ومنهجه.

جاء رجل إلى عبد الله بن عمر ليتحجب إليه، وقال: أنا أبغض علياً وكان يرى أنّ هؤلاء عائلياً لا يحبون علياً -، فقال له عبد الله بن عمر: (ابغضك الله، أبغض رجلاً سابقة من سوابقه خير من الدنيا وما فيها).

هذا هو أمير المؤمنين عليه السلام العظيم، هذا هو علي الساطع في التاريخ، هذه هي الشمس التي سطعت لعدة قرون وتزداد سطوعاً يوماً بعد يوم^(١).

ويروى أن آل الزبير كانوا في القرن الأول الهجري معروفين على الغالب بإظهار البغض والعداء لبني هاشم ولآل علي عليه السلام وجه الخصوص. وكان مصدر هذا العداء

(١) من كلمة ألقاها في ١٩ رمضان ١٤١٦ هـ

في الغالب هو عبدالله بن الزبير.

سأل أحد أحفاد الزبير أباه، ما لعلي وآله يلهج الناس بأسمائهم ويعلو ذكرهم كل يوم؛ فيما لا يلقى أعداؤهم غير الأقول والزوال السريع مع كل ما يحيطون به أنفسهم من دعايات؟

فقال له - ما يقارب هذا المضمون - إنهم دعوا إلى الله وإلى الحق، فلم يستطع أحد إخفاء فضلهم، لكن أعداءهم دعوا إلى الباطل.

وهكذا كان الحال على مرّ الزمن، أي أنّ المفكرين الكبار - من مسلمين وغير مسلمين - يعلنون إجلالهم لأmir المؤمنين عليه السلام. إذا نظرتم إلى الأبطال العظام الذين سعوا وقاموا لأجل شعوبهم، تلاحظون أنّ اسم أمير المؤمنين عليه السلام مبجل ومكرم لديهم. وإذا نظرتم إلى الشعراء والأدباء والفنانين ومن يضمرون المحبة لبني الإنسان تجدونهم أيضاً يكرمون اسم أمير المؤمنين عليه السلام.

وخلاصة القول هي أنّ كل من يدرس تاريخ الإسلام - شاباً كان أو شيخاً، عالماً كان أو من العامة - وتناهى إلى سمعه اسم وأخبار أمير المؤمنين عليه السلام، فهو يشعر أزاءه بالمحبة والتعطش والولاء.

في وقتنا الحاضر ألّفت عدّة كتب من قبل كتّاب وأدباء مصريين وغير مصريين عن أمير المؤمنين عليه السلام، كتب المسيحيون منها مجلدين أو أكثر، وهم وإن لم يعتقدوا بالإسلام، إلاّ أنّهم يعتقدون بأmir المؤمنين عليه السلام.

وهذا من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام من بين الشخصيات الإسلامية.

ولعل سبب ذلك يعزى إلى أنّ هذا الرجل الكبير أنفق كل وجوده على أفضل وجه في سبيل الأهداف السامية في مختلف أدوار حياته، وفي جميع الأوضاع والظروف، وفي كل موضع عاش فيه.

شباب أمير المؤمنين عليه السلام قدوة

ضعوا نصب أعينكم أمير المؤمنين عليه السلام وهو شاب يبلغ من العمر ست عشرة إلى تسع عشرة سنة عندما كان في مكة، أو في مطلع قدومه إلى المدينة؛ إذ لا زال حينها شاباً يبلغ عشرين ونيفاً من السنين، وأنظروا إلى المراحل المختلفة لحياة هذه الشخصية الكبرى، ترون أنّ هذا الشاب يمثل حقاً أفضل قدوة لأفضل الشبان في كل زمان؛ فلم تجتذبه جميع شهوات الشباب والملذات الدنيوية والمحاسن التي لها قيمة في نظر الشباب، ولم تكن تستهويه إلا تلك الأهداف الكبرى والسامية التي بُعث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من أجلها، فكل وجوده كان في خدمة هذا الهدف، وكل شيء آخر كانت له أهمية ثانوية بالنسبة له.

وإنه لأمر عظيم جداً أن لا يلتفت شاب حتى لحظة واحدة إلى الدنيا ولذاتها ومحاسنها، وأن ينفق عنفوان طاقته ونشاطه واندفاعه - أي كل ما يتحلّى به الشاب من طراوة وجمال وإيناع - في سبيل الله. وهذا منتهى الغاية في الاخلاص، وليس هناك - حقاً - ما هو أسمى من هذا.

لاحظوا هذا الرجل وقد بلغ سن الكمال والنضوج، وكان يعد واحداً من شخصيات مجتمعه، وهو محترم من قبل الجميع، ولعل آلاف الأشخاص قد سمعوا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وهو يحمده ويثني عليه. ولا أتصور أنّ أحداً من المحدثين المسلمين نقل بحق أي شخص ما يضاهاه كما وكيفاً هذا الثناء الذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن الطبيعي أنّ فضائل آخر قد نقلت بشأن صحابة آخرين، لكن لا أعتقد أنّ أياً من المحدثين المسلمين - من أي الفرق الإسلامية كان - قد نقل بشأن أحد غير

أمير المؤمنين عليه السلام أحاديثاً بهذه الكمية وبهذه الكيفية وبهذا المضمون (١).

ومن البديهي أنّ واحدة من هذه المحامد تكفي لإيقاع الإنسان في العجب والغرور وفقد الاتزان والخطأ في اختيار التكليف.

كل هؤلاء سمعوا مئات الأحاديث من لسان النبي صلى الله عليه وآله في الثناء على علي عليه السلام، ثم جاءت مرحلة الاختبار وعرضت قضية الخلافة - من غير أن نتناول قضية الحق والباطل والوصية وما إلى ذلك - ومن البديهي أنّ أمير المؤمنين كان يدّعي الخلافة؛ وهذا ممّا لا يشك فيه أحد، ولكنه حينما رأى أنّ مصلحة العالم الإسلامي تقتضي خروجه من الساحة، خرج منها.

أي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام طوى كل ذلك الثناء والتمجيد والمؤهلات وكل ما كان يراه لنفسه، وما سمعه وما يعرفه آلاف الأشخاص، طواه في ملف النسيان المؤقت ووضع جانباً. وبطبيعة الحال أنّ ذلك لم يكن يُنسى، ولا يُنسى، وهو باقٍ إلى أبد الدهر، إلاّ أنّه عليه السلام أعرض عنه، أي أنّه ومع كل ما ورد في حقه ومع كل ما في شخصه من المميزات لأمر الخلافة ورئاسة العالم الإسلامي والمسؤولية الكبرى، تنحى - عند شعوره بالخطر - جانباً وقال: ما مضمونه (٢): فلما رأيت خطورة الوضع، والمجازفة بدين النبي صلى الله عليه وآله كتفتُ يدي واعتزلت (٣).

إنّ رأي الإسلام حول الشباب ينطبق تماماً مع ما نراه اليوم بالنسبة للشباب وما نرجوه منهم ولهم.

ولقد أوصى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالشباب، وكان يحبهم ويستخدم طاقاتهم في

(١) قال أبو علي النيسابوري: لم يردني حق أحد من الصحابة بالأسانيد الصحاح الحسان أكثر ما ورد في حق علي. انظر الغدير: ١ / ٣٠١.

(٢) وهو كثير في خطبته عليه السلام المعروفة بالشفقية.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٣ رجب ١٤١٧ هـ.

الإنجازات الكبرى.

لا تنظروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام كشخصية في الأربعينات أو الخمسينات أو الستينات من عمره فحسب، بل إنه شخصية متألفة أيضاً في شبابه ويمثل نموذجاً خالداً يجدر بالشباب جميعاً أن يجعلوه أسوة لهم؛ ففي مرحلة شبابه في مكة كان عنصراً مضحياً وذكياً ونشطاً وشجاعاً ومقداماً وكان يزيل العقبات العسيرة من أمام الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله في كل المجالات ويعرض نفسه للمخاطر ويقوم بأشق الأعمال، وقد فدى الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله بنفسه ليلة هجرته إلى المدينة المنورة، وكان قائداً لجيشه بعد الهجرة وزعيماً للمجموعات النشطة وعالماً وواعياً وشهماً ومتسامحاً، وكان جندياً شجاعاً وقائداً مقداماً في عرصات القتال، كما كان كفوءاً في مجال الحكومة وشاباً متقدماً بمعنى الكلمة على صعيد القضايا الاجتماعية.

ولم يكن الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله يستفيد فقط من شخص مثل علي، بل إنه كان يستفيد من فئة الشباب والطاقات الشابة بقدر الاستطاعة في فترة حكمته البالغة عشرة أعوام وبضعة أشهر.

لقد ألقى الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله بإحدى المسؤوليات الكبرى على عاتق شاب في الثامنة عشرة من عمره في لحظة من أشد لحظات حياته حساسية؛ فالرسول صلوات الله عليه وآله كان يتولى أمر القيادة في الحروب، ولكنه أثناء الأسبوع الأخير من حياته وعندما شعر بقرب رحيله عن هذه الدنيا وليس بوسعه قيادة الجيش الذي وجهه إلى الأمبراطورية الرومانية - لما في هذا الأمر العظيم من مشقة، وكان من اللازم إسناده إلى طاقة قوية لا تثني عزيمتها العقبات - فإنه أسند هذه المسؤولية إلى شاب في الثامنة عشرة من عمره.

وكان بإمكان الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله إسناد هذه المسؤولية إلى رجل في الخمسين أو الستين من عمره من أصحاب التجارب في الحروب والجيّات ولكنه اختار لذلك

شاباً في الثامنة عشرة من عمره هو «أسامة بن زيد». كما كان الدافع إلى ذلك أيضاً هو الإيمان وأن والد أسامة كان من الشهداء.

فالرسول الأعظم ﷺ بعث أسامة على رأس البعث الذي كان على رأسه والده «زيد بن حارثة» منذ عامين والذي استشهد أيضاً في تلك المنطقة. وكان هذا البعث الذي ترأسه أسامة بأمر من الرسول ﷺ بعثاً عظيماً وجيشاً جرّاراً يضم كبار الصحابة من الشيوخ والقادة ذوي التجارب، في حين كان أسامة شاباً في الثامنة عشرة. وقد قال له الرسول ﷺ سأبعثك إلى تلك الأرض التي استشهد فيها أبوك - أي «موتة» التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية حينذاك، وتقع الآن في أرض الشام - لتعسكر هناك، ثم أصدر إليه أوامر القتال. وكذا كانت طاقة الشباب على هذا القدر من الأهمية لدى الرسول ﷺ (١).

(١) من كلمة ألقاها في ٢٥ محرم ١٤٢١ هـ - مصلّى الإمام الخميني (قده) بطهران .

١٦- تواضع علي الحاكم المقتدر

وليس هناك كبح لجماح النفس أسمى وأفضل وأبلغ وأعجب من التواضع بالنسبة للإنسان السياسي المخلص، وللإنسان العظيم الذي لا ينبغي الاستجابة لأهوائه النفسية.

وتصوروا هذا الإنسان نفسه في موقع رئاسة العالم الإسلامي، حينما أصبح زعيماً للمسلمين. فانهال الناس عليه وانتخبوه، شاء أم أبي. فكان الكل - الصديق والعدو والمنافس وغيرهم - بين مبايع وبين من أعلن عدم معارضته، وهؤلاء الذين امتنعوا عن البيعة كان عددهم ضئيلاً جداً، أربعة إلى ستة أشخاص، لكنهم قالوا أننا لا نعارض، وتنحوا جانباً، والبقية بايعوا بأجمعهم، وأصبح زعيماً لكل العالم الإسلامي.

أتعلمون ماذا يعني العالم الإسلامي يومذاك؟ إنه من حدود الهند إلى ضفاف البحر الأبيض المتوسط. هذا هو العالم الإسلامي آنذاك حيث كان يضم العراق ومصر والشام وفلسطين وإيران وغيرها، أي لعله كان رئيساً لنصف العالم المعمور آنذاك، وبقدرة تامة.

وكانت معيشة أمير المؤمنين عليه السلام وزهده الذي سمعتم به، يتعلق بهذه الفترة.

فالحياة الجميلة ولذاتها ورغدها وجمالها وغيرها من الأمور - التي يكفي واحد منها لاستمالة شخصيات كبرى واضطرابها في بوتقة ذلك الاختبار وانزلاقها وخروجها عن الصراط - لم تستطع بأجمعها أن توقع أمير المؤمنين عليه السلام في مهاوي الشك والاضطراب حتى لحظة واحدة؛ ناهيك أن تميله عن الصراط.

لقد أثبت هذا الإنسان الكبير أنه أقوى عزمًا وشكيمة^(١) من كل عوامل الإغواء. وهذه هي معاني العظمة، وهذه هي العناصر التي خضعت لها الأجيال والتاريخ وبنو الإنسان والمجتمعات. ولو رام أحد الانصافَ لما أمكنه العصيان والتمرد على مثل هذه الشخصية؛ بل إن القلوب تخضع له طوعاً^(٢).

عظمة الإمام الخميني لتخليه بتواضع علي

إنَّ من تعالتهُ رشحةٍ من سجايا أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، بإمكانه أن يتفوق على الكثير من أنماط الزيغ والنوازع الداخلية والخارجية.

فهذا الإمام الكبير الذي رأيتموه، كانت أكبر الشخصيات في عالمنا المعاصر تشعر أمامه بالضيعة. وحتى مندوبيه، فيما أنهم كانوا يحملون معهم اسم الإمام، فإنهم أينما حلوا كانوا يرغمون الطغاة والأكابر وأصحاب القوة في العالم على الخضوع والتواضع.

إمامنا الكبير - الخميني - قد استطاع أن يغرس في ذاته جزءاً وجانباً من معدن الجمال والاخلاص لذلك الرجل الفذ. وهذا الجزء الذي نتحدث عنه بالغ العظمة طبعاً، إلا أنه ضئيل، ولا يكاد يمثل إلا قطرة من المحيط المترامي لشخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كان بحد ذاته كبير وكثير جداً.

يا أعزائي، لا تتيسر معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الطريقة، لا يمكن ذلك. نعم للإنسان أن يستشعر شيئاً عنه عليه السلام عن طريق هذه المقارنات؛ فالإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) أجاب أحد أصحابه حينما سأله، يا ابن رسول الله لماذا تحمل

(١) يقال فلان شديد الشكيمة إذا كان عزيز النفس أيباً.

(٢) كما قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «من تواضع لله رفعه الله» انظر البحار: ٦٦ / ٣٨٢.

نفسك على هذه المشقة وتكثر من الزهد والعبادة؟ فما الذي يجعلك تحرص على كل هذا الزهد والعبادة؟ فلو رحمت نفسك وجسدك! فبكى الإمام السجاد عليه السلام وقال (ما معناه): قارن بيني وبين أمير المؤمنين عليه السلام، وانظر أين أنا وأين أمير المؤمنين. أنظروا؛ فهذا كلام زين العابدين عليه السلام (١).

شخصية الإمام السجاد عليه السلام من الشخصيات النادرة، لا أنها نادرة في العمل فحسب، وإنما هي نادرة في الفكر أيضاً؛ إنه من الشمس المنيرة التي لا نستطيع أن ننظر شعاعها إلا عن بُعد؛ وهو حينما ينظر إلى أمير المؤمنين ينظر إليه بعين التعظيم والاحترام التي ينظر بها طفل صغير إلى بطل عملاق. هكذا هو أمير المؤمنين عليه السلام، وبهذه العظمة.

إتباع علي بالعمل

إن الجانب الذي يعنيني ويعنيكم هو هذا البعد من القضية، وهو أن أتباع هذا الرجل لا يتحقق بمجرد الكلام، فلو كنتم في ساحة الحرب وتؤكدون على الدوام أن فلاناً هو قائدنا، وتعلنون دوماً طاعتكم له، ولكن حينما يدعركم ذلك القائد للاصطفاف لاستجبيون، وعندما يأمركم بالتدريب لا تأتمرون، ويأمركم بالهجوم فتعرضون، فأية قيادة هذه؟ ليس هذا قائدكم؛ فالإنسان يمارس مثل هذا السلوك مع عدوه ومع الإنسان الغريب. أمير المؤمنين عليه السلام مولانا وإمامنا وقائدنا، ونحن شيعة علي، وأنا نفتخر بهذا. ولو أن أحداً ذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام بقليل من التعظيم، امتلأت قلوبنا غيظاً عليه، إذن فلا بد أن يكون لهذا تأثير في حياتنا.

لا نقول نكون كأمر المؤمنين عليه السلام؛ فالإمام السجاد عليه السلام قد قال إنه غير قادر على

العمل كأمر المؤمنين عليه السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام نفسه قال: «ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك».

ولمن قال أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام؟ قاله لعثمان بن حنيف مع كل ما له من عظمة، إنك لا تقدر على مثل ما أعمل. وهذا من الواضح.

ولكن سيروا على الأقل في ذلك الإتجاه، وعلى ذلك الطريق، وفي ذلك المسار. وهذا واجب.

١٧ - عدالة أمير المؤمنين عليه السلام

إن أبرز ما تميز به أمير المؤمنين عليه السلام في عهد حكومته هو العدل، فيجب أن نرفع العدل في مجتمعنا كالعلم. العدالة الاجتماعية هي أن تكون نظرة الحكومة إلى جميع أبناء الشعب متساوية، وأن يكونوا سواسية أمام القانون، وفي الامتيازات، وفي التعامل.

من البديهي أن لكل إنسان أصدقاء وأقارب، لهذا فإن العلاقات ليست متساوية مع الجميع. فالشخص المسؤول - من دون فرق بين أن يكون مسؤولاً عن دائرة أو موظفاً صغيراً، أو كان حجم مسؤوليته كبيراً أولاً؛ فالجميع سواسية - له صلة بشخص، ولا صلة له بشخص آخر، لا نريد أن نقول هذا.

ولكن نقصد أن يكون السلوك والتعامل قانونياً. أي حينما تكون ثمة امتيازات، ومن شأن الحركة والنظرة والإشارة من المسؤول أن تكون ذات أثر؛ يجب هنا أن يكون الجميع سواسية يجب أن يشعر الجميع بأنهم ينتفعون من خيرات النظام الإسلامي بشكل متساوي.

طبعاً البعض يتميز بالكسل ولا يلاحق العمل، والبعض يقصر، والبعض الآخر يظلم نفسه، هؤلاء حسابهم على حدة.

أما معنى العدالة الاجتماعية فهو أن تطبق جميع القوانين والمقررات على أفراد المجتمع عامة وأن لا يحصل البعض على امتياز خاص من غير سبب. هذا هو معنى العدالة الاجتماعية، وهذا ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام.

كان هذا هو السبب الأساس في العداوات التي برزت ضد أمير المؤمنين عليه السلام.

نموذج من عدل علي

حينما تعدى ذلك الشاعر - النجاشي - الذي نظم كل تلك الأشعار بحق أمير المؤمنين وضد أعدائه، حدود الله في شهر رمضان، أقام عليه أمير المؤمنين عليه السلام حد الله، مذكراً إياه، إنك تعديت على حدود الله. وكان ذلك الرجل قد شرب الخمر في نهار شهر رمضان علناً - فكان ذنبه شرب الخمر وهتك حرمة شهر رمضان أيضاً - فجاءه جماعة وقالوا: يا مولانا إن هذا الرجل نظم بحقك الكثير من الأشعار، وهو يعلن لك الولاء، وإن أعداءك قد بالغوا في إغرائه فلم يستجب لهم، فاحتفظ به.

فقال لهم ما مضمونه: نعم، ليبقى، ولكنني أقيم حد الله عليه. وأقام عليه الحد. فالتحق النجاشي بمعاوية (١).

هكذا يتعامل أمير المؤمنين عليه السلام مع أحكام الله ومع حدود الله تعالى.

لكن ومن جهة أخرى جيء برجل سارق إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: كم تحفظ من القرآن؟ فقرأ آية. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «قد وهبت يدك بسورة البقرة» (٢).

فيدك التي يجب أن تقطع وهبتها لك مقابل سورة البقرة، فاذهب.

لم يكن هذا التمييز عبثاً؛ وإنما لأجل سورة البقرة، وتكريماً للقرآن. حينما تعرض الأصول والقيم والمعايير لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يعبر اهتماماً لأحد؛ فحينما فسق ذلك الرجل وفجر أقام عليه الحد الشرعي لفسقه وفجوره، ولم ينظر إلى أن

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥١ / ١٠ .

(٢) انظر جواهر الكلام: ٥٢٧ / ٤١ .

هذا الرجل قد أسدى إليّ خيراً، ولكنه تغاضى عن إقامة حد السرقة لأجل القرآن. هذا هو أمير المؤمنين عليه السلام.

أي أنه يسير مائة بالمائة وفقاً للمعايير والقيم الإلهية - ولا شيء سواها - والقول المأثور «إنّ علياً قتل في محراب عبادته لشدة عدله»^(١) ولا أعلم قائله على وجه الدقة، قول صحيح؛ فعدالة أمير المؤمنين جعلت أصحاب النفوذ لا يطبقون تحمّله.

ولعل البعض يقول الآن: يا مولاي إنّ العدالة التي لم تسمح لعلي عليه السلام بمواصلة حكومته المباركة، كيف تريدون تطبيقها اليوم؟

أقول: يجب تطبيق ما نقدر عليه وما نطيعه. إنّنا لا ندعي وجوب تطبيق العدالة مثل أمير المؤمنين، بل نقول يجب تطبيق ما يقدر مؤمن العصر على تطبيقه.

وهذا القدر من العدالة الذي يمكن تطبيقه ويجب تطبيقه، إذا اتخذ طابعاً ثقافياً وأدرك الناس معنى العدالة، سيكون حينها قابلاً للتحمل. جماهير الأمة كانت تحلو لها عدالة أمير المؤمنين عليه السلام، ولم تكن كارهة لها، وأتت أساءت عدالته أصحاب النفوذ.

والسبب الذي أعانهم على انكسار أمير المؤمنين عليه السلام ومكّنهم من إيجاد تلك الحالة في معركة صفين، ثم قتله، والسبب الذي ملأ قلب أمير المؤمنين عليه السلام قبحاً، هو أنّ قدرة التحليل كانت ضعيفة لدى الناس، وأصحاب النفوذ يؤثرون على أفكارهم. يجب تصحيح قدرة الناس على الفهم والادراك، ورفع مستوى الإدراك السياسي في المجتمع، ليصير بالإمكان تطبيق العدالة^(٢).

(١) انظر رسائل ومقالات الشيخ السبحاني: ٦٤.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٣ رجب ١٤١٧ هـ.

مظهر آخر للعدل عند علي

وحيثما نقول إنَّ علياً عليه السلام كان يتصف بخصلة العدالة يتبادر إلى الأذهان أنه أقام العدالة الاجتماعية بين الناس . وهذا صحيح ، إلا أنَّ العدل الأسمى هو الإتيان «بالعدل قامت السموات والأرض»^(١)، أي التوازن في الخلقة . وكلمة (الحق) تعطي نفس هذا المعنى . فالعدل والحق هما في نهاية الأمر شيء واحد ، ولهما معنى واحدٌ وحقيقة واحدة . وكل خصائص أمير المؤمنين عليه السلام مظهر للعدل والاتزان فكل ما هو جميل تجده قائماً في موضعه المناسب وفي غاية الجمال^(٢).

(١) انظر تفسير الألبوسي: ٢٧ / ١٠١ .

(٢) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٤١٧هـ - جامعة طهران.

١٨- زهد علي عليه السلام

إن أمن برز ما تميز به أمير المؤمنين عليه السلام خاصة في عهد حكومته الزهد، لذا نجد أن من أبرز المعالم في نهج البلاغة هو الزهد. والزهد الذي طرحه أمير المؤمنين عليه السلام آنذاك، إنما طرحه كعلاج لمرض أساسي في المجتمع الإسلامي.

حينما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «لا تغرنكم الدنيا واغراءاتها»^(١)، كان الكثير من الناس لا يحصلون على تلك الملذات؛ بل لعل أكثر الناس كانوا على هذه الشاكلة، فخطاب أمير المؤمنين عليه السلام مع أولئك الذين أغتتهم الفتوحات وأصبحوا خلال سنوات التوسع وتنامي قوة الإسلام الدولية، على درجة من الشراء والامتيازات. وكلام حضرته المباركة تحذير لهؤلاء.

ونحن اليوم إن أشرنا إلى الزهد وألفتنا النظر إليه، نرى البعض يقول: يا سيدي إن أكثر الناس لا يملكون هذه الأشياء التي تتحدثون عنها.

والجواب هو، أننا لا نقول هذا لهم، بل خطابنا مع المقتدرين، مع من فتحت لهم ملذات الدنيا أحضانها، مع من يستطيع بلوغ الملذات الدنيوية بطرق الحرام. ثم بعد ذلك مع من يستطيع بلوغها عن طريق الحلال.

إن الورع والنقاء واجتناب الحرام والتفوی، هي أرفع وأوجب أنواع الزهد البتة^(٢)، إلا أن الزهد عن اللذات المحللة له مرتبة رفيعة أيضاً؛ نعم، مخاطبوه أقل أفراداً.

(١) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٤ خ ٢٣٠.

(٢) في الحديث الشريف: «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق بما في يدي الله عز وجل» الوسائل: ١٦ / ١٥ ح ٢٠٨٣٩.

واليوم هو ذلك اليوم - مع التفاوت في ظروف الزمان والخصائص التاريخية لكل عصر - ، وعلى من تصل أيديهم إلى الرغد والنعيم والملذات والرفاه المتزايد للحياة، أن يضعوا كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في الزهد نصب أعينهم. ولاشك في أنّ هذا الخطاب أشد وأبلغ مع أصحاب المسؤوليات، وهو يعم من لا منصب ولا مسؤولية حكومية له - أيضاً - ولكن بشكل أضعف؛ فأولئك أولى به.

ولو أنّ مجتمعنا الإسلامي الذي تحدى به كل هذه المخاطر، وكل هؤلاء الأعداء، وضع هذه التوصيات نصب عينيه وأولاها الاهتمام اللازم وأعطائها صيغة ثقافية، وأدرك كل هذا وتحدث فيه وطالب به، فلن يؤدي تطبيق مثل تلك العدالة ومثل هذا الزهد إلى إيجاد أية مخاطر على النظام الإسلامي أبداً، بل إنها تجعله أكثر قوة، وصلابة.

الناس الذين لا تغريهم اللذات والمطامع وشهوات الحياة، يمكنهم الوقوف بوجه الأعداء والخصومات، وانقاذ مجتمعهم ونظامهم في الظروف العصيبة.

وهذا العداء المحقق بالجمهورية الإسلامية يجعل المسؤولية ثقيلة على الجميع، وخاصة على عاتق الشباب، ومن يتصدى للمسؤوليات، وخاصة على عاتق علماء الدين المحترمين وطبقات الشعب المختلفة، ومن ينظر إليهم الناس كقدوة.

لقد أوقد أمير المؤمنين عليه السلام هذا المشعل ليضيء كل التاريخ. والذين يتمردون سيقولون الضرر بأنفسهم، ويبقى اسم علي، وذكر علي، ودرس علي على مدى التاريخ لا يطاوله النسيان، وسيبقى على الدوام ^(١).

(١) من كلمة القاهاني ١٣ رجب ١٤١٧ هـ.

نماذج من زهد علي عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام مثلاً عالياً في زهده واعراضه عن الدنيا وهو في نفس الحال كان طوال فترة الخمس وعشرين سنة - بين وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وتسلمه الخلافة - كان ينفق من ماله الخاص في أعمال العمران ، فكان يزرع البساتين والمزارع ، ويحفر الآبار ، ويشق الأنهار ، والمدهش أنه كان يتصدق بكل ذلك في سبيل الله .

لا بأس أن نعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أكثر الناس عائدات في عصره ، وقد نقل عنه أنه قال: إن صدقتي لو قسمت على بني هاشم لوسعتهم^(١).

لكن هذا الإنسان الثري كان يعيش حياة فقيرة على أشد ما يكون من الفقر؛ لأنه كان ينفق كل تلك الثروة في سبيل الله .

يروى أحدهم أنه رأى علياً يحفر بئراً بيده ، ثم يقول رأيت الماء قد تدفق منها كأوداج الجمل ، خرج أمير المؤمنين عليه السلام من البئر وهو ملطخ بالطين وجلس عند حافة البئر ودعا بورق وكتب فيه بأنّ هذا البئر أوقفه علي بن أبي طالب على أشخاص ذكرهم .

إنّ ما يلاحظ في عهد حكومة أمير المؤمنين عليه السلام إنما هو امتداد لحياته ومسيرته الخاصّة .

فمن الطبيعي أنّ الزهد بالدنيا لا يتنافى مع بنائها الذي جعله الله واجباً على الجميع ، فأمر بإعمار الدنيا ، وتكوين الثروات ، ولكن بشرط أن لا يكون الإنسان

عبداً لها أو يجعل نفسه طوع أمرها ، من أجل أن يكون قادراً على الانفاق في سبيل الله بكل سهولة .

هذا هو التوازن الإسلامي والأمثلة من هذا الطراز كثيرة ، ولو أردت ذكر أمثلة لها لاستغرقت وقتاً طويلاً^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٤١٧هـ - جامعة طهران.

عجائب شخصية أمير المؤمنين عليه السلام

إنَّ حياة أمير المؤمنين عليه السلام أشبه ما تكون بمحيط لا يتيسر للمرء الإحاطة بكل آفاقه بنظرة واحدة أو حتى عبر دراسة طويلة؛ فالمحيط من حيثما تأتيه تجده زاخراً بالعظمة، تجده مجتمعاً أبحر عميق قعرها، وفيها كائنات مختلفة الأشكال والصور، وعجائب شتى وإذا ما تركنا هذا الجانب ودخلنا المحيط من جانب آخر، فالكلام هو الكلام حيث نرى آيات العظمة والمشاهد والصور المختلفة. وإذا وردناه من ضفة الثالثة أو رابعة أو خامسة أو عاشرة، فأيضاً نفس المقال فنرى في كل جهة عجائب أخرى.

هذا طبعاً مجرد مثال مصغر ولا يفني بالغرض عن شخصية أمير المؤمنين عليه السلام. ومن حيثما تنظر إلى هذه الشخصية تجدها تنطوي على عجائب جمّة. ولا مبالغة في هذا بل هو انعكاس لعجز إنسان درس حياة أمير المؤمنين سنوات متبادية واستشعر هذا الاحساس في نفسه، وأدرك أنّ شخصية علي عليه السلام لا يمكن سبر أغوارها بأسباب الفهم المتعارف من ذهن وعقل وحفظ وإدراكات عادية؛ لأنّ كل جانب من جوانبها زاخر بالعجائب.

طبعاً أمير المؤمنين عليه السلام نسخة مصغرة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وتلميذ له، ولكن إذا شئنا النظر إلى هذا الرجل - الذي يعتبر نفسه صغيراً أمام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو تلميذ النبي صلى الله عليه وآله - بالمنظار البشري، يبدو لنا رجلاً فوق النمط البشري وفوق المستوى الإنساني. ونحن غير قادرين على تصور إنسان يمثل هذه الآفاق العظيمة؛ لأن أسباب الفهم المتوقّرة لدى الإنسان من عقل وذهن وإدراك - ولا أقول عدسة

التصوير التلفزيوني فهي أحسن من ذلك والعقل البشري أسمى من هذه الوسائل المادية - كل اسباب الفهم البشري هي أدنى من أن تبين ماهية أمير المؤمنين عليه السلام لمن لم يبلغ مقام الكشف المعنوي^(١). طبعاً هناك من لهم حضور معنوي وشهود روحي لعلّه يؤهلهم لإدراك كنه تلك الشخصية ، إلا أنّ أمثالنا عاجزون عن ذلك^(٢).

أمير المؤمنين شخصية متوازنة وصفات متضادة

كان أمير المؤمنين عليه السلام أعجوبة في اتزانه الشخصي ، صفات متضادة ومتخالفة قد اجتمعت في شخصيته بشكل جميل ، حتى أضحت بذاتها وجوداً جميلاً . لا يجد الإنسان مثل هذه الصفات قد اجتمعت في أحد ، لكنها قد اجتمعت في أمير المؤمنين عليه السلام بكثرة واسعة . أعرض في ما يلي بعض هذه الصفات المتضادة التي اجتمعت في أمير المؤمنين .

١ - الرأفة والصلابة:

هناك مثلاً الرأفة والرقّة وهي لا تنسجم مع الحزم والصلابة . لكن عطف ورأفة ورقة أمير المؤمنين عليه السلام كان حقاً في ذراها الأعلى الذي قلما يبلغه إنسان عادي . فالذين يساعدون المساكين ويتفقّدون العوائل الفقيرة كثيرون ، إلا أنّه الشخص الوحيد الذي كان يؤدّي هذا العمل في عهد وفترة حكومته واقتداره وتسلطه - أولاً - ويكون هذا العمل دأبه على الدوام ولم يكتف بأدائه مرتين أو ثلاث ثانياً . وثالثاً لم يكن يقتصر على تقديم العون المادّي فحسب بل يذهب إلى هذه

(١) وقد تقدم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا علي ما عرفك إلا الله وأنا، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرف الله إلا أنا وأنت».

(٢) من كلمة ألهاها في ٢١ رمضان ١٤١٧هـ - جامعة طهران.

العائلة ، ويتحدث مع هذا الشيخ ، ويجلس مع هذا الضرب ، ويلطف هذا الصغير ويأنس بهم ويدخل البهجة إلى قلوبهم ويقدم لهم العون .

كم قد تجدون بين الناس شخصاً يتحلى بمثل هذه الرأفة والرحمة ؟ هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام في رحمته ورأفته .

كان يذهب إلى دار أرملة ويوقد لها التنور^(١) ويخبز لها الخبز ويطعم أطفالها بيده المباركة ، ولأجل أن يدخل الفرحة إلى قلوب هؤلاء الأطفال البائسين كان يلعب معهم وينحني ويحملهم على ظهره ويمشي بهم ، ويداعبهم في كوخهم .

هذه الرأفة والرقّة في شخصية أمير المؤمنين جعلت أحد الشخصيات الكبرى في ذلك العصر يقول: طالما رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يطعم اليتامى العسل بإصبعه حتى لوددت أن أكون يتيماً .

وفي قضية النهروان حين عزم جماعة من المتعصبين وذوي الفهم الخاطئ على زعزعة حكمه لأسباب واهية كان ينصحهم ويحاججهم ويرسل لهم الرسل والوساطات ، ويقدم لهم العون ، ولكن من غير جدوى .

وفي ختام المطاف ، وحتى حينما اصطف الجيشان للقتل قدّم لهم النصيحة وأرشدهم ولكن لما لم يكن جدوى قرر انتهاج الحزم ، فأعطى الراية لأحد أنصاره وقال: كل من انضوى تحت هذه الراية إلى الغد فهو آمن ، أما البقية فلهم السيف .

كان عددهم اثنا عشر ألفاً فانضم ثمانية آلاف منهم تحت الراية . ومع ما كان يحمل هؤلاء من عدا ، ورغم موقفهم وعزمهم على القتال ولهجوم بسب أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنه تغاضى عن كل ذلك؛ فهم ما داموا قد اعتزلوا القتال فليذهبوا حيث شاؤوا .

وبقي منهم أربعة آلاف يصرون على مقاتلته فلما رأى إصرارهم على قتاله عزم على قتالهم ، وأخبرهم أنه لن ينجو منهم إلا عشرة (١).

فحاربهم واقتتلوا وأهلك الباقين أجمع . هذا هو نفس علي عليه السلام ذلك حينما يرى في مقابلة فئة خبيثة تسلك منهجاً غادراً...

هكذا كان الخوارج أيضاً وحينها تصدى لهم أمير المؤمنين بكل حزم . هذا هو نفس علي ذلك ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٢).

لاحظوا كيف تجسدت هذه الخاصية في أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الشكل الجميل، فقلبه بما أوتي من تلك الرأفة وتلك الرقة لا يطيق رؤية يتيم في حالة حزينة، بينما نراه يقف تارة أخرى بصرامة إزاء فئة منحرفة تنتهج أسلوباً مقيناً وملتبساً وتقتل الأبرياء فيقضي عليهم - وهم أربعة آلاف - في بضع ساعات «ولا يفلت منهم عشرة» (٣) في حين استشهد من أصحابه أقل من عشرة . ربما خمسة أو ستة - هذا هو اتزان الشخصية .

(١) أنظر تفسير الأمثل: ١٩ / ١١٠ .

(٢) سورة الفتح: ٢٩ .

(٣) مناقب الخوارزمي: ٢٢٣ .

٢- ورع وحكومة أمير المؤمنين عليه السلام

المثال الآخر هو ورعه وحكومته . الورع يعني اجتناب كل ما يحتمل فيه الكراهية . ولكن كيف ينسجم هذا مع الحكومة ؟ هل يتسنى للإنسان أن يكون ورعاً إلى هذا الحد وهو في الحكم .

فنحن الآن في الحكم نشعر بأهمية وجود مثل هذه الخصلة - لأنَّ الإنسان وهو في الحكم يتعامل مع قضايا عامة وينقذ قوانين ، ولكن قد يكون في هذا القانون ظلماً للإنسان في مكان ما .

والشخص المكلف بتنفيذ القانون بشر أيضاً وقد يسيء تطبيق القانون أو يخطيء . فكيف يتأتى للمرء التزام الورع في كل هذه التفاصيل الجزئية التي تستعصي على الإحاطة بها ؟ لهذا يبدو في الظاهر أنَّ الحكومة والورع لا يجتمعان . إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام جمع غاية الورع مع أقوى حكومة . وهذا مما يشير العجب . لم يكن يجامل أحداً؛ فإذا استشعر من والٍ ضعفاً وأحس أنه لا يناسب هذا العمل ، عزله .

كان محمد بن أبي بكر بمثابة ابنه وكان يحبه محبة أبناءه ، وهو أيضاً كان ينظر إليه نظرة الولد للوالد . كان محمد أصغر أبناء أبي بكر ، وتلميذاً مخلصاً للإمام وقد تربي في حجره . كان قد أرسله والياً على مصر ثم كتب له في ما بعد كتاباً بعزله لعدم كفاءته في إدارة مصر وعين بدله مالك الأستر .

ومن الطبيعي أن يستاء محمد بن أبي بكر من ذلك ، فالإنسان مهما كبر شأنه يستاء لمثل هذا . لكن أمير المؤمنين عليه السلام لم يعتن لذلك .

محمد بن أبي بكر مع ماله من شخصية جليلة ، ومع ما لموقفه يوم الجمل وعند

البيعة من أهمية؛ فهو ابن أبي بكر وأخو (أم المؤمنين) عائشة ، وعلى الرغم من مكانته عند أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنه لم ينظر إلى أستياثه وامتعاضه . هذا هو الورع الذي ينفع الإنسان وهو في الحكم . وقد تجسد منتهى هذا الورع في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام .

كان هناك شاعر معروف يسمى بالنجاشي قال في أمير المؤمنين عليه السلام مدحاً وهجا أعداءه، فروي أنه كان ماراً في أحد الأزقة في شهر رمضان ، فدعاه شخص فاسق إلى تناول الطعام والشراب في داره ، وتعلق به وأخذة عنوة إلى داره ، فأكلا وتناولوا الخمر .

لم يكن النجاشي راغباً في الذهاب لكنه ابتلي بذلك . وبلغ الخبر إلى الجميع ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام يجب أن يقام عليهما الحد؛ ثمانون جلدة لشرب الخمر ، وعشرة أو عشرون جلدة أخرى لارتكابهما هذا العمل في شهر رمضان .

قال النجاشي: أنا شاعركم وقد بارزت أعداءكم بلساني ، وتريد الآن جلدي؟! فقال له الإمام عليه السلام: بما يعبر عنه اليوم بأن موقفك هذا محفوظ لك ، وإنك لعزيز علينا وكرم لدينا ، ولكن لا أعطل حد الله .

وجاء قومُه والتمسوه أن لا يقيم عليه الحد لأن في الحد انتهاك لكرامتهم في المجتمع؟ فأكد لهم عدم تساهله في إقامة الحد . فأقيم عليه الحد وجلد فهرب ليلاً إلى معاوية ، وهو يفكر أن حكومة علي عليه السلام لا تحسن التعامل مع شاعر بارع مثله ، وأنه ذاهب إلى حيث يعرفون منزلته (١) .

مثل هذا الشخص إذا كان على هذه الدرجة من العمى بحيث لا تسمح له مشاعره برؤية نور علي عليه السلام ، جزاؤه الذهاب إلى معاوية والانضمام إلى أتباعه .

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥١ / ١٠ .

كان أمير المؤمنين عليه السلام على معرفة بأنه سيفقد هذا الشخص الذي يعتبر شاعراً مهماً ، إذ كان للشاعر يومذاك أهمية أكثر منها اليوم.

طبعاً الفنانون لهم أهميتهم اليوم أيضاً ، ولكنهم كانوا في ذلك الوقت أكثر أهمية بسبب انعدام الإذاعة والتلفزيون وجميع وسائل الإعلام؛ إذ كان الشعراء هم الذين ينظمون القصائد وينشرون الأفكار في كل مكان .

لقد اجتمع ورع أمير المؤمنين عليه السلام مع حكمه القوي ، وهذا ما لم نسمع به في العالم على مدى التاريخ .

الخلفاء الذين سبقوا علياً عليه السلام كان لهم حزم في الكثير من المواقف ويقرأ الإنسان في سيرتهم أعمالاً استثنائية . إلا أن الفارق بين أمير المؤمنين عليه السلام ومن سبقه ومن تلاه حتى يومنا هذا فارق عجيب لا يمكن وصفه ومقارنته .

٣- قوة أمير المؤمنين ومظلوميته

ومن الخصائص التي كانت تعكس شخصية علي المتوازنة والمتضادة في آنٍ واحد هي القوة والمظلومية، وهل كان ثمة رجل في عصره أقوى منه ، أو له مثل تلك القوة الحيدرية ؟ لم يتحدَّ علياً أحد ولم يجرء أحد على ادعاء ذلك حتى آخر حياته . نفس هذا الإنسان كان أكبر أهل زمانه مظلومية والأكثر ظلامه منهم - بل ويقال ، وهو قول صحيح - لعله أكبر إنسان مظلوم في تاريخ الإسلام . إنَّ القوة والمظلومية شيان لا يجتمعان؛ فالمتعارف أنَّ الأقوياء لا يُظلمون ، غير أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ظلَّم (١).

(١) يكفي لمعرفة هذا الظلم ما ذكره المسعودي في مروج الذهب قال: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب وجمعه الحطب ليحرقهم ، ويقول : إنما أراد بذلك أن لا تنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون ، وأن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة . كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر فانه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار « انظر شرح النهج لابن أبي الحديد : ٤ / ٤٩٥ ذيل شرح الحكمة : ٤٦١ - ط . دار الكتب العربية بمصر ١٣٢٩ ، و ٢٠ / ١٤٧ من الطبعة الاولى سنة ١٣٧٨ / ١٩٦١ للحلبي بمصر بتحقيق محمد أبو الفضل ، وذكر بالهامش : مروج الذهب : ٣ / ٨٦ مما يشعر بأنه وقف على نسخة هذا الكتاب .

وفي مروج الذهب المطبوع قال المسعودي : « وحدث النوفلي في كتابه في الاخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد بن سلمة قال : كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم وحصره إياهم في الشعب وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته ، كما أَرهَب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحتراقهم اذ هم أبوا البيعة فيما سلف « انظر مروج الذهب : ٧٢ - تحت عنوان : (ذكر أيام معاوية بن يزيد ... وعبد الله بن الزبير) - من الطبعة الاولى بالمطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠٣ هـ ، و ٣ / ٧٧ ط . المصورة في ايران - دار الهجر ١٤٠٤ هـ .

* وقال الطبري : عن زياد بن كليب قال : أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من

٤ - إستغفار علي بن أبي طالب وحاكميته

من الخصائص المضادة الأخرى لدى أمير المؤمنين عليه السلام هو إستغفار الحاكم القوي؛ إذ كان للدعاء والتوبة والإنابة والاستغفار حيّز واسع في حياة أمير المؤمنين . فهو عليه السلام كان يقاتل ويعبئ الجيوش ، ويسوس شؤون دولة كانت تعتبر من أكبر الدول يومذاك وقد حكمها مدّة تناهز الخمس سنوات - فالدولة التي حكمها كانت تضم حوالي عشرة بلدان - وهذا السلطان الواسع بكل ما يستلزمه من جهود ومساع كان أمير المؤمنين عليه السلام يديره بكل جدارة ، إضافة إلى ميادين الحرب وإدارة الشؤون الاجتماعية للمسلمين، والقضاء بين الناس والمحافظة على حقوق أبناء المجتمع ، كانت أعمالاً كبرى ومهمة وتتطلب عملاً ومثابرة وتستحوذ على وقت الإنسان برمّته.

وفي مثل هذه المواقف يقول الإنسان المحدود ببعده واحد: إنّ دعائي وعبادتي هو هذا ، فأنا أعمل في سبيل الله لكن أمير المؤمنين لم يقل هذا ، بل كان يؤدي تلك الأعمال ، ويعبد أيضاً .

جاء في بعض الأخبار - وإن لم أكن قد دققت في مدى صحتها - أنه عليه السلام كان يصلي أحياناً في اليوم واللييلة ألف ركعة (١).

وهذه الأدعية التي تسمعونها هي أدعية أمير المؤمنين عليه السلام - المذكورة في كتب

المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ الى البيعة. تاريخ الطبري: ٣ / ١٩٨ - ٢٠٠ أوائل حوادث سنة ١١ من الطبعة الحسينية الأولى بمصر سنة ١٣٢٦ ، و ٢ / ٤٤٣ من طبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ، الموافقة للمصورة بايران.

(١) انظر وسائل الشيعة: ٤ / ٩٨ ح ٤٦١٤ .

الأدعية - فهو قد بدأ الدعاء والتضرع والابانة منذ أيام شبابه . كان حينها في شغل متواصل .

وفي أيام الرسول الأكرم ﷺ كان شاباً ثورياً وله حضور في جميع الميادين . أي أنه كان في حالة عمل دؤوب لا فراغ لديه . حتى في مثل تلك الظروف حين تساءل جماعة من القوم عن أكثر الناس عبادة قال أبو الدرداء: علي أكثر الناس عبادة (١).

قالوا: كيف ؟ فذكر لهم مثلاً على ذلك وأقنعهم . كان حينها شاباً يبلغ من العمر نيفاً وعشرين سنة . وهكذا كان دأبه في الفترة التي تلتها ، وفي أيام خلافته .

هناك قصص متنوعة عن عبادة أمير المؤمنين مثل قصة نوف البكالي . وهذه الصحيفة العلوية التي جمعها أكابر العلماء تعكس الأدعية المأثورة عن أمير المؤمنين وأحدها هو دعاء كميل الذي تقرأونه ليالي الجمعة .

في أحد الأيام سألت إمامنا الراحل: أي دعاء من الأدعية الموجودة أحب إليك؟ تأمل قليلاً وقال: أحبها إليّ دعاءان هما دعاء كميل والمناجات الشعبانية . ويحتمل أنّ المناجاة الشعبانية لأمر المؤمنين عليه السلام لأن هناك رواية تشير إلى أنّ جميع الأئمة قرأوا هذه المناجاة . وهذا ما جعلني أحتمل بقوة أنها لأمر المؤمنين عليه السلام لأن كلماتها ومضامينها تشبه كلمات ومضامين دعاء كميل (٢).

ودعاء كميل دعاء عظيم يبدأ بالاستغفار ويقسم على الله بعشرة أشياء منها:

(١) قال ابن أبي الحديد: أما العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً. شرح النهج : ١ / ٢٧ ، و٢٦ القول في نسب الأمير.

وقال العلامة الحلي: ومن المعلوم عند كل احد ان علياً عليه السلام كان أعبد أهل زمانه. كشف اليقين : ١٤١ . وفيه نزلت : (تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود). كشف اليقين : ١٤٢ ، وشواهد التنزيل : ٢ / ١٨٢ ح ٨٨٨ .

(٢) في الإقبال عن ابن خالويه: إنها مناجاة أمير المؤمنين علي والائمة من ولده عليه السلام كانوا يدعون بها في شهر رمضان. الإقبال: ٣ / ٢٩٥ .

«اللَّهُ اني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء»، ويسأله غفران خمسة ذنوب: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم ، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم ، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء و... الخ»^(١). أي أنه يستغفر من أول الدعاء حتى آخره، وهذه هي السمة الأساسية في دعاء كميل .

اعلموا يا أعزائي إنّ أشرف الناس وأكثرهم تكاملاً هو القادر على السير في سبيل الله ونيل رضاه ، وأن لا تستعبده الشهوات .

وهكذا يكون الإنسان الكامل . أما الإنسان المادي المنقاد لشهوته وغضبه وأهوائه النفسية ونزواته فهو إنسان تافه حتى وإن كان في الظاهر كبيراً ويحتل منصباً ما . وحتى رئيس أكبر دولة في العالم ومن يملك أكبر ثروات العالم إذا كان عاجزاً عن مجابهة نوازعه النفسية إنما هو شخص دنيء .

أما الفقير القادر على كبح رغباته والسير على الصراط السوي - وهو طريق الله وطريق التكامل - فهو إنسان كبير حقاً .

الإستغفار يستنقذ الإنسان من حضيض الحقارة ، ويحرره من القيود والأغلال، ويطهر القلب ويزيل عنه الكدورة .

والقلب هنا بمعنى روح الإنسان ونفسه وذاته الحقيقية . لكل إنسان نور، وحتى الإنسان الذي لا يعرف الله ولا صلة له به ، له في ذاته وجوهه نور، غاية ما في الأمر أنّ الصداً يتراكم عليه نتيجة للجهل وكثرة الذنوب ، والإستغفار يجلو عنه الصداً^(٢) .

(١) مقطع من دعاء كميل .

(٢) من كلمة ألقاما في ٢١ رمضان ١٤١٧هـ - جامعة طهران.

غدير خم وتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام

أهمية الغدير في إدارة المجتمع

إنَّ ما يمكن أن يفهمه مَنْ يُطالع التاريخ من أمثالنا من حادثة الغدير هو ما يتضمَّنه ذلك التنصيب الإلهي من مفهوم في مسألة كيفية إدارة شؤون البلاد وانتخاب الناس الصالحين لتولِّي المسؤوليات الكبيرة.

طبعاً إنَّ أصحاب النظرة العرفانيَّة العالية ومن ارتبطت قلوبهم بمنابع النور والمعرفة قد يدركون أموراً أخرى من تلك الواقعة لا يستطيع غيرهم من الناس إدراكها.

أمَّا الذي نفهمه نحن من هذه الحادثة فهو أنَّ النبيَّ الأكرم ﷺ بتعيينه أمير المؤمنين عليه السلام - بأمر من الله - لمنصب الولاية قد أظهر هذه الحقيقة الإسلامية الناصعة وهي: أنَّ المسؤولية الجسيمة لإدارة المجتمع الإسلامي هي قضية لا يمكن معها غُضُّ النظر عن شيء من المعايير والقيم الإسلامية بشكل كامل ودقيق.

لماذا علي؟

فهل كان يوجد إنسان أعظم من أمير المؤمنين عليه السلام الذي جُمعت فيه كلُّ القيم الإسلامية السامية.

فالإيمان، والإخلاص، والتضحية، والإيثار، والتقوى، والجهاد، والسبق للإسلام، والانصراف عن كلِّ ما هو لغير الله، والعزوف عن الزخارف المادِّية، وتحقير الدنيا،

والعلم، والمعرفة، والقامة في الإنسانية بجميع أبعادها، كانت جميعها من القيم الكريمة التي كان يتحلّى بها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا الأمر لا تقول به الشيعة فقط، بل لقد أجمع المسلمون والمؤرّخون والمحدّثون الذين كتبوا عن حياته بصدق وإنصاف، أنّه عليه السلام كان يتحلّى بجميع تلك الخصال، بل أكثر من ذلك (١).

التنصيب على أساس الكفاءة

ولهذا قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في يوم الغدير - وأمام أنظار الذين كانوا يعرفون تلك الخصال في أمير المؤمنين عليه السلام - بتعيينه لمنصب الولاية.

وهذا يعني إعطاء الأهمية القصوى للقيم والمعايير الإسلامية، وهو أمر يجب أن يبقى موضع اهتمام المجتمع الإسلامي والنظام الإسلامي حتى ظهور إمامنا

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « علي مني كمنزلي من ربي » أخرجه ابن السمان . الصواعق المحرقة : ٢٧٠ المقصد الخامس .

وقال صلى الله عليه وآله: « لمبارزة علي لعمر يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي الى يوم القيامة » . المستدرک : ٣ / ٣٢ كتاب المغازي .

وعن حكيم بن جبیر: قال : قلت لعلي بن الحسين عليه السلام : جعلت فداك كان أبو جحيفة يزعم انه سمع علياً يقول : « ألا اخبركم بأفضل هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر وعمر؟ ثم سكت » .

فقال لي علي بن الحسين عليه السلام : « فهذا سعيد بن المسيب أخبرني انه سمع سعداً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

هل كان في بني اسرائيل بعد موسى أفضل من هارون صلى الله عليهما وسلم؟! » .

قلت : لا .

فضرب علي كتفي ثم قال لي علي بن الحسين : « فأين ذهب بك؟! » . تاريخ دمشق : ٣١ / ١٠٠ ترجمة

أبي بكر، وقريب منه في ترجمة علي من تاريخ دمشق : ١ / ٣٢٧ ح ٣٦٤ .

المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه (١).

أثر أبعاد الغدير على حكومات الأمة الإسلامية

إن قضية الغدير وتنصيب أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ولياً على أمر الأمة الإسلامية، من قبل النبي الأكرم ﷺ قضية عظيمة وذات دلالات عميقة، تدخل فيها النبي الأكرم ﷺ في إدارة المجتمع.

إن معنى هذه الحادثة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة الهجرية العاشرة أن الإسلام يدرك أهمية مسألة إدارة المجتمع، فلم يهملها أو يتعامل معها ببرودة، والسبب في ذلك أن إدارة المجتمع في أكثر مسائله تأثيراً، وإن تعيين أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو تجسيد للتقوى والعلم والشجاعة والتضحية والعدل من بين أصحاب النبي ﷺ يثبت أبعاد هذه الإدارة، وبذلك يتضح أن هذه الأمور هي التي يجب توفرها في إدارة المجتمع، فحتى أولئك الذين ينكرون خلافة أمير المؤمنين للنبي ﷺ مباشرة، لا ينكرون علمه وزهده وتقواه وشجاعته وتضحيته من أجل الحق والعدل، وهذا يوضح نوعية الحكومة التي يريد الإسلام والنبي ﷺ للأمة الإسلامية، وإن مشاكل المجتمعات البشرية في المقاطع الحساسة تكمن في ذلك أيضاً، أي كلما كان هناك حكام مدبرون وتمتعوا بالتقوى والشجاعة، أمكنهم التقدم بمجتمعاتهم وكلما ابتليت المجتمعات بمدراء لا يعيرون اهتماماً للعفة والتقوى، ولا يضحون بمصالحهم من أجل مصالح الشعب، ولا يجعلون مخافة الله نصب أعينهم، وكانوا ضعاف النفوس، تكبلهم مصالحهم وشهواتهم، حلت بها المشاكل المادية والأخلاقية والمعنوية، وهذا هو سبب خضوع ورزح المجتمعات الإسلامية في بعض الفترات التاريخية تحت القوى الظالمة والفاشمة.

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ / ١٢ / ١٤١٤ هـ.

نماذج تاريخية:

فحينما بدأ الزحف الاستعماري للغرب على البلدان الإسلامية، لو كان الحكام المسلمون يتمتعون بالدين والعفة والغيرة والشجاعة، لما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، ولو أنهم لم يكونوا عبيداً لشهواتهم، ولم يكن همهم بقاؤهم في الحكم أياماً معدودات، كان الأمر مختلفاً.

إن ضعف المسلمين والمجتمعات الإسلامية كان في الأغلب ناشئاً من ضعف ساسته وحكامه، وطبعاً هناك تأثير متقابل، فالساسة الضعاف وغير الأكفاء، يعملون على إضعاف النظام الأخلاقي والسياسي في المجتمع، لينتج عن ذلك إضعاف أبناء الشعب، ثم يتمخض بشكل طبيعي امتعاض الحكام من ضعف النفوس في رعيّتهم ويبتلون بهم.

نموذج آخر:

حالياً حينما تلقون نظرة على العالم الإسلامي تدركون أنّ الصحوة الإسلامية إنما هي بفضل صحوة الشعب الإيراني، وأنّ الشعب الإيراني إنما خاض غمار الوغى بفضل قيادة الإمام الراحل (قدس) الذي حمل روحه على كفه صادقاً وجعل من جسده ترساً، ومضى على ما كان عليه وتكلم وعمل بصدق، وبذلك فرض هذا الشعب بفضل قيادته، عزته على أولئك الذين أرادوا للشعوب الإسلامية أن تكون ذليلة، لقد كانت ولاية الإمام الراحل (قدس) قبساً من شمس الغدير الساطعة ولذلك خلف كل هذه التأثيرات وحدث هذه الصحوة في الأمة، وعمل على إصلاح إيران معنوياً ومادياً، بعد أن كان هذا الشعب العريق مع ما يمتلكه من حضارة وتاريخ، العوبة بيد القوى الأجنبية المعتدية، تفعل ما يحلو لها في ثرواته وخيراته، وتعمل

على إذلاله، وتقديم مصالحتها على مصالحته، وهذه أكبر إهانة يمكن توجيهها إلى الأمة، فاستيقظ الشعب واستعاد عزته، بعزمه وإرادته وقوته.

فها أنتم تسمعون ما يردده سياسة الاستكبار العالمي وخصوصاً أمريكا - التي تعدّ أقبح نموذج للاستكبار العالمي - من الكلمات بشأن الشعب الإيراني، وما يوجهونه إليه من الأهانات المصحوبة بالتهديد أحياناً، ظناً منهم أنه بذلك يستسلم ويذل لهم، فيا له من تصور غبي وباطل، إذ أنّ الشعب الإيراني لم يخشى هذه التهديدات في وقت لم يكن يمتلك هذه الإمكانيات، ولم يكن له كل هذه الطاقات الشابة الهائلة، ولم تكن له هذه الكفاءات التقنية التي حصل عليها بفضل همم شبابه، فكيف يخشاها وقد غدا أقوى وأمنع مما كان عليه في بداية الثورة وأصبح مزوداً بكل ما يحتاج إليه، لذا فإنّ الشعب الإيراني لا يستكين لأيّ تهديد، وإنّ المسزول الذي أراد تقديم العدو على إرادة الشعب، واستكان للعدو وأراد فرض استكانته على الشعب، ما هو من الشعب في شيء، وأنّ هذا الشعب يرفضه، كما أنهم يعادون نظام الجمهورية الإسلامية لأنه يرفض تسليم الشعب الإيراني لهم، وهذا ما لا يروق أمزجتهم، إذ نراهم يؤيدون كل حكومة تخون شعبها وتسلمهم مقاليد، ويمتدحونها مهما كانت تلك الحكومة رجعية ومتخلفة أو متأمرة أو جائرة، فهنا لا تقوم أمريكا برفع عقيرتها منادية بحقوق الإنسان ولو أن حكومة الجمهورية الإسلامية - والعياذ بالله - رضيت بتسليم شعبها وخيانتته، لما اتهمت بنقض حقوق الإنسان وإيواء الإرهاب^(١).

ولكن - وللأسف - إنّ الأمة الإسلامية لم تتمكن من الاستفادة الكاملة من المواهب الإسلامية العظيمة؛ لامتلاكها تلك النقيصة الكبيرة، وهي: عدم رعاية القيم والمعايير الإسلامية في إعطاء المسؤوليات في المجتمع الإسلامي.

(١) من كلمة ألقاها في ١٨/ ذي الحجة / ١٤٢٥ هـ. ق الموافق ١٠/١١/١٣٨٣ هـ.ش

وإنّ ما يعنيه تنصيب شخص كأمرالمؤمنين على رأس النظام النبوي - الذي صنعتُهُ أيدي النبي ﷺ المقدّسة في صدر الإسلام الأوّل - هو وجوب رعاية تلك القيم والمعايير - في كلّ زمان - عند إعطاء المسؤوليات الأساسية في النظام الإسلامي. وهذه القضية في غاية الأهمّية بالنسبة لنا نحن المسؤولين والعاملون في النظام الإسلامي في إيران.

ومما لا شكّ فيه أنّه لا تجب رعاية تلك القيم والمعايير في انتخاب قيادة المجتمع الإسلامي فقط، بل هو أمر لا بدّ من رعايته في كافة مواقع المسؤولية في النظام الإسلامي.

وإنّ الالتزام بالقيم والمعايير الإسلامية من شأنه أن يجعل الأمة الإسلامية ترفل بالخير والبركة.

كما نشاهد في الشعب الإيراني الذي ينعم اليوم بالبركة بمقدار ما استطاع تحقيقه من هذا المبدأ الإسلامي الرفيع.

إنّ وعي الشعب الإيراني وشعوره بالعزّة ناشئين من تمسّكه بإسلامه العزيز وهذا نقيض ما كان ينبغي أعداء الإسلام دوماً.

فقد حاولوا تلقين المسلمين أن يشعروا بالخجل من انتمائهم للإسلام، وأنّ يُبعدوا المظاهر الإسلامية من حياتهم ومن حركاتهم وسكناتهم، والتظاهر بالمظاهر المخالفة للشرع، والسير خلافاً للمفاهيم الإسلامية، والانجذاب نحو جبهة أعداء الإسلام.

وقد أرادوا جعل المسلمين - من أيّة شريحة وفي أيّ منصب كانوا - أن يتقرّبوا أكثر من القيم غير الإسلامية؛ التي كان الاستعمار يحاول ترويجها في أوساط المجتمعات الإسلامية.

تحريف المبادئ الإسلامية

فقد حاولوا جعل مظاهر حياة المسلمين شبيهة بمظاهر الحياة الرائجة في المجتمعات الغربية، والتعامل فيما بينهم كتعامل الغربيين مع بعضهم، ونظرتهم للحياة كنظرة الإنسان الغربي للحياة، وممارسات المسلمين كممارساتهم، والاعتراف بالقيم الغربية على أنها قيم كريمة، وأن يتناسوا الإسلام بشكل كامل. وقد نجحوا - وللأسف - في أكثر البلدان الإسلامية التي استعمروها وأدخلوا (ثقافتهم) إليها.

فقد غيروا شكل اللباس عند أبناء تلك الشعوب، وبدلوا طريقة تعامل الناس مع بعضهم، وغيروا آداب الحياة عند المسلمين، وأبدلوا النظرة الإسلامية لدى أبناء الأمة، وأبعدوا الناس عن الإسلام، وقربوهم إلى كل ما هو مخالف للإسلام.

واليوم فإئتهم يشنون أكبر هجماتهم ضدّ الشعب الإيراني المسلم؛ لإصراره على التمسك بمواقفه وقيمه وثقافته الإسلامية، في سلوكه، وفي تحركاته وسكناته، وفي تعامله على الساحة الدولية، وفي انتخابه لأصدقائه وأعدائه.

وفي مثل هذا الجو الفاسد الذي خلقتة القوى الكبرى في العالم، استطاع الشعب الإيراني الرجوع إلى واقعه واعتزازه بشخصيته وهويته الإسلامية. وواقع الأمر لا يكون إلا كذلك، لأنّ العزّة لا تكون إلا للمؤمنين ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (١) فالأعزّاء - حقاً - هم الذين تغلغل الإيمان في قلوبهم وانعكست مبادئه على جوارحهم. ولهذا فإنّ شعبنا يشعر - بحمد الله - اليوم بالعزّة والكرامة. وهذا كلّ من بركة الالتزام بالمعايير التي نُبِّئت في الغدير.

فيجب علينا استثمار قضية الغدير الى أقصى حدٍّ ممكن من أجل تثبيت تلك المبادئ الإسلامية السامية في حياتنا؛ لأنَّ الغدير هو الأساس لاعتقاداتنا ومبادئنا الشيعية.

التمسك بالغدير هو تمسك بالمبادئ الإسلامية

ففي العهد البهلوي الفاسد عندما كنا نقرأ في يوم الغدير الذكر المستحب: «الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام» (١) كانت تلك الولاية لا تتمثل إلا في العواطف والعقائد النظرية فقط. أمّا من الناحية العملية فقد كانت الولاية للطاغوت والاستكبار وأعداء الإسلام. وحينما كان المؤمنون يقرأون «اللهم اجعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام» يعني أنهم كانوا يطلبون من الله أن يجعلهم متمسكين بولاية أمير المؤمنين.

أمّا اليوم فقد استجيب هذا الدعاء، وإنَّ الشعب الإيراني تمسك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام من خلال النظام الإسلامي الذي استخرجه إمام الأمة من حقيقة القرآن والدين وتمّ تطبيقه في هذا البلد.

ويجب علينا تعميق هذا التمسك وتركيزه أكثر فأكثر. وإنَّ أساس التمسك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام هو التمسك بالقيم والمعايير الإسلامية العظيمة.

فيجب العمل بجميع القيم الكريمة التي جاء بها الإسلام، سواء القيم الفردية، كعلاقة الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى والتوسل والتضرع إليه؛ والتي كانت من أهمّ القيم الفردية لإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام، أو القيم والموازن الاجتماعية التي ترتبط

(١) انظر حديث الغدير للمبلائي: ٤٤.

بقضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والدولية، أو تلك التي ترتبط بعادات المجتمع وتقاليد.

فلا بدّ لكم من معرفة الأمور التي اعتبرها الإسلام قيماً سامية وتطبيقها في مجال عملكم، وفي انتخاب معاونيكم، وفي تنفيذ المهمات الموكلة إليكم، وفي إعداد المشاريع للمؤسسات التي تعملون فيها. وهذا هو معنى التمسك الكامل بالولاية. وكلما كان الالتزام بهذا الأمر أكبر، كان المجتمع الإسلامي فيه أقوى وأكثر شعوراً بالعزة والكرامة وتقدمه - في جميع مجالات الحياة - أسرع وأعمق.

نجاح الحكومة الإسلامية يؤكد صحة المبادئ الإسلامية

إننا نعيش اليوم مرحلة حسّاسة ومهمّة، فإذا كانت لدينا - بعد انتصار الثورة - عدّة مراحل حسّاسة ومهمّة فإنّ هذه المرحلة هي إحداها، وهذه المرحلة هي مرحلة إعادة بناء ما دُمّر في هذه البلاد.

وإذا لم يتمكّن الشعب الإيراني من إعمار البلاد فسيكون كاذباً - والعياذ بالله - في أنظار الرأي العام العالمي بدعواه في تبني المبادئ والأفكار الإسلامية. وإنّ الدعوات المستمرة التي يوجّهها المسؤولون في البلاد، ورؤساء القوى الثلاث وجميع خدّام الشعب من أجل إعمار البلاد، كلّها تدور في هذا المحور. وهذه المرحلة هي فرصة ثمينة حصل عليها الشعب الإيراني من أجل إعادة بناء البلاد بعد تلك الحرب الطويلة التي قرّضت عليه.

وبسبب حساسية وأهميّة هذه المرحلة، تشاهدون أنّ العالم يشنّ هجوماً شاملاً ويقوم بتسديد سهامه المسمومة ضدّ السياسات البتّاءة لهذا الشعب المجاهد.

فالهجمة الإعلامية من جانب، والمؤامرات السياسية من جانب آخر، ومحاولة

الإخلال بأوضاع البلاد الأمنية والاقتصادية من جانب ثالث. إلا أنّ أكثر تلك المؤامرات تبوء - والحمد لله - بالفشل الذريع. وما تشاهدون من نجاح للعدو في هذا المجال ما هو إلا جزء يسير من تلك المؤامرات الكثيرة التي يحكيها ضدّ هذا الشعب وهذه الثورة، ويمكن أن يقال أنّه يقوم بالتآمر عشرة أضعاف مما يحقّقه من نجاح في الوقت الحاضر.

وفي مثل هذه الظروف فإنّ الالتزام الجدّي والحقيقي بالقيم والمعايير الإسلامية هو الذي يهيء لكم أسباب الموقّية والنجاح في أعمالكم، وهو الذي يساعد على إنجاز عملية بناء البلاد ويعبئ جميع القوى من أجل هذا البناء المقدّس، وهو الذي يؤمّن الحضور الدائم لأبناء الشعب في ساحة المواجهة.

طبعاً الى جانب كلّ ذلك لا بدّ من تسديد الله (سبحانه وتعالى) لنا في هذا المجال (١).

ضرورة الغدير والحاجة إليه الآن

الغدير قضية أساسية تؤمن بها نحن الشيعة، كما يؤمن بها جمعٌ من المسلمين، فليس الأمر مقتصرًا علينا نحن الشيعة.

إنّ نظرة على تاريخ الإسلام وتحليلاً لتلك الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام من شأنها توضيح أنّ مسألة الغدير - أي تعيين خلف للرسول ﷺ - كانت أمراً ضرورياً، ولو كان التدبير الرحماني (الإلهي) والنبوي قد تحقق حسب المشيئة الربانية لتغيرت مسيرة التاريخ البشري، ولأصبحنا اليوم في مقدمة تاريخ الإنسانية المديد.

إنَّ استطاعة خاتم الأنبياء ﷺ على نشر الدين، وتأسيس نظام يُلبّي كافة حاجات الإنسان كانت معجزة كبرى في حد ذاتها، وخصوصاً أنَّ الرسول ﷺ حقق هذا النظام الفكري والعملي على أرض الواقع، وذلك في أصعب الظروف وأشق الأمكنة، وهو ما يدل على أنَّ ذلك الإنجاز الكبير كان من الممكن تحقيقه في كافة نقاط العالم وعلى مرّ الأجيال السابقة واللاحقة.

لقد استطاع النبي ﷺ إقامة ذلك النظام العلمي الشامخ في نطاق الواقع، وهذا في أشدّ الظروف صعوبة وقسوة.

ولو كانت قضية الغدير قد تحققت، وأدخلت المزيد من التطور كمّاً وكيفاً على المجتمع الإسلامي والنبوي الذي شيدته يد القدرة الإلهية؛ ولو كنا قد استطعنا العناية به والحفاظ عليه طوال اثني عشر جيلاً، لكان مما لا يقبل الجدل والمرآء أن تظلّ تلك الحركة على مرّ التاريخ البشري صرحاً قريباً يستعصي على الزوال.

على أنَّ هذا لا يعني بالضرورة أنَّ البشرية لم تكن لتعيش مرحلة انتظار، أو أنها كانت ستبلغ ذروتها المطلوبة خلال تلك الاثني عشر جيلاً، فحتى لو كان قد تحقق ما أراده الرسول ﷺ، وجاء بعده أمير المؤمنين، ثم الإمام الحسن، ثم الإمام الحسين عليه السلام، وتعاقب عليهم باقي الأئمة عليهم السلام، لكان من المحتم جداً أن تحتاج البشرية أيضاً إلى فترة انتظار؛ من أجل تحقيق ذلك المجتمع النموذجي.

ومع ذلك فإنه لو كان قد تمّ تعاقب المعصومين عليهم السلام - بما يتمتعون به من أمانة وكفاءة - لكان بإمكانهم الحفاظ على تلك الحقيقة التي تجسدت على أرض الواقع، ولكان مسار البشرية قد أخذ اتجاهاً آخر.

استمرار الحاجة إلى الغدير

إنّ البشرية مازالت تحتاج إلى ما كانت تحتاج إليه قبل خمسة آلاف عام مضت؛

لأن الحاجات الأساسية للإنسان لم تتغير.

لقد كانت البشرية تعاني في ذلك الزمان من وطأة ظلم القوى الغاشمة، وهكذا اليوم، فإنكم لو شاهدتم كيف تُسيطر القوى الجائرة والمدمرة على العالم، لوجدتم أنّ البشرية مازالت تئن تحت فداحة الألم.

كما أنّ البشرية آنذاك كانت تحتاج إلى العدالة وكانت تعاني من قسوة الظلم والجور، وها هي اليوم ما زال هاجسها الأول ومعاناتها الكبرى من انعدام العدالة.

إنّ من الخطأ أن نتصور أنّ هذه الحرية الفردية، تلك التي منحها الليبرالية الديمقراطية الغربية للبشرية، كانت حاجة بشرية لم تكن موجودة من قبل، وذلك لأن الحرية الفردية على أنماطها المختلفة اليوم كانت موجودة أيضاً في العديد من بقاع العالم، وخلال الكثير من الحقب التاريخية.

إنّ تلك الأغلال التي تُقيّد الإرادة الإنسانية اليوم بصورة مبهمّة كانت من الواضح بإمكان في ذلك الزمان.

إنّ هذه الشباك التي تلتف اليوم على إرادة الإنسان وحركته وحياته قد حيكت بعناية فائقة من خيوط رقيقة ودقيقة، وهي مهارات كانت منعدمة في سالف الأزمنة، ولهذا كانت أشد وضوحاً وأكثر فتكاً بالبشرية؛ إذاً فمتطلبات البشرية لم تتغير.

ولو كانت تلك الأمانة النبوية قد تناقلتها الأيدي، وسهرت على رعايتها من حيث الكم والكيف على ما ينبغي، لكانت البشرية اليوم قد حققت ضرورياتها الملحة (وكان من الممكن حتى أن تكون هناك متطلبات أخرى للبشرية لا نعرفها نحن اليوم) ولكنها لم تكن بهذه الصورة الابتدائية.

إننا اليوم وكافة المجتمعات الإنسانية مازلنا نعيش مرحلة الضروريات الابتدائية البشرية؛ فالفقر ما زال موجوداً في العالم، والتفرقة ليست بالحجم اليسير، بل ازدادت حدتها، ولا تخص مكاناً دون آخر، بل إنها واضحة المعالم في كل مكان،

والغطرسة ما زالت قائمة، وسيطرة الإنسان على الإنسان بلا وجه حق ما زالت ظاهرة موجودة، وهي نفس الظواهر التي كانت تعمّ المجتمعات البشرية بصورة أخرى مختلفة منذ ألفين أو أربعة آلاف عام.

إنَّ الإنسانية ما زالت تعيش نفس تلك المآسي، وإن كانت أشكال المعاناة قد تغيرت.

لقد كان (الغدير) بداية نمطية جديدة قادرة على إخراج البشرية من تلك المرحلة إلى مرحلة أخرى جديدة.

لقد كانت حاجات الإنسان حينذاك أبلغ وأعظم، وكان طموحه وحبه أسمى وأرفع، وهو ما كان يشكل أكبر تحدياته.

إنَّ طريق التقدم مفتوح دائماً أمام البشرية، ومن الممكن أن يعمر البشر آفاقاً أو ملايين من السنين القادمة، وكلما ازدادت سِنِّي عمرها ستكون على الدوام في حاجة إلى التطور، سوى أنَّ القواعد الأساسية يعتريها الخراب اليوم، تلك القواعد التي أسسها نبي الإسلام ﷺ واعتمد لها نظام الوصاية والنيابة حفاظاً على بقائها، وهو ما لم يحدث، ولو كان حدث لكانت الأوضاع على غير ما هي عليه الآن.

لقد عمل الأئمة (عليهم السلام) جاهدين خلال مئتين وخمسين عاماً من حياتهم - وهي الفترة التي كان لهم ظهور فيها منذ رحيل النبي ﷺ وحتى شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام - على أن تسير الأمور كما أرادها الرسول ﷺ، ولكن ذلك لم يتحقق (١).

(١) من كلمة ألقاها في الزمان: ٢٩/١٠/١٣٨٤ هـ - ١٨ / ذي الحجة / ١٤٢٦ هـ ق -

حادثة الغدير من المسلمات

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (١)

إن قضية الغدير قضية إسلامية وليست مجرد قضية شيعية؛ ففي تاريخ الإسلام، وذات يوم، قال رسول الله ﷺ كلاماً وعمل عملاً يحتوي كل منهما على دروس ومعاني مختلفة. وليس بوسعنا القول إن على الشيعة فقط الاستفادة من الغدير وحديث الغدير، أمّا سائر المسلمين فلا يشاطرونهم الاستفادة من المضامين القيمة الواردة في هذا الحديث النبوي الشريف والذي لا يختص بحقبة دون أخرى.

وفي الحقيقة فإن الشيعة يكتون حباً خاصاً أكثر من سواهم لهذا اليوم وهذا الحديث نظراً لتنصيب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إماماً وولياً في يوم الغدير، غير أن حديث الغدير لا يقتصر فقط على استخلاف أمير المؤمنين، بل يشمل على مضامين أخرى بوسع المسلمين جميعاً الاستفادة منها.

ففيما يتعلق بأصل حادثة الغدير، يجدر بكافة المهتمين بالتاريخ الإسلامي أن يعلموا بأنها قضية مسلمة لاشك فيها (٢)، حيث إنها لم ترد في الروايات الشيعية وحسب، بل إن المحدثين من أهل السنة - سواء في العصور المتقدمة أو المتوسطة

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) ممن صرح بتواتر حديث الغدير: السيوطي والمناوي في التيسير وفي الصفوة، وشارح المواهب اللدنية، وشمس الدين الذهبي. انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٢٠٦ ح ٢٣٢، والبيان والتعريف في أسباب ورود الحديث: ٣ / ٢٣٤ ح ١٥٧٦، والغدير: ١ / ٣٠٠ عن الأزهار المتناثرة للسيوطي، وحاشية إحقاق الحق: ٢ / ٤٢٣.

أو المتأخرة - نقلوا هم أيضاً حادثة الغدير، أي تلك التي وقعت في حجة وداع الرسول الأكرم ﷺ في غدير خم.

قصة الغدير

في ذلك اليوم كانت قوافل المسلمين التي أدت مع رسول الله ﷺ فريضة الحج قد تقدم بعضها إلى الأمام، فأرسل النبي ﷺ خلفهم من أعادهم، ثم انتظر حتى التحق بركبه من تأخر من القوافل؛ فاجتمع حينذاك حشد غفير من المسلمين قيل إنهم بلغوا تسعين ألف، وقيل مئة ألف، وقيل مئة وعشرين ألفاً.

وفي هذا الجو الحار لم يستطع سكان الجزيرة العربية أن يضعوا أقدامهم على الأرض الملتهبة حرارةً مع أن معظمهم كانوا من سكان البوادي والقرى الذين تعودوا على تحمل الحر الشديد، حتى إنهم اضطروا لوضع عباءاتهم تحت أقدامهم والوقوف فوقها، وهو ما ورد أيضاً في روايات أهل السنة. وفي مثل هذه الظروف أوقف الرسول ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام ورفع يده أمام الأشهاد قائلاً: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه؛ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١).

وهناك كلام بالطبع ورد في خطبته ﷺ قبل وبعد هذه الجمل، ولكن أكثره أهمية هو ذلك القسم الذي يصرح فيه الرسول ﷺ بقضية الولاية - أي الحاكمة الإسلامية - وينصب فيه أمير المؤمنين إماماً للمسلمين بصورة رسمية وصریحة. ولا شك في أنكم قد سمعتم سلفاً بهذا الكلام الذي قلته أنا الآن، كما أن إخوتنا من أهل السنة قد نقلوه في العشرات من كتبهم المعتمدة، وهو الذي جمعه المرحوم العلامة الأميني في كتابه «الغدير»، وصنّفه الكثيرون أيضاً في العديد من مؤلفاتهم.

(١) شرح الأخبار: ١/١٠٩ ح ٢٨.

وعلى هذا فإن هذا اليوم هو يوم الولاية أولاً، وثانياً هو يوم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

ما معنى الولاية والحاكمية ؟

فما معنى الولاية في هذه الجملة التي أطلقها الرسول صلى الله عليه وآله إن معناها باختصار هو أن الإسلام لا ينحصر في الصلاة والصيام والزكاة والأعمال الفردية والعبادات، بل إن له نظاماً سياسياً وحكومة قائمة على أحكام الشريعة الإسلامية، فالحكومة هي الولاية في العرف والاصطلاح الإسلامي. فكيف هو شكل حكومة الولاية؟ (١).

حقيقة معنى الولاية

الولاية ذات معنى عميق، وتعني في الأساس قرب الشيثين من بعضهما. فإذا أبرم حبلان - على سبيل المثال - مع بعضهما حتى لا يعود من السهل نقضهما، يطلق عليه باللغة العربية «ولي». والولاية تعني الاتصال المباشر والصلة الوثيقة بين الشيثين.

وجميع المعاني التي وردت في اللغة لكلمة الولاية؛ من قبيل المحبة، والقيومة، وما إلى ذلك من المعاني الأخرى التي يناهز عددها السبعة أو الثمانية (٢)، يعبر كل واحد منها عن نوع من القرب والصلة القائمة بين الطرفين

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ - مدينة مشهد المقدسة .

(٢) أقول: الولاية بالكسر - وهي الإسم - وبالفتح - وهي المصدر - لها عدة استعمالات وهي:
الأولى بالشيء، الرب، المالك، السيد، المنعم، المعتق، الناصر، المحب، التابع، الجار، ابن العم، الحليف، العقيد، الصهر، العبد، المعتق، المنعم عليه، العم، الابن، ابن الأخت، الشريك، صاحب

، النزيل ، القريب ، الفقيد ، الولي ، المتصرف في الأمر ، المتولي في الأمر .
وشواهد ذلك مدونة في كتب اللغة والتاريخ - راجع لسان العرب : ٤٠١ / ١٥ - ٤٠٧ ، وكتر العمال :
٢٢٨ ، والغدير : ١ / ٣٦٢ .

دلالة الآية على الإمامة

ذكر علماء اللغة والتفسير أن الولي هو الأولي بلا خلاف - راجع الارشاد : ٧ / ١ ، والغدير : ١ / ٣٤٠ - ٣٨٥ ،
ومعاني الأخبار : ٦٧ - ٦٩ ، والإحتجاج : ٢٥٤ ط. دار الكتاب .
* قال السيد المرتضى : قد ثبت أن لفظة وليكم في الآية تفيد من كان أولي بتدبير أموركم ويجب طاعته
عليكم .

ثم استدل - قدس - بقول أهل اللغة : لأنهم يقولون : هذا ولي المرأة - إذا كان يملك تدبير إنكاحها والعقد
عليها ... ويصفون السلطان بأنه : (ولي أمر الرعية) ومن يرشح للخلافة : (ولي عهد المسلمين) .

وقال المبرد : أصل تأويل (الولي) الذي هو أولي أي أحق ، ومثله المولى .

ثم استدل بكلمة : وليكم - على انحصارها بفرد أمير المؤمنين عليه السلام ملخصه :
إن الكاف والميم يراد بها أربعة وجوه :

١ - جميع المكلفين من مؤمن وكافر .

٢ - الكفار دون المؤمنين .

٣ - المؤمنون دون الكفار .

٤ - بعض المؤمنين .

والوجه الأول والثاني باطلان لعدم جواز تولي الكفار على المؤمنين خاصة في تدبير الأمور والتملك .
والوجه الثالث لا يصح مع فرض الولي لأن المراد بالتولية أن بعض المؤمنين أو أحدهم يولي على البقية
فيكون ولي ومولى .

فبتعين النحو الرابع .

ومع وجود أداة الحصر - إنما - يتعين كون الولي شخص واحد لأنها تنفي الحكم عن عدا المذكور ، نحو :
إنما لك عندي درهم .

وبذلك تنتفي الموالاتة في الدين والمحبة لعدم صحة التخصيص فيهما فالمؤمنون كلهم مشتركون في

الذين تجمعهما الولاية، فتطلق الولاية على المحبة مثلاً لوجود علاقة معنوية بين المحب والمحبوب ولا يمكن فصلهما بهذه السهولة.

يعبر الإسلام عن الحكومة بكلمة «الولاية»، ويعبر عن الشخص الذي يكون على رأس الحكومة بكلمات الوالي، والمولى، وهي بأجمعها مشتقة من كلمة الولاية. فما معنى هذا؟ يعني هذا في النظام السياسي للإسلام أن الشخص الذي يتصدى لزام الأمور تربطه مع الناس الذين بيده زمام حكمهم، صلات وثيقة لا تفصم عراها. وهذا ما يعكس لنا الفلسفة السياسية للإسلام في قضية الحكومة. وكل حكومة لا تقوم على هذه الصورة فما هي بالولاية ولا هي بالحكومة التي يصبو إليها الإسلام. فإذا افترضنا على رأس الحكومة أشخاصاً لا يرتبطون بأية صلات مع الشعب، فلا ولاية هنا، أو إذا كانت العلاقة مبنية على الخوف والإرهاب - أي خالية من المودة والمحبة - فما هي من الولاية في شيء. وإذا ما تسلم أحد السلطة عن طريق الانقلاب فلا ولاية هنا. وإذا آل الحكم إلى شخص بالوراثة والصلة النسبية - بدون التحلي بالفضائل والكفاءات الحقيقية التي هي شرط في الحكومة - فليست هذه ولاية.

الولاية تصدق حينما يرتبط الولي أو الوالي مع الناس الذين يتولاهم بصلات وثيقة وحميمة، كما هو الحال بالنسبة لرسول الله ﷺ الذي «بُعث من أنفسهم» أو «بُعث منهم». أي أن يكون الشخص الذي يأخذ بولاية الناس، من الناس أنفسهم، وهذه هي الركيزة الأساسية في حاكمية الإسلام.

هذا المعنى.

قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ - التوبة: ٧١.

وبذلك ثبت انحصار الولي في شخص واحد، والمرالاة في أمر التدبير وفرض الطاعة - الذخيرة في علم

من الطبيعي أنّ المعايير محفوظة في موضعها؛ فإذا كانت لأحد صلة مع الشعب بدون التحلي بتلك المعايير الحقيقية، فهذه أيضاً ليست ولاية؛ إذ تلك الملاكات والمعايير معدومة في حقه، حتى وإن تحلى ببعدها آخر^(١).

حينما يكون على رأس أحد الأنظمة وليّ الله - كالرسول الكريم ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام - فذلك المجتمع هو مجتمع الولاية، والنظام نظام الولاية. والولاية أيضاً صفة للمنصب الذي كان لرسول الله ولأوصيائه من بعده بأمر الله، وهي أيضاً خاصية من خصائص المجتمع الإسلامي الذي كان يعيش في ظل تلك الحكومة ويستمد معناه من معانيها.

المفهوم الكلي للولاية

إنّ الولاية كصفة للحكومة في الإسلام وكمؤشر يميز النظام الاجتماعي والسياسي في الإسلام، لها معنى دقيق وذو مغزى، يعكس المعنى الأصلي للولاية، وذلك هو الترابط والتلاحم والإنسجام والتداخل، والذي تتداعى على أثره إلى الأذهان معاني الوحدة والتكاتف والعمل الموحد والتضامن ووحدة الطريق والهدف، والاتحاد في كل الشؤون السياسية والاجتماعية.

الولاية تعني الترابط: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾^(٢) أي أنّ هذا الترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي يحصل بالهجرة، وليس بالإيمان وحده. فالترابط الولائي الذي يعد ظاهرة سياسية واجتماعية وموقفاً مصيرياً في الحياة يتحقق بالجهد والحركة والهجرة والعمل المشترك

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في ١٨ ذي الحجة الحرام ١٤١٧هـ

(٢) سورة الأنفال: ٧٢.

والموقف الموحد. ولهذا لا يكون الولي في النظام الإسلامي بمعزل عن الأمة. فالولاية تعني التلاحم والإنسجام والترابط، كما وتعني في أحد أبعادها المحبة، وتعني في موضع آخر التأزر والتعاون. وهذه المعاني كلها تمثل في الواقع مصاديقاً للارتباط والتضامن والإتحاد والوحدة؛ أمّا المعنى الحقيقي فهو الإتحاد والتلاحم.

إذا نظرنا إلى المجتمع الإسلامي بهذا المنظار، تتخذ الوحدة الإجتماعية والوحدة السياسية والوحدة المعنوية والروحية والعملية أبعاداً عميقة تبلور أمامنا معاني الكثير من المعارف الإسلامية كالسير باتجاه مركز عالم الوجود، وباتجاه ولاية الله؛ فذرات الوجود كلها - شاءت أم أبت - تدور في إطار ولاية الله. والإنسان الواعي الذي يحسن الاختيار، يختار الولاية الإلهية ويسير في مسارها، وينال محبة الله ويمتلئ بها قلبه^(١).

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة: عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجة ١٤١٨ هـ / طهران.

الفرق بين الولاية والإنقلاب

إن الولاية هي تلك الحكومة التي يرتبط فيها الحاكم مع أبناء الشعب بأواصر الحب والعاطفة والفكر والعقيدة. وأما الحكومة التي تفرض نفسها بالقوة، والتي يأتي بها انقلاب، والتي لا يؤمن فيها الحاكم بعقيدة شعبه ولا يقيم فيها وزناً لأفكاره ومشاعره، والتي يتمتع فيها الحاكم بإمكانات خاصة ومزايا معينة حتى في عرف الشعب - كما هو شأن حكومات العالم اليوم - ويجد فيها فرصته لإشباع نزواته الدنيوية، فإنها حكومات لا تمت إلى معنى «الولاية» بشيء؛ لأن الولاية تعني تلك الحكومة التي تجمع بين الراعي والرعية بالروابط الفكرية والعقائدية والعاطفية والإنسانية والقلبية، ويتعاطف فيها الناس مع الحاكم ويحبونه ويعتبرونه محور كل هذا النظام السياسي ويعدون عمله تكليفاً إلهياً وينظرون إليه كعبد من عباد الله. فالاستكبار لا وجود له في «الولاية»، والحكومة التي يراها الإسلام هي أسمى ديمقراطيةً وشعبيةً من كل ديمقراطيات العالم، ولها عُلقة مع أفكار ومشاعر وعقائد ومتطلبات الشعوب الفكرية، وهي الحكومة التي في خدمة الشعب.

لا ينبغي أن تكون الحكومة مطمعاً مادياً بالنسبة للحاكم أو الولي أو المؤسسات الحكومية، فهذا يخرجها عن الولاية؛ وإذا جعل الحاكم الإسلامي منصبه وسيلةً لتحقيق مآربه المادية وطريقاً للتحكم والتعالي والوصول إلى سدّة الحكم، فإنه لن يكون ولياً عندئذ، ولن تكون حكومته حكومة ولائية.

إن ولي الأمر في الحكومة الإسلامية - أي ذلك الشخص الذي يُوكّل إليه أمر إدارة النظام السياسي - لا يفترق عن باقي أفراد الشعب من الناحية القانونية، ومع أنه يمتلك حقّ القيام بالكثير من الأمور الكبرى من أجل الشعب والبلاد والإسلام

والمسلمين، إلا أنه لا يعلو على القانون.

تحريف معنى الولاية

لقد حرّف البعض معنى الولاية منذ اليوم الأول وحتى الآن، ولاسيّما بعد قيام نظام الجمهورية الإسلامية، وأعطوا لها تعريفاً مغايراً وكاذباً، فقالوا بأنها تعني الحَجْر على الناس لأنهم يحتاجون إلى وليّ وقيّم، وقد صرحت بهذه الأقوال شخصيات بارزة ومشهورة فيما يصدرونه من كتب وصحافة وكل هذا لا يعدو أن يكون كذباً محضاً واتهاماً للإسلام والولاية !

لقد طرح الرسول الأعظم ﷺ قضية الولاية بصورة رسميّة في الغدير ونصّب أمير المؤمنين عليه السلام بصفته مصداقاً لها، ولاشكّ في أنّ ثمّة الكثير من التفاصيل التي تعرّفونها؛ فإذا كان هناك من لم يطلع عليها - ولاسيّما من الشباب - فيجدر به أن يتابعها في المؤلفات والكتب الاستدلالية والعلمية وهي كثيرة ومفيدة (١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤١٥ هـ

أبعاد غدِير خم

إنَّ بإمكان الإنسان أن يُلقِي نظرة على واقعة الغدير بأبعادها المختلفة، ويستفيد منها فكرياً ومعنوياً.

١- الولاية:

فالبعد الأول: هو أصل مسألة الولاية، التي هي امتداد للنبوّة، وهذه مسألة مهمّة. فالنبوّة هي إبلاغ النداء الإلهي لأبناء البشر، وتحقق المشيئة الإلهية بواسطة الشخص المبعوث والمصطفى من الله في فترة زمنية معيّنة. ويديهي أن هذه البرهة تمرّ وتنتهي ﴿إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيّتُونَ﴾^(١)، لكن هذه الحادثة الإلهية والمعنوية لا تنقطع بوفاة النبي ﷺ، بل يبقى للحادثة أمران:

أحدهما: هو الاقتدار الإلهي، وحاكمية الدّين والمشية الإلهية بين أبناء البشر؛ لأنّ الأنبياء كانوا مظهرًا من مظاهر الاقتدار الإلهي بين البشر. فلم يأت الأنبياء لوعظ الناس فقط، بل الوعظ والتبليغ يعدّان جانباً من عمل الأنبياء ﷺ.

فالأنبياء ﷺ جميعهم بُعثوا لبناء مجتمع أساسه القيم الإلهية، أي التأثير في واقع حياة الناس، فتمكّن بعضهم وبلغ به جهاده إلى نتيجة والبعض الآخر لم يتمكن ولم يصل إلى نتيجة.

لكن هذا البعد في حياة النبي ﷺ هو بُعد أساسي. فالنبيّ أضحى بهذا البعد مظهراً من مظاهر القدرة الإلهية على الأرض وبين أبناء البشر، ومظهراً من مظاهر الحاكمية والولاية الإلهية بين الناس. وهذا بعد ممتدّ ليعلم أنّ الدين لا يمكن أن يترك أثره في برهة زمنية أو فترة تاريخية إلا بوجود هذه الزعامة والحاكمية والافتقار فيه.

ثانيهما: - وهو على نفس القدر من الأهمية - أنه إذا كانت هذه الحاكمية لا تنقطع بل تمتدّ بعد وفاة النبي ﷺ، فلا يمكن للحاكمية أن تخلو من الأبعاد المعنوية للنبي ﷺ.

صحيح أنّ للنبي ﷺ مقام عظيم واستثنائي، ولا يقاس به أحد، لكن يجب أن يكون امتداد وجوده متناسب مع وجوده، ويجب الحفاظ على القيم الموجودة في الوجود المقدس للنبي ﷺ في من هو امتداد لوجوده، طبعاً بقدر ظرفية ذلك الشخص.

وهذا الأمر لم يتحقق ويتبلور في تلك الفترة وذلك الفصل المهمّ من تاريخ النبوة والولاية - والذي وجب في من هو امتداد للنبي ﷺ أن يكون معصوماً وإلا وقع الانحراف - سوى في الوجود المقدس لأمير المؤمنين عليه السلام.

إذن حادثة الغدير قد سجّلت هذين الأمرين معاً في تاريخ الإسلام. وهذا بُعد في قضية الغدير (١).

جوهر الولاية والحكومة

إن مضمون وجوه الولاية الذي تكرر في واقعة الغدير «من كنت مولاه فهذا علي

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤١٥ هـ

مولا»^(١) هو بُعد مهم في القضية، وخلال هذه الواقعة التاريخية عبّر الرسول الأكرم ﷺ عن الحكومة بكلمة الولاية.

توجد في اللغة العربية واللغات الأخرى تعابير مختلفة لوصف هذه الظاهرة المسماة بالحكومة والسلطة وإدارة زمام الأمور، أو لتسمية الشخص أو المجموعة التي تحكم المجتمع، ويشير كل واحد من هذه التعابير إلى جانب خاص منها. فكلمة الحكومة مثلاً تشير إلى الشخص أو الجماعة التي تكون على رأس السلطة وتدير شؤون الناس، وهم بدورهم يطيعون أوامرهم. وهناك أيضاً كلمة السلطنة، وتشير إلى الإقتدار والقوة والتسلط على الأمور. وتوجد هذه التعابير نفسها في اللغة الفارسية أيضاً.

في الإسلام هناك تأكيد على كلمة «الولاية» أكثر من غيرها سواء في هذا الموضوع أم فيما ورد في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٢) إذ جاء التعبير عن الحكومة بكلمة «الولاية»^{(٣)(٤)}.

وطبقاً للفقهاء الشيعة يجب على كل المسلمين إطاعة الأوامر الولاية الشرعية

(١) الكافي: ٤ / ١٤٩ - ٥٦٦.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغر في: ١٨ ذي الحجة الحرام ١٤١٧ هـ.

(٤) قال تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ - النساء: ٥٩.

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ - سورة المائدة: ٥٥.

وقال: ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾

وقال: ﴿أم اتخذوا من دون الله أولياء فإنه هو الولي﴾ - سورة هود: ٢٠، والشورى: ٩.

وقال: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ - سورة الأحزاب: ٦.

وقال: ﴿والمؤمنون بعضهم أولياء بعض﴾ - سورة التوبة: ٧٢.

وقال: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ - سورة المائدة: ٥١.

وقال: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾.

الصادرة من وليّ أمر المسلمين ، والتسليم لأمره ونهيه حتى على سائر الفقهاء العظام فكيف بمقلديهم ! ولا نرى الإلتزام بولاية الفقيه قابلاً للفصل عن الإلتزام بالإسلام وبولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام (١).

أصل قضية الغدير

قد تتخذ القضية تارة طابع اختيار شخصية لمنصب الخلافة كشخصية أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) الذي له صفات فريدة في جميع الجوانب، وهي طبعاً حادثة مهمة وعظيمة وجديرة بأن تتخذ كعيد على سنوات متتالية، بل وعلى مدى قرون طويلة، ومن المتعارف أيضاً أنّ الذين يحبون شخصاً يتهجون حينما تتوفر له الامكانيات أو حينما يحرز منصباً ومكانة. وهذا له أهميته أيضاً؛ حيث إنّ تنصيب شخص كأمر المؤمنين عليه السلام لخلافة الأمة الإسلامية لا يعتبر حدثاً عادياً. إلا أنّ قضية الغدير أكثر أهمية وأكبر من كل هذا.

لا يقتصر شرف حادثة الغدير على تنصيب شخص كأمر المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، الذي لا مثيل له في عالم الوجود، لمنصب الحكومة والخلافة والولاية، ولكن بالإضافة تحمل قضية الغدير جانباً آخر لا تقل أهميته عن قضية تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بصفته الشخصية، وذلك هو أصل قضية الولاية، والمضمون الخاص الذي تنطوي عليه في الإسلام.

إنّ ما يمكن أن يبقى قائماً على مدى الزمن ويتسنى لبني الإنسان استقاء العبر منه وتسيير حياتهم الحالية والمستقبلية وفقاً له، هو المضمون الذي اشتملت عليه واقعة الغدير.

فالأمر الإلهي الخاص الصادر عن الله عزّ وجلّ، والذي عيّن على أساسه

(١) أجوبة الإستفتاءات، باب ولاية الفقيه.

الرسول الكريم ﷺ شخصاً بهذه المواصفات كولي من بعده، يعد بحد ذاته أمراً مهماً ودرساً كبيراً ويشكل جانباً مهماً من الإسلام، بل وربما يمكن القول أن أساس الإسلام وركيزته تكمن في هذا الجانب من القضية، حتى إن هذا الأمر على قدر من الأهمية بحيث تقول الآية الشريفة: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (١). (٢).

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجة الحرام ١٤١٧هـ.

٢- إدارة شؤون الناس أمر إلهي:

البعد الآخر هو إدارة شؤون الناس، فإنه أمر إلهي وليس أمراً بشرياً، وهو يختلف عن شؤون الإنسان الأخرى. وهذا الجانب قد يستغله البعض ويلقي بالكثير من الإنحرافات والسلبيات على حساب العلاقة مع الله، ومثل هذا الإستغلال قد يحصل طبعاً في جميع حقائق العالم، وحتى النبوة استغلها البعض وادّعاها لنفسه وأضل نقرأ من الناس. إلا أن هذا الإستغلال بالباطل لا يبرر لنا المرور على هذا البعد من القضية مروراً عابراً.

هذه القضية بذاتها، أعني إدارة شؤون المجتمع وما يتعلق بمسيرته ومصيره والجوانب البناءة في حياة الإنسان، لها صلة بمعدن الإدارة الإلهية والتعيين والتنصيب الإلهي. وهذا أحد أبعاد المضمون الذي أشرنا إليه^(١).

رسالة الغدير حاكمية الإسلام في المجتمعات

إنّ البعض يتصوّر أنّ بإمكانه أن يكون مسلماً دون العمل بالأحكام الإسلامية، وهذا معنى فصل الدين عن السياسة، أي كونوا مسلمين بالإسم لكن لا تعملوا بالأحكام الإسلامية، أي النظام المصرفي، والنظام الاقتصادي وتركيبه الحكومة والعلاقات الفردية والاجتماعية، كلّ هذه تدار طبقاً للقوانين غير الإسلامية، بل المخالفة للإسلام في المناطق التي يحكمها القانون، وطبقاً لإرادة ورغبة إنسان قاصر

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجة الحرام ١٤١٧هـ.

ناقص في المناطق التي لا يحكمها القانون كبعض الدول الإسلاميّة اليوم. كيف يمكن تصوّر أناس مسلمين لا يفهمون من الإسلام سوى الصلاة والصوم والطهارة والنجاسة فقط، وتكون شؤون الإسلام الرئيسيّة كإدارة نظام الحياة، وقضايا الاقتصاد والعلاقات الثقافيّة والاجتماعيّة والتربية والتعليم كلّها غير إسلاميّة، بل تصدر من قوانين غير إسلاميّة أو عن رغبات فردية وغير إسلاميّة، فيجب أن يحكم الإسلام في المجتمعات الإسلاميّة. إذن كان للغدير هذا النداء وهذه الرسالة، فإنّ الكثير من المجتمعات تتلقّى الضربات اليوم جرّاء عدم اعتمادها بهذه القضية.

إنّ بعض الدول التي تتظاهر بتطبيق أحكام الإسلام بنحو ما، وتستند إلى آية أو رواية لتمير شؤونها وتسنّأجر بعض المعمّمين ليفتون ويديرون أعمالها، فهذه الدول وإن كان فيها شيء من حاكمية الإسلام - ولو ظاهريّاً - لكن هذه الحاكميّة غير مقرونة بالقيم والمعايير النبويّة والولائيّة: لا العلم، ولا التقوى، ولا العدالة، ولا العبوديّة لله، ولا الخشية من الله، ولا حالة التضرّع والخضوع «ترتعد فرائضه في المحراب» التي هي سيرة الأنبياء والأولياء، الذين كانوا قدوة للجميع ومقرّبين إلى الله، بل هي بعيدة جدّاً عن الدّين - إن لم تأت بتعابير أشدّ وأوضح -

إذن الغدير مفهوم راق ومنقذ، والولاية في الإسلام مفهوم سام، فليُعَلِّم ذلك وليُفخر الشيعة بذلك، ويحاول غير الشيعة معرفته^(١).

والبعد الثالث هو شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام.

وتقدم تفصيل ذلك.

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤١٥ هـ.

والبعد الرابع هو اهتمام النبي الأكرم ﷺ بقضايا ما بعد وفاته ﷺ (١).

٤- الغدير امتداد لخط الرسائل الإلهية:

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (٢).

إن يوم الغدير يمثل في الحقيقة امتداداً لخط الرسائل الإلهية بأسرها، وهو تتويج لهذا الخط الثابت الزاهر على مر التاريخ. وإذا ما ألقينا نظرة على الرسائل الإلهية نجد أنّ الأنبياء والرسل ﷺ قد تناقلوا هذا الخط الثابت عبر التاريخ حتى آل إلى النبي الأكرم الخاتم ﷺ، ثم تجسّد وتبلور عند نهاية حياة هذا الرجل العظيم على هيئة واقعة الغدير.

وحرى بي هنا الإشارة إلى أهمية دعاء الندبة الذي يمثل في واقع الأمر خطبة غراء في بيان معتقدات الطائفة الإمامية وتطلعاتها وآلامها على مرّ تاريخها، فإذا ما تمعنتم تجدون هذا الخط الواضح الإلهي مرتسماً عند مطلع دعاء الندبة "الحمد لله على ما جرى به قضاؤك في أوليائك"، وهذا الخط متواصل منذ فجر تاريخ الرسائل حتى النبي الخاتم، ومضمون الرسالة الذي هو عبارة عن دين الله هو في الحقيقة بلورة وتوجيه وصياغة جهود الإنسانية، فالدين إنما يعني صراط الحياة، وإذا ما أمعنتم النظر في أي مجتمع إنساني أو أي بلد تجدون أنّ الناس فيه يمارسون نشاطات متنوعة ومختلفة لتأمين شؤونهم الشخصية والعاطفية والمعاشية العامة، فالدين هو الذي يتولى توجيه هذه النشاطات ويرشدها ويرفد العقل الإنساني كي يتسنى للإنسان تنظيم هذه النشاطات وتنسيقها مع بعضها كي يحقق سعادته

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤١٥ هـ

(٢) سورة المائدة: ٣.

الدينية والأخروية.

مغزى واقعة الغدير: بقاء حجة الله

لقد بُعث النبي ليعلم الناس ويزكيهم ﴿يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾^(١).
 وورد في مواضع أخرى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٢) فلا بد من تعليم
 الناس وتزكيتهم أيضاً، كي يتسنى لهذا المجتمع البشري الكبير الذي يقطن هذه
 المعمورة أن يطوي طريق الكمال كأسرة متوحدة سليمة، ويتنعم بما في هذا العالم
 من خيرات، وهذا هو الهدف من بعث الأنبياء عليهم السلام؛ فكل مَنْ بعث منهم عليهم السلام أنجز
 هذه المهمة العظمى في التربية والتعليم بما كانت تسمح به الامكانيات المتوفرة في
 زمانهم، وكان على الدين الخاتم والنبي الخاتم صلى الله عليه وآله أن يضيف على هذا التحرك
 الإلهي العملاق طابع الأبدية، فليس هنالك من نبي يأتي بعده حتى تحط البشرية
 رحالها عند المحطة الأخيرة من حياتها في هذا العالم - حيث يفترض أن تتسم حياة
 البشرية على هذا الكوكب الأرضي بالوئام والسلام والعدل، ويغمرها بخيرات هذا
 العالم - وتنتقل إلى العالم الآخر، فأنى يتسنى السير بالبشرية نحو تلك الدار؟ إنه
 يتحقق عندما تتواصل عملية التربية إلى جانب التعليم المتواصل الذي تمارسه
 الحكومة والنظام السياسي الذي يشابه النبي صلى الله عليه وآله - وهو المعصوم - حيث يقود
 المجتمع البشري ويتولى تربيته وتهذيبه من العوالم الذميمة كي تبلغ البشرية تلك
 المحطة التي تمثل منطلقاً للحياة السعيدة التي تحلم بها الإنسانية، وذلك ما نعبر عنه
 بعهد ولي العصر (أرواحنا فداء).

(١) سورة البقرة: ١٢٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٤.

عهد صاحب الأمر (عج) هو منطلق السعادة البشرية

إنَّ عهد صاحب الأمر (أرواحنا فداه) هو منطلق الحياة البشرية وليس فناءها، ففيه ستنتطلق الحياة الحقيقية للإنسان والسعادة الواقعية لهذا الكيان البشري الكبير، ويتيسر للإنسان التمتع بالخيرات التي تضمّها هذه الأرض والمواهب والطاقات الكامنة في هذا الكون دون أي ضرر أو خسارة.

صحيح أنّ البشر في وقتنا الراهن ينتفعون بشيء لكنهم في المقابل يلحقون الضرر بشيء آخر؛ فقد اخترعوا الطاقة النووية لكنهم استخدموها لقتل الإنسان، واستخرجوا النفط من أعماق الأرض لكنه يستخدم لتدمير البيئة وتلويثها، وهو ما حصل خلال القرن الأخير، حيث اخترع الإنسان الآلات المحركة والطاقات الكامنة من قبيل قوة البخار وغيرها، لكنهم جرّعوا الإنسانية شتى الابتلاءات البدنية عن طريق المشاكل التي تخلفها الحياة المادية لبني البشر؛ إنها توفر السرعة والسهولة للإنسان لكنها تسلب منه الكثير.

ومن ناحية أخرى يعاني الإنسان المعاصر من تحطيم القيم الأخلاقية. بيد أنّ القضية تختلف عندما يظهر بقية الله (أرواحنا فداه)، حيث تتمتع البشرية بمواهب هذا الكون، وما تنطوي عليه الطبيعة من طاقات وخيرات دون أن يلحق بها الضرر أو الخسارة، تنعماً يوّدي بالإنسان إلى الرقي والكمال.

جوهر التنصيب في الغدير

لقد جاء الأنبياء عليهم السلام ليبلغوا بنا تلك المحطة التي تنطلق منها حياة البشرية من جديد، فماذا يتحتم على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أن يصنع إذا ما أراد إيصال البشرية إلى هذه المحطة بما يقتضيه الدين الخاتم؟ يجب أن تستمر تلك التربية التي وقرها للناس وتتواصل جيلاً بعد جيل، فهو صلى الله عليه وآله لا محالة راحل عن الدنيا ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١)، فعليه صلى الله عليه وآله إذن أن يستخلف من يحدو حدوه على وجه الدقة في ذلك الدرب والمنحى ويتبع نفس منهجه؛ وذلك هو علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وهذا ما يعنيه التنصيب في يوم الغدير.

لو كانت الأمة الإسلامية قد وعت يومها عملية التنصيب التي بادر إليها النبي صلى الله عليه وآله بمغزاها الحقيقي وأحسنت استيعابها واقتضت أثر علي بن أبي طالب عليه السلام وتواصلت التربية النبوية، وظلل المعصومون من بعد أمير المؤمنين عليه السلام الأجيال البشرية المتعاقبة بظلال تربيتهم الإلهية بعيداً عن الهفوات كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، لأفلحت البشرية في بلوغ المستوى الذي عجزت عن بلوغه لحد الآن بسرعة فائقة، من تطور في العلم البشري وتسام في المراتب الروحية للإنسان، واستتباب للسلام والوثام بين الناس، وزوال للظلم والجور وانعدام الأمن والتمييز والحيث بين الناس، وهذا ما صرّحت به فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)^(٢) - التي

(١) سورة الزمر : ٣٠.

(٢) قالت صلوات الله عليها: «... ويحهم أتى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين الطين (المتضلع) بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي تقموا من أبي الحسن تقموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته، ونكال وقعته وتنمره في ذات الله، وبالله لو

كانت أعرف أهل زمانها بمنزلة النبي وأمير المؤمنين عليهما السلام - من أن الناس لو اتبعوا علياً لسلك بهم هذا الطريق وبلغ بهم هذا المآل. غير أن الإنسان كثيراً ما يقع في الأخطاء.

طالما أوقعت الاخطاء الكبرى، التي شهدها التاريخ، الإنسانية في خضم من المجن الجسم، وإن مسيرة البشرية خلال عهد خاتم النبيين ﷺ زاخرة بالحوادث والقصص المهمة وتنطوي على فلسفة غاية في العمق، وعلى البشرية المعاصرة أن تبادر إلى نفس تلك الحركة والمسعى، وكلما تزينت المجتمعات البشرية بالعدالة والمعنويات وتنزّعت الإنسانية عن رذائل الأخلاق والأنانية والنوايا السيئة والنزعات الشهوانية وحب النفس إذ ذاك ستكون أكثر قرباً من ذلك في المستقبل، فلقد وقعت البشرية ضحية الانحرافات على مدى التاريخ وسلكت طريقاً ابتعد بها كثيراً عن غايتها المنشودة^(١).

لا تنظروا إلى الغدير في حدود تنصيب أو تعريف عادي حيث قام النبي الأكرم ﷺ بتعريف شخص ما، ولا شك - بطبيعة الحال - أن النبي نصّب أمير المؤمنين للخلافة على مشهد عشرات الآلاف من المسلمين، وليس هذا بالأمر

تكاثروا على زمام نبذه رسول الله ﷺ لسار بهم سيراً سجعاً «سهلاً»، لا يكلم خشاشه ولا يتتبع راحته، ولا أوردتهم منهلأ رويأ... ولفتح عليهم بركات من السماء... إلى أي لجأ لجأوا وأسندوا، وبأي عروة تمسكوا، ولبس المولى ولبس العشير، استبدلوا والله الذنابي بالقوادم (الذنابي الذنب والقوادم ريش في مقدم الجناح) والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم ﴿يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿ويحكم﴾: ﴿أمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾... أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» (انظر بلاغات النساء: ٣٢ - ٣٣، كلام فاطمة، والسقيفة للجوهري: ١١٧ - ١١٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٣٣ كتاب ٤٥، وأهل البيت لتوفيق أبي علم: ١٧٦ - ١٧٧).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤١٥ هـ.

الذي يرويه الشيعة فقط، بل إن واقعة الغدير مما يرويها إخواننا أهل السنة ومحدّثوهم بنفس المواصفات التي ينقلها الشيعة، وهو ليس بالأمر الذي يسع المرء إنكاره؛ بيد أن القضية لا تقف عند هذا الحد.

القضية هي: أن ذروة ما بلغه مزيج الدين والسياسة بصورته الرائعة البديعة وتبلوره كسنة خالدة تؤمّن الهداية للمجتمع منذ عهد آدم حيث انطلقت النبوات والرسالات وتشكلت حكومات الأنبياء مرات ومرات على مرّ التاريخ - من قبيل حكومة سليمان وداود وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام حتى عهد نبينا - قد تحقّق في واقعة الغدير، لذا فإننا نقرأ في دعاء الندبة - كما أشرت - "فلما انقضت أيامه أقام وليّه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وآلهما هادياً، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد".

يا حبذا أن نتوجه بدقة وتمعن لما بين أيدينا من معارف ننهل منها أفكارنا بفضل هدي أهل البيت عليهم السلام، ودعاء الندبة - كما أسلفت - خطبة غراء تستعرض تاريخ هذا الفكر وجذور هذه المسيرة منذ عصر الرسالات، وإذا ما تمعنتم جيداً فلن تجدوا في هذا الدعاء موضعاً يثير الاختلاف بين الشيعة والسنة - حيث النزاع التاريخي الذي أججّه أناس تحركهم دوافع شتى - وفيه يتم بيان قضية الإمامة والولاية بشكل استدلالي «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»^(١)؛ أي أنّ للنبي صلى الله عليه وآله موقع الرسالة والإنذار والتبشير فهو البادئ في شق الطريق والفتاح للأفاق أمام البشرية. بيد أنّ النبي ليس مخلّداً وأزلياً، والمجتمعات بحاجة لمن يهديها، والإسلام قد تكفل بهذا الهادي، وهم المعصومون الذين يتوالون جيلاً بعد جيل فيمسكون بزمام الأمور، ويتصدون لهداية البشرية من خلال التعاليم القرآنية الأصيلة الخالصة أجيالاً وقرناً.

(١) الأمالي: ٣٥٠ ح ٤٦.

وهم في الحقيقة إنما يقومون بعملية تجذير للأفكار والخصال والسلوكيات والأخلاق الإسلامية في المجتمع؛ لتبقى حجة الله حيّة فيما بعد في أوساط المجتمع، فلا وجود للدنيا والبشرية دون حجة قائمة، على أن تشق البشرية طريقها، وهذا ما لم يتحقق، وهذا هو ما خطط له الإسلام ومشروعه الشامل، وهذا هو المغزى من الغدير.

الإمامة هي تلك القمة في المعنى المنشود من إدارة المجتمع قبال ضروب وأصناف الإدارة المنبثقة عن مكامن الضعف والشهوة والحمية في الإنسان ومطامعه، والإسلام يطرح أمام البشرية نهج الإمامة وصفتها؛ أي ذلك الإنسان الطافح قلبه بفيض الهداية الإلهية، العارف بعلوم الدين المتميز بفهمه - أي يجيد تشخيص الطريق الصحيح - ذوقه في عمله ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾^(١) ولا وزن لديه لنفسه ورغباته الشخصية^(٢)، لكن أرواح الناس وحياتهم وسعادتهم تمثل أهم ما لديه، وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام عملياً أثناء حكمه الذي استمر أقل من خمس سنوات، فإنكم تلاحظون أن فترة ما يقل من خمسة أعوام هي فترة حكم أمير المؤمنين تمثل أنموذجاً ومقتدياً لن تنساه البشرية أبداً، وستبقى خالدة وضاءة قروناً متطاولة، وهذه هي ثمرة واقعة الغدير والدرس والمغزى والتفسير المستقى

(١) سورة مريم: ١٢.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: الإمام «يا طارق» بشر ملكي وجسد سماوي، وأمر إلهي وروح قدسي، ومقام علي ونور جلي، وسرّ خفي، فهو ملكي الذات إلهي الصفات، زائد الحسنات عالم بالمغيبات، خصاً من رب العالمين، ونصاً من الصادق الأمين، وهذا كله لآل محمد (ص) لا يشاركونهم فيه مشارك، لأنهم معدن التنزيل، ومعنى التأويل وخاصة الرب الجليل، ومهبط الأمين جبرائيل، صفات الله وصفوته، وسرّه وكلمته، شجرة النبوة، ومعدن الفتوة، عين المقالة ومنتهى الدلالة، ومحكم الرسالة، ونور الجلالة، حبيب الله ووديعته، وموضع كلمة الله ومفتاح حكمته، مصابيح رحمة الله وينابيع نعمته، السبيل إلى الله والسلسبيل، والقسطاس المستقيم، والمنهاج القويم، والذكر الحكيم، والوجه الكريم، والنور القويم» بحار الأنوار: ١٧٢/ ٢٥ ح ٣٨ باب جامع في صفات الإمام.

منها.

لقد اجتذبنا شعبنا وقلوبنا باسم أمير المؤمنين عليه السلام نحو عظمة هذا الرجل الشامخ وهذه الشخصية التاريخية الخالدة، بيد أنّ ذلك لا يعني انتفاء حاجتنا للمسيرة العلوية والتزامنا بحياة أمير المؤمنين - في هذه الأعوام - وتبقى يستهلكها التاريخ؛ كلا، فنحن بحاجة في كل آنٍ إلى أن نتطلع نحو ذلك الأنموذج والشاخص والمعلم الذي تزخر به حياة أمير المؤمنين فنقتدي به ونقلص الهوة السحيقة التي تفصلنا عنه خطوة فخطوة^(١).

تنصيب الغدير حصيلة خصال وفضائل

على جميع الواقفين بالأدلة على كراماته أن يقرّوا بأنّ أمير المؤمنين لم ينل هذه الشخصية الشامخة من جرّاء الغدير، فما كان للغدير أن يصنع جوهر أمير المؤمنين عليه السلام الفريد، إنّما الغدير حصيلة تلك الفضائل والمزايا والكمالات. نعم الأمر الإلهي والتنصيب النبوي وبيعة المؤمنين والصحابة فضيلة كبيرة، إلا أنّ الأهمّ من ذلك هي السجايا التي اجتمعت في هذا الإنسان العظيم والفريد وأدّت إلى هذا التنصيب والبلاغ الإلهي.

الولاية في الغدير ولاية إلهية

الولاية التي أشار إليها نبي الإسلام هنا ليست هي الولاية الإلهية المعنوية الكلية المبتنية على أمور وعناصر أخرى، بل أراد بهذا البيان التشريعي: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أمراً إلهياً وسماوياً وملكوياً غنياً عن الجعل والتنصيب.

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤٢٢هـ - مشهد المقدسة.

وهذا البلاغ من النبي ﷺ في منح الولاية لأmir المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) وهذا النصب التشريعي يعني الحكومة وإدارة المجتمع الإسلامي وولاية أمر المسلمين المصحوبة طبعاً بتلك الولاية الإلهية العامة التي توقرت في الشخص المقدس للنبي وأئمة الهدى (عليهم السلام). فالولاية بذلك المعنى كانت موجودة حتى عند الأئمة عليهم السلام الذين لم يمارسوا الولاية الظاهرية، فما تمتع به أمير المؤمنين عليه السلام المنصب من قبل النبي هو الولاية السياسية، وهو المعنى الذي أوجده الله عز وجل في الإسلام على يد النبي الأكرم ﷺ (١).

عدم نسيان رسالة الغدير

على كافة المسلمين أن لا يغفلوا عن رسالة الغدير وإثنا نوصي جميع الفرق الإسلامية - لا أن نقول للشيعة فقط لا تنسوا الغدير - أن لا تنسوا أصولكم، لكن نوكد في الوقت نفسه للشيعة أن يعتمدوا ويتكثروا على فكر الغدير، فهو فكر راق ونير، فلا يتصور أن مناداتنا بالوحدة الإسلامية - رغم أننا قد وقفنا بكل قوة واقتدار أمام أعداء الوحدة الإسلامية - يعني نسيان هذا المفهوم المهم النير الأصيل المنقذ للإسلام، أي مفهوم الولاية والغدير، فإذا توجهنا إلى مسألة الغدير ففي ذلك نجاه العالم الإسلامي (٢).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤١٥ هـ.

٥ - الغدير روح الوحدة:

البعد الخامس في قضية الغدير أنها روح الوحدة، وقد كتب المرحوم آية الله الشهيد المطهري مقالاً حول ذلك بعنوان «الغدير والوحدة الإسلامية»، حيث اعتبر كتاب الغدير - الذي يعالج قضايا الغدير - أحد محاور الوحدة الإسلامية، وهو رأي صائب.

ومن الممكن أن يكون ذلك أمراً عجيّباً، ولكن هذه هي الحقيقة؛ لقد طرح أصل قضية الولاية التي لا خلاف فيها بين شيعة وسني في حادثة الغدير، وبغض النظر عن الجانب الاعتقادي لدى الشيعة من تنصيب الرسول الأعظم ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام كما هو واضح في حديث الغدير. فلو رفع مسلمو العالم وشعوب الدول الإسلامية شعار الولاية الإسلامية اليوم لانفتحت شتى المغاليق وحُلّت كافة المعضلات التي تعاني منها الأمة الإسلامية ووجدت مشكلات العالم الإسلامي طريقها إلى الحل.

إن قضية الحكومة والنظام السياسي والحاكمية السياسية لَمَن أعقد قضايا العالم؛ فبعض الدول تعاني من الاستبداد والدكتاتورية، وبعضها تعاني من الحكومات الفاسدة، بينما يعاني البعض الآخر من الحكومات الضعيفة، والبعض من الحكومات العميلة؛ فلو طرحت الحكومة الإسلامية بمعناها الحقيقي - أي الولاية - وباتت شعاراً للمسلمين، فإنها ستكون دواءً لشتى أنواع الضعف والاقتصاد والعمالة وكذلك الدكتاتورية. وعلى هذا فإنّ لواء الولاية هو لواء إسلامي^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ - مدينة مشهد المقدسة.

الولاية توحد القلوب وهي من مستلزمات الحكومة الإلهية

الولاية بين المؤمنين من مستلزمات الحكومة الإلهية ومن ضرورات حكومة القرآن. ولكن إذا كانت القلوب متفرقة، والعداوة والبغضاء سائدة؛ فهذه الحكومة ليست حكومة إلهية، وإنما هي حكومة الطاغوت. هذه الحكومة غير إلهية وغير إنسانية، ونظامها ليس نظام ولاية. ولا يمكن حينها التشدق بمزاعم النظام الإلهي. لكن حقيقة القضية هي أن القلوب منسجمة، وأبناء الشعب سائرون على نهج الإسلام، وعلى الطريق الإلهي.

من المحتمل طبعاً أن تتباين الأذواق والأمزجة، إلا أن تباين الأذواق شيء آخر غير النهج والمسار العام. ففي النهج والمسار العام، هناك قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾^(١) والاعتصام بحبل الله يستلزم الإتحاد والتآلف وأن يقف الجميع إلى جانب مسؤولي البلد من أجل دعم ومساندة الطاقات الكفوءة القائمة بخدمة البلد. ويجب على الجميع مساندة الحكومة ومؤازرتها؛ لأن مسؤولية إدارة دفة شؤون البلد ليست أمراً هيناً، ولا هي حملاً خفيفاً، بل هي عبء ثقيل^(٢).

أمير المؤمنين نقطة إلتقاء المسلمين

وإنه لا ينبغي اتخاذ شخصية الإمام علي عليه السلام كمصدرٍ للتفريق بين الشيعة والسنة وسائر الفرق الإسلامية، بل بعكس ذلك، فإن أمير المؤمنين عليه السلام نقطة التقاء لا افتراق، واتحاد وائتلاف لا شقاق.

إنّ معلوماتنا عن الحقائق الراهنة كثيرة جداً، وأرى الأيدي الخبيثة وراء تفريق

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجة ١٤١٨ هـ / طهران.

الشيعة والسنة وإثارة النزاعات والنعرات بينهم عياناً، فيؤلف السنة كتباً ضد الشيعة، والشيعة ضد السنة، وحينما نتابع الجذور، نجد أن تمويل كلا النوعين من الكتب قد تمّ من الخارج ومن مصدر واحد.

إنّ أمير المؤمنين هو محور الوحدة، فليس هناك من المسلمين سنة وشيعة إلاّ ويجلّ أمير المؤمنين عليه السلام ويحترمه ويحبه، سوى شريحة قليلة من النواصب ظهرت في العهد الأموي والعباسي ثم انقرضت وأكل الدهر عليها وشرب، أما عامة المسلمين حتى في ذينك العهدين فلم يكتنوا لأمر المؤمنين عليه السلام سوى الاحترام، وأشعار الشافعي في حق الإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة من أهل بيت النبوة عليهم السلام خير دليل وشاهد على ذلك^(١).

إنّ مقام هؤلاء الأئمة عليهم السلام واضح وصریح عندنا نحن الشيعة وحبتنا قوية، إلاّ أنّ هناك فئة تحاول إثارة الفتنة في العراق وسائر المناطق الأخرى في العالم الإسلامي وخصوصاً في إيران، ونحن نعرف مصدرها^(٢).

الإعتقاد بالغدير ليس سبباً للفرقة

إنّ الاعتقاد بالغدير وبالولاية والإمامة - الذي يعتبر الركن الأساس لمذهب الشيعة - لا يجب أن يكون - كسائر المباحث الكلامية المهمة - سبباً للاختلاف والفرقة بين المسلمين. فعلى الشيعة وعلى سائر الفرق الإسلامية أن لا يخلقوا في أنفسهم تحسساً يؤدّي إلى الفرقة والاختلاف بينهم، فهذا ما يريد العدو.

إنّ أعداء الإسلام يسعون لاستغلال القضايا الصغيرة الخاصة بكلّ فرقة وجماعة

(١) انظر البحار: ٢٣ / ٢٣٤ .

(٢) من كلمة ألقاها في ١٥/٨/١٣٨٣ هـ . ش الموافق ٢١/رمضان/١٤٢٥ هـ - طهران.

إسلامية لبثّ الفرقة بين المسلمين - لأنّ وسائل بثّ الفرقة متوقّرة في كلّ مكان - فكيف بقضية عظيمة ومهمّة كواقعة الغدير، والبعض - في الحقيقة - ينخدع ويصبح العوية بيد العدو، فالأمة الإسلامية بحاجة إلى الوحدة اليوم حيث نقاط الاجتماع والاتحاد كثيرة (١).

دعوة للإهتمام بغير مضمانيه

إنني أدعو كافة إخواننا المواطنين من الشيعة والسنة - على مستوى بلدنا هذا في الوقت الحاضر - لأن ينظروا إلى قضية الغدير من هذه الزاوية وأن يولوا اهتماماً لهذا القسم من حديث وقضية الغدير، كما أرجو أن يحتفل إخواننا من أهل السنة بعيد الغدير أيضاً - عيد الولاية - لأن أصل نشوء قضية الولاية من الأهمية بمكان، كأهمية ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من القواسم المشتركة بيننا وبين الإخوة من أهل السنة.

لقد كان رأيي دائماً، سواء قبل انتصار الثورة أو بعدها، هو أنّ على الشيعة والسنة اليوم الترفع عن خلافاتهم التقليدية في معاملاتهم اليومية، وأن يكفّوا عن النزاع والتحارب، ويجتمعوا حول قواسمهم المشتركة والتي من بينها الولاية، وما زال هذا هو رأيي حتى الآن.

محاولات الأعداء لتفريق السنة والشيعة

إن ثمة محاولات متزايدة تبذل في العالم اليوم لشقِّ صفِّ الشيعة والسنة، وهو ما سيجني الاستكبار ثماره كما يعلم ذوو البصائر والفكر؛ إنهم يهدفون إلى إبعاد إيران عن أسرة الدول الإسلامية وأن يحصروا الثورة الإسلامية داخل الحدود الإيرانية ويمهدوا السبيل أمام الدول الإسلامية لممارسة الضغوط على إيران ويحولوا دون تأسّي الشعوب الأخرى بالشعب الإيراني. فعلينا أن نكون على خلاف ما يطمحون؛ إنَّ على كل واحد - سنّيّاً كان أو شيعيّاً - أن يعمل على تمتين عُرى المحبة وتوثيق أواصر الصداقة بين الشيعة والسنة، وبهذا يكون قد قدم خدمة للثورة والإسلام وأهداف الأمة الإسلامية. وأمّا الذي يعمل على زرع الفرقة بينهم فسيكون على تضادّ تامّ مع هذه الحركة.

إنني على علم بأنهم في بعض الدول الإسلامية - التي لا أرغب في التصريح باسمها - يتلقّون الأموال من الصناديق المؤسسة لخدمة أهداف وأطماع الأجانب وينفقونها على إصدار الكتب التي تنال من الشيعة ومذهبهم وتاريخهم ثم يوزعونها في شتى أقطار العالم الإسلامي؛ فهل هؤلاء يحبون السنة؟! كلا، بل إنهم يريدون القضاء على الشيعة والسنة كليهما، فهم لا يحبون الشيعة ولا السنة.

ونظراً لأن مجموعة من الشيعة هم الذين أقاموا الحكومة الإسلامية ويرفعون راية الإسلام في إيران، ولأن الجميع يعرفون التشييع عن الشعب الإيراني، فإن الأعداء يفرغون ما في صدورهم من غلّ على الثورة ويلقون به أيضاً على رأس الشيعة! إنهم يحاربون الشيعة حتى يحولوا دون انتشار الحاكمية السياسية الإسلامية ورفرفة هذا اللواء الخافق بالعزة والفخر على أيّ مكان آخر، ولكيلا يكون ذلك مضمحماً لشباب

البلدان الأخرى.

فعلى الجميع أن يتوخوا الحذر من معاضدة الأعداء في هذه الممارسات الخيانية؛ وإن على الجميع في هذا البلد أو في المحافل الإسلامية أو في التجمعات الشيعية أو إخواننا من أهل السنة في بلادنا أن يبتعدوا عن كل ما يساعد الاستكبار على دق إسفين التخاصم والعداء بيننا.

معنى الوحدة

وبالطبع فإننا لا نعني بذلك أن يصبح الشيعة سنة ولا أن يتحوّل السنة إلى شيعة، ولا نريد أن ندفع الشيعة والسنة إلى التخلّي عمّا لديهم من طاقات وإمكانيات علمية لترسيخ آرائهم العقائدية، بل إن النشاط العلمي هو أمر جيّد ولا غضاضة فيه، فليصدروا المؤلفات العلمية، ولكن في نطاق الأجواء العلمية دون سواها وبلا تجريح ولا إساءة. وعلى هذا فإننا لا ينبغي لنا أن نقف بوجه من يستطيع إثبات رأيه، إلا أن كل من يبتغي إيجاد الصدع بقوله أو بعمله أو بشتى الوسائل الأخرى فإننا نعتقد بأنّ هذا يصبّ في صالح الأعداء؛ فعلى السنة والشيعة معاً أن يأخذوا حذرهم (١).

هذه رؤى وأبعاد مختلفة يمكن مناقشة واقعة الغدير من خلالها (٢).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ - مدينة مشهد المقدسة .

(٢) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤١٥ هـ

حروب أمير المؤمنين عليه السلام

آلام أمير المؤمنين عليه السلام

لقد عانى أمير المؤمنين عليه السلام مصاعب جمّة في هذا السبيل ولعله ليس هناك من سمعه يبوح بشكاواه الأصلية خلال حياته، وإن كان عليه السلام كثيراً ما يشتكي القوم ويوءنّبهم من على المنبر^(١)، ولم تقتصر شكواه على مساءلة الناس على عدم توجيههم إلى ميادين الجهاد، فلقد كان قلب أمير المؤمنين عليه السلام يعتصر ألماً؛ ففي دعاء كميل المعروف - وهو من إنشاء أمير المؤمنين عليه السلام - يخاطب عليه السلام رب العالمين "إلهي وسيدي ومولاي ومالك رقي.."، ومن بين ما احتواه خطابه هذا المقطع الذي طرق سمعي ومخيلتي بفائق حساسيته: "يا من إليه شكوت أحوالي".

فلقد كان عليه السلام يبث شكواه إلى الله وكان فؤاده يطفح بالألم، وكان الهاجس الذي يقلق أمير المؤمنين عليه السلام يتعلق بوضع الأمة والمجتمع، ومسيرة الدين والإتجاه الديني في النظام الإسلامي الذي كان حديث عهد يومذاك، وكذلك شعوره بثقل مسؤوليته التي لم يفرض بواحد من الألف منها^(٢).

(١) وكان مما قال عليه السلام: «قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي فيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرّعتوني نغب التهمام أنفاساً، نهج البلاغة ذيل الخطبة ٢٧.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٤٢٢هـ - طهران.

من دافع عن علي؟

إنّ البشائر الإلهية على قدر من الكثرة بحيث تزيح عن قلب الإنسان كل هم. البشائر الإلهية كثيرة ولا يجب أن يتصور المرء أن بعض الأفراد من ذوي الماضي الثوري إذا تخلفوا عن ركب الثورة فإنها ستبقى غريبة، أبدأ، فكل الثورات، وكل الأفكار، وكل التيارات الاجتماعية المختلفة يحصل فيها تساقط، ولكن يحصل فيها إلى جانب التساقط، نمو وتكاثر.

انظروا إلى صدر الإسلام وشاهدوا من هم الذين دافعوا عن علي في عهد غربة الإسلام وغربة علي عليه السلام إنهم لم يكونوا من ذوي السابقة في الإسلام، وإنما ذوو السابقة هم طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأمثالهم ممن تخلى بعضهم عن علي عليه السلام ووقف بعضهم بوجهه. وهؤلاء كانوا بمثابة تساقط. ولكن من هم الذين صاروا بمثابة النمو والتكاثر؟ عبد الله بن عباس، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأستر، وميثم التمار، هؤلاء كانوا بمثابة النماء الجديد؛ فهم لم يكونوا في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، بل نمو كبراعم جديدة في عهد غربة الإسلام. لاحظوا مدى أهمية مالك الأستر في تاريخ الإسلام كله.

إنّ حالة التساقط والتآكل مؤسفة طبعاً، فحينما قدموا سيف الزبير لأمير المؤمنين عليه السلام بكى.

وكما ذكرت فإنّ الأمر مؤلم؛ أي من المؤلم أن يتساقط أشخاص أكلوا يوماً ما من مائدة الثورة ومن مائدة إمام الزمان ومن مائدة القرآن وأكلوا خبز وملح الإسلام.

ولكن إلى جانب هذا التساقط يظهر أشخاص من أمثال عبد الله بن عباس ومالك الأستر.

ومتى ما كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتاج إلى لسان يستعين به في ميادين القتال،

كان يبعث ابن عباس.

ومنى ما كان يحتاج إلى سيف، كان يبعث مالك الأشتر، وأمثال هؤلاء الرجال لم يكن عددهم بالعشرات والمئات وإنما كان عددهم بالآلاف. فلا تظنوا أنّ هذه القافلة الكبرى ستنضب طاقتها وتتوقف عن المسير إذا نضبت طاقة بضعة أفراد منها وتساقطوا عند منتصف الطريق. نعم إن الضعفاء تنضب قواهم في منتصف الطريق وينفذ زادهم.

حينما تنطلق قافلة من مشهد إلى كربلاء، قد ينضب زاد بعضهم عند الخواجة أبي الصلت - الذين سافروا إلى مشهد يعلمون أين يقع الخواجة أبو الصلت - وبعضهم ينفذ زاده عند منتصف الطريق، وبعضهم يسير قليلاً ثم تنتهي طاقته! وهذا هو النكوص والتراجع. وهذا ليس فخراً، بل هو عار؛ لأنه إعياء ووقوف في منتصف الطريق. ولكن ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾^(١) بمعنى أنها شجرة راسخة، وتزداد أغصانها نمواً يوماً بعد آخر.

ويا حبذا لو أن مباحث التساقط والنمو الجديد تأخذ نصيبها من الدراسة والبحث من وجهات نظر علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ؛ لأنها مباحث غنية ومهمّة، ومن المؤسف إنني لا يتوفر لدي المجال الكافي لدراستها^(٢).

(١) سورة إبراهيم: ٢٥.

(٢) من كلمة ألقاها في ٨ رمضان ١٤٢٠هـ - طهران.

أعداء أمير المؤمنين عليه السلام

ظهرت في أيام حكومة أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث فئات هم: القاسطون والمارقون والناكثون:

١ - فئة القاسطين: وهم بنو أمية وأهل الشام، وهؤلاء كانوا يعملون ظلماً ويتبعون سبيل الظلم، وكانت سلوكيتهم ظالمة جداً بحق أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ - الفئة الثانية كانوا الناكثين، أي رفاق علي عليه السلام في الخندق وأصحابه القدامى الذين لم يطبقوا عدالته فاصطدموا به. إنهم أولئك الذين كانوا يعرفون علياً ويعتقدون به، وكان لبعضهم دور في مجي علي للحكم وبايعوه، لكنهم لم يطبقوا عدالته فاصطدموا به لأنهم ألفوه لا يعير اهتماماً للعلاقات والسوابق والصدقة.

٣ - وفئة أخرى كانوا المارقين: وهم أناس متشددون ومتعصبون بأرائهم دون أن يكون لاعتقادهم الديني جذور علمية صحيحة.

وينقل السنّة والشيعه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أموت أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين» (١).

وهذه التسمية هو الذي أطلقها على تلك الفئات الثلاث؛ فالقاسطون بمعنى الظالمين، لأن الفعل قسط حينما يأتي مجرداً: قَسَطَ يَقْسِطُ، بمعنى جار يجور، وظلم يظلم. وحينما يأتي على صيغة الثلاثي المزيد على وزن افعال: أقسط يُقسط، فمعناه العدل والانصاف. وعلى هذا، إذا استعملت كلمة القسط على وزن افعال، تعني العدل، وإذا جاءت على صيغة قَسَطَ يَقْسِطُ فهي على الضد من ذلك؛ أي بمعنى

الظلم والجور. فهو عليه السلام سمّاهم الظالمين^(١).

القاسطون

إنّ الأخطر من بين الأعداء بالنسبة لأمر المؤمنين عليه السلام كان "القاسطين" وهم الذين كانوا بناء الظلم في الحكم والرافضين من الأساس للمتبنين العلوي والإسلامي في الحكم، ولم يؤمنوا بعلي عليه السلام وبيعة الأمة له ولم يخضعوا له، ولم يكن لهم اعتقاد أبداً بالسيرة العادلة والتوزيع العادل والعمل بالقسط، لأنهم إذا ما أرادوا فتح المجال أمام العدالة والتفوه بإسمها لأحيط بهم وهم أولاً، ومن أجل ذلك هبوا لمقاتلة العدالة العلوية، فانبروا للتشبيث بتعظيم الصحابة وأصل الشورى، وهذا أمر مهم جداً، فهم ولكي يقضوا على أصل العدالة ومحو قيمة العدالة التي كانت محور حكومة أمير المؤمنين عليه السلام من الأذهان، انبروا لرفع قيمة إسلامية أخرى - وهي من حيث الأهمية أدنى أهمية بكثير من العدالة - بوجه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن مرامهم الدفاع عن آراء الصحابة أو الصحابة أنفسهم أو شورى الصحابة، ففي رسالة بعثها إلى معاوية يصرح أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المعنى بما مفاده: أتريد أن تقضي بين المهاجرين والأنصار؟ أتريد أن تعلمنا؟ أنت حديث العهد بالإسلام تريد أن تعلم الإسلام، علي بن أبي طالب الذي أمتزج وجوده بالإسلام وصاغه الإسلام!؟ وعليه فإنهم كانوا مخالفين لعدالة علي ولم يكونوا يعتقدون بها^(٢).

لقد قيل لأمر المؤمنين: لو تركت معاوية والياً على الشام ريثما يتسنى لك إحكام الأمور. فردّ عليهم قائلاً^(٣): إن كنت أنا الخليفة لا أقبل به علي الشام والياً ﴿ ما كنت

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٩/رمضان/١٤٢٤ - طهران.

(٣) انظر أمالي الطوسي: ٨٧.

متخذاً المضلين عضداً (١).

فانبرى قوم وعابوا موقف أمير المؤمنين واتهموه بعدم الحنكة السياسية! ولا زال بعض الكتاب حتى يومنا هذا يصفون موقفه بالبعد عن الدهاء السياسي والحنكة السياسية!

والحقيقة هي أنهم هم الفارغون من الحنكة السياسية، وأما موقف أمير المؤمنين فكان في غاية النضوج، وذلك لأن معاوية بن أبي سفيان لم تكن له كمنزلة طلحة والزبير وإذا أعطي ما يطلب يقنع ويهجع؛ فجبهة القاسطين لم تكن على وفاق ولا تتسجم على الإطلاق مع الجبهة العلوية، ولو أن علياً تراجع عنه لبقى هو يتقدم إليه، إلا في ميدان الحرب! ولم تكن بينهما نقطة للتفاهم والتلاقي.

كان أمير المؤمنين ^{عليه السلام} على بينة من ذلك؛ ولهذا السبب لم تستطع جبهة القاسطين القيام بأي عمل، طوال الفترة التي كان فيها زمان الأمور بيده، وكانت الهزيمة نصيبها على الدوام. ولكن بعد استشهاده - الذي حصل على يد فئة شبه صديقة متعصبة وذات عقدة وبلهاء ومخدوعة وليست فئة أجنبية بمعنى الكلمة - استطاع أولئك الأجانب (القاسطون) الإستيلاء على السلطة، واتضح خلال بضع سنين طبيعة حكومتهم؛ إذ ظهرت في الكوفة نفسها حكومة الحجاج بن يوسف، وظهرت حكومة يوسف بن عمر الثقفي، وحكومة يزيد بن معاوية، وتجلّى للعيان أنّ ذلك التيار لم يكن من النوع الذي يمكن أن يلتقي مع التيار العلوي في أي وجه من الوجوه (٢).

ويعتبر القاسطون فئة دخلت الإسلام ظاهرياً لمصالحها الخاصة ولم تكن تعترف بالحكومة العلوية أساساً. ولم تُجد نفعاً كل الأساليب التي انتهجها معها

(١) سورة الكهف: ٥١.

(٢) من كلمة القاها في ٨ رمضان ١٤٢٠هـ - طهران.

أمير المؤمنين.

إتفاف القاسطين حول معاوية

والتفت تلك الفئة حول محور بني أمية الذي كان معاوية بن أبي سفيان - والي الشام آنذاك - أبرز شخصية فيه، ثم يأتي من بعده مروان بن الحكم والوليد بن عقبة. شكل هذا المحور جبهة رفضت التفاهم والاتفاق مع أمير المؤمنين. ومع أن المغيرة بن شعبة وعبدالله بن عباس وغيرهم أشاروا على أمير المؤمنين عليه السلام منذ أول حكومته بالإبقاء عليهم في مناصبهم لبعض الوقت، غير أنه أبى عليهم ذلك، فذهبت بهم الأوهام إلى أنه لم يحسن اتخاذ الموقف السياسي المناسب. ولكنهم هم الذين كانوا في غفلة كما برهنت الأحداث اللاحقة؛ لأن معاوية لم يأنف مع أمير المؤمنين عليه السلام رغم كل الأساليب التي اتبعها عليه السلام لأجل هذه الغاية. ولم يكن ذلك النهج مما ترتضيه حكومة كالحكومة العلوية، على الرغم من تحمل السابقين لبعض هؤلاء.

كانت قد مضت أقل من ثلاثين سنة منذ أن أسلم معاوية إلى أن هبَّ لمحاربة أمير المؤمنين عليه السلام. وكان هو وأذناؤه قد حكموا الشام سنوات طويلة ويسطوا نفوذهم فيها وأسسوا لهم قاعدة واسعة هناك.

ولم تكن الأحوال آنذاك كما كانت عليه في الأيام الأولى التي كان بالإمكان أن يقال لهم فيها - إذا ما أظهروا الخلاف - إنكم دخلتم الإسلام ترواً، ولا يحق لكم الخلاف. فهم كانوا قد ثبتوا لهم قدماً عند ذلك.

إذن كان هذا التيار يرفض الحكومة العلوية جملة وتفصيلاً، ويرنو إلى نمط آخر من الحكم يكون زمامه بيده، وهو ما ثبت عنهم فيما بعد وذاق العالم الإسلامي مرارة حكمهم. فهذا معاوية نفسه، الذي كان في عهد صراعه مع أمير المؤمنين عليه السلام يُظهر

الودّ والمحبة لبعض الصحابة، أبدت حكومته فيما بعد أسلوباً في غاية العنف والشدة حتى انتهى بها الحال إلى عهد يزيد وواقعة كربلاء، ومن بعده إلى زمن مروان وعبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي ويوسف بن عمر الثقفي الذين يعدّون من جملة نتائج تلك الحكومة.

ومعنى هذا أنّ الحكومات التي يهتزّ التاريخ لذكر جرائمها - كحكومة الحجاج على سبيل المثال - كان معاوية هو الذي أرسى أسسها وحارب أمير المؤمنين عليه السلام من أجلها.

فقد كانت غايتهم معروفة منذ البداية، إذ أنهم كانوا يبتغون حكومة دنيوية محضة تدور في فلك ذواتهم ومصالحهم الذاتية؛ وهي المظاهر التي شاهدها الجميع في حكومة بني أمية.

وأنا طبعاً لا أريد الدخول هنا في أي بحث عقائدي أو كلامي. والأمور التي أعرضها هنا من صلب التاريخ، وليس تاريخ الشيعة طبعاً، وإلّا ما تاريخ «ابن الأثير» و«ابن قتيبة» وما شابه ذلك. وهي نصوص مدوّنة ومحفوظة، وتدخل في عداد الحقائق المسلّم بها وليس في إطار الاختلافات الفكرية بين الشيعة والسنة^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

الناكثون

الجبهة الثانية التي حاربت أمير المؤمنين هي جبهة الناكثين. والناكث هو الناقض، والمراد به هنا ناقض البيعة. وهذه الفئة بايعت أمير المؤمنين عليه السلام في البداية إلا أنها نقضت البيعة في ما بعد. وكان أفراد هذه الفئة - على العكس من الفئة الأولى - مسلمين ملتزمين، وفي الخندق الموالي. إلا أن ولاءهم واعترافهم بحكومة علي بن أبي طالب عليه السلام كان منوطاً بإعطائهم حصّة مقبولة فيها، والتشاور معهم ومنحهم المناصب والمسؤوليات الحكومية مع عدم التعرض لما في أيديهم من ثروات وعدم السؤال عن مصادرها.

إن الإنسان ليتعجب من مدى ضخامة الثروات التي خلفها أمثال هؤلاء بعد موتهم. إذن كانت هذه الفئة ترضي حكم أمير المؤمنين عليه السلام ولكن بشرط عدم المساس بمثل هذه الأمور، وأن لا يُقال لأحدهم من أين لك هذه الثروة؟ وكيف حصلت عليها؟ وما إلى ذلك.

ولهذا السبب بايع أكثرهم منذ البداية، في حين أن البعض الآخر لم يبايع؛ فسعد بن أبي وقاص لم يبايع منذ البداية، إلا أن طلحة والزبير وأكابر الصحابة وغيرهم بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام وأسلموا له القيادة، بيد أنهم أدركوا بعد مضي ثلاثة أو أربعة أشهر عدم إمكانية الانسجام مع هذه الحكومة التي لا تفرق في تعاملها بين القريب والبعيد والفقير والغني، ولا ترى لذاتها ولا لأفراد أسرها أي امتياز، ولا تقر بأي امتياز للسابقين في الإسلام - وإن كان أمير المؤمنين عليه السلام نفسه أولهم إسلاماً - ولا تحابي أحداً في تطبيق الأحكام الإلهية.

ولهذه الأسباب جندوا أنفسهم لمعارضة هذه الحكومة وتسببوا في وقوع معركة

الجميل التي كانت فتنة حقاً، واصطحبوا معهم أم المؤمنين، وقتل في هذه المعركة عدد كبير من المسلمين، وانتهت المعركة بانتصار أمير المؤمنين عليه السلام وأعاد الأمور إلى نصابها.

وهذه هي الجبهة الثانية التي شغلت أمير المؤمنين ردحاً من الزمن (١).

(١) من كلمة القاهاني ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

المارقون

أما الجبهة الثالثة فكانت جبهة المارقين، والمارق بمعنى الخارج والهارب؛ وقيل أنهم سموا بالمارقين لخروجهم من الدين كخروج السهم من القوس.

وكانت هذه الفئة متمسكة بظواهر الدين، ويكثر من التبجح باسم الدين. وهؤلاء هم الخوارج الذين وضعوا أسسهم الفكرية على أساس فهم مغلوط فيه للدين - وهي ظاهرة خطيرة طبعاً - ولم يأخذوا الدين عن علي بن أبي طالب الذي كان مفسراً للقرآن وعالماً بالكتاب.

أما تكتلهم أو ما يسمى بالاصطلاح المعاصر «تحزيبهم» فكان يستلزم سياسة معينة، وكانت هذه السياسة توجه من مكان آخر.

والسمة البارزة التي كانت تميز أعضاء هذه الفئة هي أنك لا تكاد تتلفظ بكلمة حتى يسارع أحدهم إلى الإتيان بآية من القرآن، وكانوا كثيراً ما يقرؤون أثناء صلاة جماعة أمير المؤمنين عليه السلام آيات معروضين به، أو يقومون عند منبره ويقرؤون آية فيها تعريض يقصدونه به، وكان شعارهم «لا حكم إلا لله»، بمعنى أننا لا نعترف بحكومتك، ونحن أتباع حكومة الله!

هذه الفئة، التي كان ظاهر أمرها على هذه الشاكلة، كان تنظيمها واتجاهها السياسي يجري وفقاً لآراء وتوجيهات كبار القاسطين والشخصيات البارزة في حكومة الشام - أي عمرو بن العاص ومعاوية - إذ كانت لهذه الفئة علاقات بأولئك الأشخاص^(١)؛ فالأشعث بن قيس، كما تشير الكثير من القرائن كان رجلاً غير نزيه.

(١) انظر كتاب دراسات في التاريخ للسيد مرتضى: ٦ / ٣٨ - ٣٥.

واتبعت هذه الفئة طائفة كبيرة من البسطاء فكريباً.

إذن فالفئة الثالثة التي جابهت أمير المؤمنين عليه السلام - وانتصر عليها طبعاً - هي فئة المارقين التي وجه لها ضربة قاصمة في معركة النهروان. ولكن كان لهم وجود في المجتمع، وفي ختام المطاف كان استشهادهم على أيديهم (١).

معنى الخارجي

الخوارج في الإسلام مصطلح يطلق على من يخرج على الإمام العادل ويشق عليه عصا الطاعة، ويستحق لعنة الله ورسوله والمؤمنين، هذا هو معنى الخوارج. ولهذا السبب كان المسلمون آنذاك يتنقرون من الخوارج «كل من خرج على إمام عادل فهو باغ ويجب قتاله» (٢)، هذا مع أن الإسلام يولي أهمية فائقة لدماء الناس (٣).

التعريف الصحيح بالمنافقين

ألاحظ - مع الأسف - عدم اعطاء صورة صحيحة عن الخوارج في المحاضرات وفي الأفلام وفي الأدب، إذ كثيراً ما يصفونهم بالتنسك المتحجر، وهذا خطأ طبعاً. أي تنسك هذا؟ في عهد أمير المؤمنين كانت بعض الفئات تعمل لمصالحها الخاصة. وإذا شئتم معرفة الخوارج اضرب لكم مثلاً من عصرنا الراهن.

أنتم تتذكرون فئة المنافقين؛ هؤلاء كانوا يقرأون آية من القرآن وخطبة من نهج البلاغة ثم يدعون التدين ويعتبرون أنفسهم أكثر اسلاماً وثورية من غيرهم، وهم يزرعون القنابل فيقتلون الصغار والكبار في ساعة الافطار في شهر رمضان، أو

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

(٢) إيضاح الفوائد: ١ / ٢٩٦.

(٣) من كلمة ألقاها في ١ محرم ١٤١٧ هـ.

يقضون على عائلة بأسرها ، أو يقتلون جماعة من الأبرياء في إحدى ساحات المدينة لا لسبب إلا لكونهم من أنصار الإمام والثورة .

ومن جملة جرائمهم الأخرى قتلهم شهيد المحراب وهو رجل ورع ومجاهد في سبيل الله وقد تجاوز الثمانين من عمره ، إضافة إلى قتلهم أربعة أو خمسة أشخاص آخرين من شهداء المحراب الذين كانوا من الشخصيات العلمائية البارزة والفاضلة المؤمنة .

هكذا كان الخوارج وهذه فعالهم؛ قتلوا عبد الله بن الخباب وبقروا بطن زوجته وهي حامل وقتلوا جنينها؛ لأنهم كانوا من أشياع علي بن أبي طالب عليه السلام .

اعرفوا الخوارج جيداً؛ كانوا يتمسكون بظاهر الدين و ببعض الآيات القرآنية ويحفظون القرآن وكل ما يستر ظاهرهم الديني ، إذ كانوا في الظاهر يعتقدون ببعض جوانب الدين إلا أنهم كانوا يعارضون جوهره وأساسه ، ويتعصبون كثيراً لهذا الموقف .

يذكرون الله ولكنهم أداة طائفة بيد الشيطان ، وعندما يستدعي الموقف يتعاونون مع أمريكا والصهاينة أو أية جهة أخرى لمحاربة الثورة والإمام والحكومة الإسلامية ^(١) .

حقيقة الخوارج المارقين أنهم ليسوا متنسكين

إن من الخطأ تسمية المارقين بالمقدسين ، فالقضية ليست قضية قداسة ، فلقد كان من بين أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أناس في غاية القداسة ، بل القضية أن هنالك أناساً لهم فكر ورؤية تنسجم مع ظاهر الدين لكنها تفتقر للأساس العلمي والعمق ،

(١) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٤١٧هـ - جامعة طهران.

فهؤلاء يفتقرون للمعرفة كي يتسنى لهم انتشار أنفُسهم من حالات الزلزل، فهم يقفون بكل حدّة فيقولون: بما أنّ القرآن مرفوع على الحراب فيجب أن لا تصوّب السهام نحوه لأن القرآن مقدس! فبمجرد أن رُفِعَ القرآن على الرماح في معركة صفين بحيلة من أهل الشام - حينما أرغموا على رفع المصاحف على الرماح لشعورهم بالهزيمة - تعصبوا وتعلقوا بالقرآن وغدوا متشددين حتى أضحوا أكثر اهتماماً بالقرآن من أمير المؤمنين عليه السلام وهو القرآن الناطق^(١)! فجاؤوه وأخذوا يضغطون عليه قائلين: إن هؤلاء أهل القرآن، أخوة في الإسلام. فلا يجب أن نقاتلهم! حتى أجبروا أمير المؤمنين تحت طائلة التهديد أن يوقف المعركة وهي في منتصف الطريق.

هؤلاء أنفسهم وبعد أن أدركوا أنهم خُدعوا واحتيل عليهم مالوا وانحدروا في التفريط بحيث قالوا: لقد كفرنا بأجمعنا وإنّ علينا كُفراً أيضاً وعليه أن يستغفر ويتوب! فهؤلاء ونظراً لافتقارهم للأساس العلمي والعقائدي الصحيح، انحرفوا في مسارهم مائة وثمانين درجة بكل سهولة^(٢).

وهناك من يصف الخوارج بالتحجّر والتنسك الجامد؛ ولكن المتنسك يتصف بالعزلة والانطواء على صلواته ودعائه، وهذا المعنى لا يصدق على الخوارج؛ لأن الخوارج عناصر متمردة تثير الأزمات، ولها وجود فاعل في الساحة، وتشن حرباً ضد علي، ولكن أساسها مغلوطة فيه، وحربها خاطئة، وأساليبها مرفوضة، وغايتها باطلة^(٣).

(١) انظر بحار الأنوار: ١٠٦ / ١٥٣، والأمثل: ١٨ / ٣٨٥.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٩ / رمضان / ١٤٢٤ هـ - طهران.

(٣) من كلمة ألقاها في ٢٠ / رمضان / ١٤١٩ هـ - طهران.

نموذج المارقين في زماننا

وإذا ما أردتم العثور على نموذج لهذه القضية في ثورتنا فهم المثاقفون، هؤلاء الذين لم يكونوا يعتقدون بالإمام في مطلع الثورة وهو يقارع أميركا، لكنهم ذهبوا فيما بعد وارتموا في أحضان أميركا واستلموا منها الأموال والتجأوا إلى صدام. فعندما ينعدم الأساس العلمي يحل الغرور الناجم عن الجهل بالالقاءات الذهنية إلى جانب التمسك بظواهر الدين فتكون النتيجة "مارقين"^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٩/رمضان/١٤٢٤ - طهران.

حرب صفين

بعدهما تغلب جيش أمير المؤمنين عليه السلام على جيش معاوية، فإن معاوية وأتباعه رفعوا المصاحف على أسنة الرماح، فوجدوها قد أحدثت خلافاً بين جنود أمير المؤمنين عليه السلام، حيث إن هذه الحركة تعني أن القرآن بيننا وبينكم، فانهار البعض قائلين لا طاقة لنا بمحاربة القرآن! في حين قال البعض الآخر بأن أساس قتال هؤلاء هو ضد القرآن، فرفعوا القرآن شكلاً لكنهم يحاربون معناه وهو أمير المؤمنين عليه السلام. وفي النهاية دبّ الخلاف بين صفوف جيش المسلمين فتفرقوا وضعفوا، وكانت هذه هي حيلة العدو.

ثم عندما ألزموا أمير المؤمنين عليه السلام بقبول التحكيم، برزت طائفة من داخل معسكر المؤمنين - وكانت من جماعته - ورفعت شعار " لا حكم إلا لله ". وواضح أنه لا حكم إلا لله كما ورد في القرآن الكريم، فماذا أرادوا أن يقولوا؟ لقد أرادوا بهذا الشعار خلع أمير المؤمنين من الخلافة! ولكن أمير المؤمنين كشف النقاب عن خطتهم، وقال: إن الحكم والحكومة لله، ولكنهم لم يعنوا ذلك، بل عنوا " لا إمرة إلا لله"، أي أنه لا داعي لوجود أمير المؤمنين عليه السلام، بل إن على الله أن يأتي متمثلاً ومجسداً ليدبر شؤونكم! فهذا الشعار أخرج مجموعة من معسكر أمير المؤمنين عليه السلام فالتحقت بتلك الفرقة الجاهلة الضالة السطحية وربما المغرضة، ومن هنا نشأت قضية الخوارج.

رأي الإسلام في العنف

سأتحدث عن مصطلحين راجياً بذلك ألا يستطيع ذوو القلوب المريضة التفريق

بيننا وبين أبناء الأمة الإسلامية بعد اليوم أبداً. فأحدهما «العنف» والثاني «الإصلاح». فما هو المقصود بالعنف؟

إنّ العنف هو القتل والضرب والسجن وسوء الخلق والحدّة، وهو أمر واضح ومعنى بديهي. وهناك سؤال مازال يثار في صحفنا منذ بضعة أشهر حول ما إذا كان العنف أمراً جيداً أم سيئاً، أو ما إذا كان هذا الشخص يقبل العنف وذلك الآخر يرفضه، أو ما إذا كان الإسلام يقول به أو لا يقول به! فهل هذا الموضوع معقد هكذا وبالغ الأهمية، أو أنّ هناك نوايا أخرى خلف الستار؟!

إنّ للإسلام رأياً واضحاً وصريحاً حول العنف؛ فالإسلام لم يجعل العنف أصلاً من حيث المبدأ، ولكنه لم ينفه أيضاً في الحالات التي يكون فيها قانونياً.

العنف القانوني وغير القانوني

إنّ لدينا نوعين من العنف، أحدهما قانوني، أي أنّ القانون يستخدم العنف عند الضرورة فينص على حبس هذا الشخص إذا ارتكب هذه الجريمة أو الجريمة. فهذا عنف، لكنه ليس سيئاً، لأنه يحول دون الاعتداء على حقوق البشر ويقمع الخارجين على القانون ويجازي المعتدي. فإذا لم يستخدم العنف ضد المعتدين لازدادت الجرائم في المجتمع، فهو ضروري في هذه الحالة.

والثاني عنف غير قانوني، أي أن يعتدي أحد على حقوق الآخرين كما يهوى وبلا سبب ولا دليل وخلافاً للقانون والدستور، كأن يصفع شخصاً، فهل هذا جيد أم سيئ؟! واضح أنه سيئ وبلا شك.

فالإسلام دين شامل وليس أحادي الجانب؛ فعندما تقف الحكومة الإسلامية لمواجهة القوة والاعتداء والاضطرابات والهجمات والخروج عن القانون فلا بد لها من القوة والصرامة والعنف دون خشية من هذه الكلمة. وبالعكس، أي عندما

تتعامل مع أفراد الشعب والرعيّة، فعليها بالرفق واللين ﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾^(١)؛ فلكل مقام مقال.

يروى أنه عندما توجه الرسول الأعظم ﷺ إلى مكة في العام الثامن للهجرة في حجه الأخير - حجة الوداع - فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان على رأس بعثة في اليمن لتعليم أهله الدين وجمع أموال الزكاة، فكان من بينها عدد من الثبديات اليمنية، وهو نوع من الألبسة اليمنية الممتازة والمفضّلة يومذاك. ولم يكن لدى أمير المؤمنين عليه السلام الوقت الكافي ليتحرك مع هذه القافلة، فوضع عليها أحد الأشخاص وأمره بالمجيء بهذا المتاع، وأسرع هو للإلتحاق برسول الله ﷺ ليكون معه في أداء مناسك الحج.

فلما وصلت القافلة إلى مكة ذهب أمير المؤمنين ليستطلع أمرها، فاكتشف عدم وجود تلك الألبسة اليمنية وأنهم قسموها فيما بينهم في غيابه، فارتدى كل واحد منهم برة له! فقال عليه السلام: ليس من الجائز تقسيمها قبل وصولها إلى رسول الله ﷺ - ويتعبير آخر وصولها إلى بيت المال أو الخزانة كما هو الحال في زماننا هذا - وإن هذا خلاف الشرع والدين! فأمرهم بخلعها، ومن لم يشأ تسليمها أخذها منه بالقوة.

وبالطبع فإن المرء سيشعر بالضيق إذا مجرد من شيء ما إلا إذا كان شديد الإيمان؛ فذهب بعضهم إلى رسول الله ﷺ واشتكوا إليه أمير المؤمنين عليه السلام! فسألهم ماذا حدث، ولماذا هذه الشكوى؟ فأجابوا لقد جردنا أمير المؤمنين عليه السلام من تلك الملابس. فقال لهم رسول الله ﷺ: لا تلوموا علياً على ذلك «إنه خشن في ذات الله»^(٢) (٣).

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) الإرشاد للمقيّد: ١ / ١٧٣، والبحار: ٢٢ / ٣٨٥.

(٣) من كلمة القاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ - طهران.

العنف القانوني المشرّع

العنف القانوني هو ذلك الحد الذي يشرّعه الإسلام. وهو أمر ضروري فضلاً عن أنه جيد.

وأما العنف غير القانوني فهو جريمة فضلاً عن أنه سيئ، وينبغي مواجهته، وهذا هو رأي الإسلام؛ فلا نقاش فيه ولا جدال حتى يأتي البعض بدون معرفة بالأسس الإسلامية وعلم بحقيقة الأمور ويمأأوا صفحات بعض الصحف بعناوين بارزة ومثيرة ومبهرة ومضلّلة!

وبالتأكيد فإن الأعداء الذين يريدون إشعال الساحات الإسلامية بنار البحث والجدال حول هذا الموضوع لهم أهداف أخرى. إنهم يعتبرون العنف أمراً كلياً، ولا يفرقون بين العنف القانوني وغير القانوني، وليسوا على وفاق مع العنف القانوني؛ وهم يقولون إذا أثار أحد الإضطرابات في شوارع طهران، وسلب الناس أمنهم وراحتهم، وبدد أموالهم، وعرض أبناءهم للخطر، فلا تصطدموا به لأن هذا عنف، بينما هم يمارسون أشد أنواع العنف والوحشية في كافة أنحاء العالم!

إن الكيان الصهيوني - الذي تعتبر إذاعته من مروّجي معارضة العنف والتي ترفع باستمرار ذلك شعاراً - يقصف فلسطين وجنوب لبنان كل يوم فيقتل النساء والأطفال والكبار والصغار، وهكذا يفعل أيضاً رفاقهم في كافة بقاع العالم وهم الذين يسيطرون على وسائل الإعلام العالمية^(١)

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ - طهران .

الخواص في جبهة علي ومعاوية

في كل مجتمع هناك خواص وهناك عوام. لنترك قضية العوام جانباً، ونبحث في وضع الخواص.

ويُقسم الخواص طبعاً إلى فريقين: خواص فريق الحق، وخواص فريق الباطل، أليس كذلك؟ أهل الثقافة والفكر والمعرفة منهم يعملون لصالح جبهة الحق. عرفوا الحق، وعلموا أنّ الحق مع هذا الجانب فهم يتحركون ويعملون لأجله، إذن فهم يعرفون الحق، وقادرون على تشخيصه، هؤلاء يمثلون فريقاً.

أمّا الفريق الآخر فهم الذين يقفون على الطرف الضد لطرف الحق.

وإذا ما عدنا إلى صدر الإسلام ثانية؛ فهناك فريق أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسين عليه السلام وبنو هاشم. وفريق آخر هم أصحاب معاوية، كان فيهم من الخواص، كان فيهم أشخاص أذكيا من ذوي الرأي والتدبير يناصرون بني أمية، وهؤلاء من الخواص أيضاً.

إذن خواص كل مجتمع على نمطين: الخواص من أنصار الحق، والخواص من أنصار الباطل. وماذا ترجون من الخواص المشايعين للباطل؟ لا تتوقعوا منهم سوى التآمر ضد الحق وضدكم. وهذا ما يفرض عليكم محاربتهم؛ حاربوا الخواص من أنصار الباطل، هذا أمر لا نقاش فيه.

خواص أنصار الحق

نأتي الآن إلى الخواص من أنصار الحق، فانظروا إلى أنفسكم الآن لتروا في أي موضع أنتم. وحينما نقول أنّ الأصل هو الفكر والاتباع عن رؤية لا نخلط بين التاريخ والقصة، التاريخ وجه آخر لسيرتنا الذاتية.

التاريخ معناه أنا وأنتم، معناه نحن الموجودون في هذا الكون. وإذا كنا نحن الذين نقوم ونشرح التاريخ، فلا بد أن ينظر كل منا محله من هذه القصة، وفي أي موضع منها.

ثم لنرى ما الذي فعله من كان يومذاك في مثل موضعنا حتى كان نصيبه الخسران، لخطئه؟ حتى لا تقع في الخطأ نفسه. مثل ما هو متعارف في دروس التعليم العسكري، يفرض جهة معادية، والأخرى جهتنا، ثم يلاحظ خطأ خطة جهتنا.

وتجدون أنّ العقل الذي وضع الخطة قد أخطأ في هذا المكان، إذن حينما تريدون أنتم وضع الخطة يجب أن لا تقعوا في ذلك الخطأ نفسه. أو يفرض أنّ الخطة كانت صحيحة إلا أنّ الأمر أو المخابر أو المدفعي أو المراسل أو جندياً عادياً في جهتنا ارتكب خطأ، تدركون أنتم وجوب عدم الوقوع في ذلك الخطأ. هكذا هي مسيرة التاريخ. والآن عليكم العثور على ذاتكم في هذا المشهد الذي أتحدث عنه في صدر الإسلام.

مصير العوام

بعض الناس من طبقة العوام، ولا قدرة لهم على اتخاذ القرار، وأمرهم منوط بالفرصة المتاحة أمام العوام، فإذا صادف أن كانوا في زمن يتصدى لزام الأمور إمام - كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أو كالإمام الراحل (ره) - ويسير بهم نحو الجنة، فخير على خير.

وأمثال هؤلاء يسوقهم الصالحون، وينتهي بهم الأمر إن شاء الله إلى الجنة. أما إذا صادف وعاشوا في زمن من يصفهم القرآن بقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى

النَّارِ ﴿١﴾ أو ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ ﴿٢﴾، يكون مصيرهم إلى النار.

إذن احذروا أن تكونوا من العوام، ولا نقصد بكلامنا هذا وجوب إكمال مراحل دراسية متقدمة، أبداً، وقد ذكرت أن معنى العوام ليس هذا؛ فما أكثر الذين أنهوا مراحل دراسية عليا، لكنهم يُحسبون في عداد العوام، وما أكثر من درسوا العلوم الدينية وهم من العوام، وما أكثر الفقراء أو الأغنياء الذين يدخلون في عداد العوام. إن صفة العوام رهن إرادتي وإرادتكم، ولهذا علينا أن ننتبه ولا نكون من العوام، أي يجب أن يكون كل فعل نفعله، عن بصيرة، ومن لا يعمل عن بصيرة فهو من العوام، ولهذا ورد في القرآن الكريم على لسان رسول الله ﷺ ﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ ﴿٣﴾

إذن انظروا أولاً هل أنتم من فئة العوام أم لا؟ فإذا كنتم من تلك الفئة فسارعوا إلى الخروج منها، حاولوا أن تكون لكم قدرة على التحليل والدراسة والمعرفة.

الخواص

أمّا إذا كنا في عداد الخواص، فلنرى هل نحن من خواص أنصار الحق أم من خواص أنصار الباطل؟ والمسألة هنا واضحة؛ فالخواص في مجتمعنا من أنصار الحق بلا ريب، لأنهم يدعون الناس إلى القرآن وإلى السنة وإلى العترة وإلى سبيل الله، وإلى القيم الإسلامية، هذه هي طبيعة الجمهورية الإسلامية.

إذن فلا نتحدث الآن عن الخواص من أنصار الباطل ولا شأن لنا بهم حالياً، بل

(١) سورة الكهف: ٤١.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٨ - ٢٩.

(٣) سورة يوسف: ١٠٨.

تمام الكلام في الخواص من أنصار الحق، والمشكلة كلها تبدأ من هنا.
إن السير على طريق الله له معارضون على الدوام.

ولو أن شخصاً من هؤلاء الخواص الذين تحدثنا عنهم أراد أن يقدم على عمل - إن هو أراد ذلك - لانبهرى له جماعة آخرون من أولئك الخواص أنفسهم باللوم والتعنيف والتفريع على موقفه ذلك، مثلما كانوا يفعلون في أيام ثورتنا. لكن الخواص يجب عليهم أن يقاموا؛ هذه إحدى ضرورات جهاد الخواص، وهي الصبر على اللوم والتفريع، لأنهم يتلقون من المعارضين التهم والاساءات على الدوام.

أقسام أنصار الحق

إن خواص أنصار الحق يُقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول هم الذين يتغلبون في الصراع مع مغريات الدنيا والحياة من الجاه والشهوة والمال واللذة والرفاه والسمعة.

والفريق الآخر هم الذين يخفقون في هذا الصراع. هذه - أي اللذة والسمعة والجاه وما شابه - كلها أمور حسنة، وكلها من مباحج الدنيا «متاع الحياة الدنيا». والقرآن حينما يصفها بأنها متاع الحياة الدنيا فلا يعني ذلك أنها قبيحة، فالمتاع جعله الله ليتمتع به الإنسان؛ ولكن إذا انغمس فيها إلى الحد الذي يعجز معه عن اجتنابها فيما إذا استدعت التكاليف الصعبة منه ذلك، فهذا شيء، وإذا استمتع فيها إلى الحد الذي يستطيع معه الكف عنها بكل سهولة عند حصول أي امتحان عسير، فهذا شيء آخر.

هذه الأمور تستدعي أعمال النظر فيها، وتستلزم الدراسة والدقة؛ لأن أفراد المجتمع، والنظام، والثورة لا يمكن ضمان مستقبلهم اعتباراً، فكل مجتمع يوجد فيه هذان النمطان من أنصار الحق. إذا كان الفريق الصالح منهما، أي الذين

يستطيعون عند الحاجة الانتهاء عن متاع الدنيا، هم الأكثر، فلن يقع المجتمع بما وقع فيه على عهد الإمام الحسين عليه السلام، وكونوا على ثقة أن المستقبل سيكون مضموناً إلى الأبد.

أما إذا كانوا قلة، وكان ذلك الفريق من الخواص، أي المناصرين للحق ولكن في الوقت نفسه تنهار معنوياتهم أمام المغريات الدنيوية، بما فيها من ثروة، ودار وشهرة ومنصب وجاه، والذين يعرضون عن سبيل الله لأجل أنفسهم، فيلتزمون الصمت حيثما يجب قول الحق، حفاظاً على أرواحهم أو مناصبهم أو أعمالهم أو ثرواتهم أو لحب الأولاد والأسرة والأقارب والأصدقاء، هؤلاء إذا كانوا هم الكثرة، فالويل الويل حينئذ، عندها ينزل السائرون على خطى الحسين عليه السلام إلى أرض الشهادة ويقادون إلى مسالخ الذبح، ويتسلط اتباع يزيد على مقاليد الأمور، وسيحكم بنو أمية الدولة التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وآله ويطول حكمهم ألف شهر، وتتحول الإمامة إلى ملك وسلطاناً (١)

الفرق بين عهد حكومة علي وحكومة رسول الله

الفرق الأساسي بين أمير المؤمنين عليه السلام في عهد حكومته، وبين رسول الله صلى الله عليه وآله في أيام حياته وعهد حكومته هو أنّ الخنادق كانت في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مميّزة ومفصولة تماماً؛ خندق الإيمان، وخندق الكفر. أمّا المنافقون فكثيراً ما كانت الآيات القرآنية تشير إليهم وتحذّر منهم، وتقوّي صفوف المؤمنين في مواجهتهم، وتضعّف من شوكتهم. أي أنّ كل شيء كان في النظام الإسلامي في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله واضحاً تمام الوضوح، وكانت الصفوف مفروزة بشكل صريح؛ فطائفة على الجاهلية والكفر والطاغوت، وأخرى على الإيمان والإسلام والتوحيد. ومن الطبيعي أنّ كل واحدة من هاتين الطائفتين كانت تضم صنوفاً شتى من الناس، لكن الصفوف كانت مميزة وواضحة كل الوضوح.

أما في عهد أمير المؤمنين عليه السلام فكانت المشكلة الكبيرة في تداخل الصفوف والخنادق؛ وهذا هو السبب الذي جعل للفئة الثانية - أي الناكثين - وضعاً مقبولاً ومبرراً، وكان كل مسلم يتردد كثيراً في محاربة شخصيات من أمثال طلحة أو الزبير؛ فالزبير هو ابن عمّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وكان من الشخصيات البارزة والمقربة إليه، حتى إنه بعد عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان ممّن اعترضوا على السقيفة دفاعاً عن أمير المؤمنين، ولكن الأمور بخواتيمهما. نسأل الله أن يجعل عاقبتنا إلى خير.

قد يؤثر حبّ الدنيا ومظاهر الحياة في بعض الناس إلى درجة تجعل المرء يشك حتى في الخواص، فما بالك بالعوام.

وعلى كل الأحوال، كانت الظروف آنذاك عصيبة حقاً، ولا بدّ أنّ الناس الذين صمدوا مع أمير المؤمنين عليه السلام وحاربوا إلى جانبه كانوا على قدر كبير من البصيرة.

وقد استشهدت عدّة مرات بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر»^(١).

فلابدّ من توفر البصيرة بالدرجة الأولى، ويستدل من هذه التداخلات على طبيعة المشاكل التي واجهت أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى الأساليب الملتوية التي اتبعها الناس الذين حاربوه.

في صدر الإسلام كانت هناك أفكار خاطئة كثيرة تطرح في الساحة، ولكن كانت تنزل آية قرآنية تفنّدها بصراحة؛ سواء وقتما كان النبي صلى الله عليه وآله في مكة أم في المدينة؛ فسورة البقرة - على سبيل المثال - وهي سورة مدنية، حاشدة بصور من التحديات والاشتباكات بين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والمنافقين واليهود؛ حتى إنها تناولت التفاصيل الجزئية واستعرضت الأساليب التي كان يتبعها يهود المدينة في إيذاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله نفسياً، ومنها ﴿لا تقولوا راعنا﴾^(٢) وما شابه ذلك.

وجاءت أيضاً سورة الأعراف وهي سورة مكّية زاخرة بمحاربة الخرافات وكُرس فصل منها للحديث عن تحريم وتحليل أنواع اللحوم، في مقابل التحليل والتحريم الزائف الذي اصطنعه الناس لأنفسهم يومذاك: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾^(٣) هذه هي المحرمات الحقيقية وليست تلك التي اصطنعتموها أنتم لأنفسكم من أمثال البّحيرة والسائبة وما شاكل ذلك، وكان القرآن يحارب هذه الأفكار صراحة.

أما في عهد أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان أعداؤه يستغلون تلك الآيات القرآنية. وهذا ما صعّب كثيراً من مهمة أمير المؤمنين. لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام مدّة

(١) نهج البلاغة: ٢ / ٨٧ خ ١٧٣.

(٢) سورة البقرة: ١٠٤.

(٣) سورة الأعراف: ٣٣.

خلافته القصيرة في أمثال هذه المصاعب والمعضلات.

وفي مقابل هؤلاء كانت جبهة عليّ، وهي جبهة قوية حقاً، وفيها رجال كعمّار ومالك الأشتر وعبدالله بن عباس ومحمّد بن أبي بكر وميثم التمار وحجر بن عدي، وكانوا رجالاً مؤمنين ذوي بصيرة ووعي، وكان لهم دور مؤثر في توعية الناس الآخرين.

كان من جملة المواقف الجميلة في عهد أمير المؤمنين - ويُعزى جمالها طبعاً إلى الجهود الطيبة لهؤلاء الأكابر، إلا أنها في الوقت ذاته كانت مريرة بسبب ما لحقهم من جرائمها من عناء وعذاب - هو مسيرهم نحو الكوفة والبصرة من بعد ما هبّ طلحة والزبير وغيرهما واستولوا على البصرة وأرادوا المسير منها نحو الكوفة، حيث أرسل أمير المؤمنين الإمام الحسن عليهما السلام وبعض هؤلاء الأصحاب، وكان لهم مع الناس في المسجد مداولات وأحاديث ومحادثات تعتبر من المواقف المثيرة وذات المغزى العميق في تاريخ الإسلام. ولهذا السبب يلاحظ أنّ الهجمات الأساسية لأعداء أمير المؤمنين عليه السلام وتجهت صوب هذه الشخصيات؛ ضد مالك الأشتر، وضد عمار بن ياسر، وضد محمّد بن أبي بكر، وضد كل من وقفوا إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام منذ البداية وأثبتوا صلابة إيمانهم وسلامة بصيرتهم. ولم يتورع الأعداء عن كبل أنواع التهم لهم والسعي لاغتيالهم. ولهذا قضى أكثرهم شهداء؛ فاستشهد عمار في الحرب، واستشهد محمّد بن أبي بكر بتحاييل أهل الشام، وكذا استشهد مالك الأشتر بحيلة من أهل الشام. وبقي البعض الآخر منهم إلى أن استشهدوا على نحو قاس وفجيع (١) ..

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران.

التاريخ يعيد نفسه

واليوم يشبه ذلك اليوم تمام الشبه؛ فالخندق المعادي هو ليس ذلك الشخص الغافل، والذي يحسب أيضاً من الأصدقاء ولكنه مُستغفل ومخدوع وملتبس عليه الأمر، وهو حاقد على النظام على أثر حادثة، ويقف في مواجهته وفي مواجهة أي كلام حق، وفي مجابهة الإمام ونهج الإمام؛ هذا الشخص ليس هو العدو الأصلي وإنما هو شخص مخدوع يُرثى لها وإنَّ العدو الأصلي هو ذلك الذي يقف وراءه ولكنه لا يظهر نفسه في داخل البلد، في حين يظهر بكل وضوح خارج البلد على الصعيد الدولي والعالمي بصفته عضواً وقيّماً في وكالات المخابرات المركزية الأمريكية أو منظمة الموساد الصهيونية، ويتحدث بالحقائق ويكشف عن دوافعه في محاربة الإسلام والمسلمين.

أمّا أذنا به الموجودون في داخل البلاد فلا يقتربون من قبضة الحكومة المقتدرة، لعلمهم بأنها حكومة مقتدرة ومُستندة إلى آراء الشعب، وقائمة على محبة الجماهير، فهم يخشونها ولا يقتربون منها، ويلقون كلماتهم عن طريق المغفلين، عبر واسطة أو واسطتين أو ثلاث وسائط.

وقد تظهر تلك الكلمات على لسان عالم ولكنه مغفل ومخدوع، أو على لسان طالب منقاد للمشاعر ويلقي الكلام على غير هدى، أو على لسان شخص عادي أو حتى شخص ثوري لا يدرك متطلبات الزمان ولا يعرف العدو، أو قد يكون في قلبه حقد أو عقدة. والكلام يخرج من لسان هذا المسكين ليس كلامه هو، وإنما هو كلام العدو وأعداؤنا هم أولئك الذين ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾.

عدونا هو ليس من لم يحرص على هذه الثورة فحسب، بل لعله وقف في

وجهها في برهة من الزمن، وبعضهم وقفوا بوجه هذه الثورة في عهد النظام البهلوي، والبعض الآخر قام بعمليات تخريب بعدما جاء النظام الإسلامي إلى سدة الحكم، والبعض الآخر لم تواتيه الفرصة فاعتزل واختفى، وعندما حانت له الفرصة في الوقت الحاضر، خرج من قوقعته ظناً منه أنّ الفرصة قد أصبحت مواتية.

فهؤلاء في سبات بسبب قلة حيلتهم، ولكن بعد أن أشرقت الشمس وبعثت الحرارة فيهم تصوروا أنّ المجال قد أتيح أمامهم ليلدغوا، فدخلوا إلى الميدان بهيئة الحيات أيضاً! (١)

(١) من كلمة ألقاها في ٨ رمضان ١٤٢٠هـ - طهران .

معالم الحكومة العلوية

كيف بدأ الإنحراف

بدأ انزلاق الخواص المؤيدين للحق بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ يست أو سبع أو ثمان سنوات، وكلامي هنا مع غض النظر عن مسألة الخلافة تماماً، قضية الخلافة على حدة، بل أتحدث الآن حول هذا النهج بسبب ما يتصف به من خطورة.

القضايا بأجمعها وقعت بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ، وبرزت أولى مؤشراتها في قولهم: لا يجوز أن يستوي ذور السابقة في الإسلام - وهم أصحاب الرسول ﷺ - ومن شهد منهم حروبه - مع سائر الناس؛ هؤلاء يجب أن تكون لهم امتيازات! فمنحت لهم امتيازات مالية من بيت المال!

كانت هذه هي اللبنة الأولى، وهذا هو حال سائر التيارات المنحرفة؛ تبدأ من نقطة صغيرة ثم يستفحل شأنها ويتفاقم مع كل خطوة.

الانحرافات بدأت من هنا إلى أن بلغت عهد عثمان، حيث آلت الأوضاع في أواسط عهد الخليفة الثالث إلى حالة صار فيها كبار صحابة رسول الله ﷺ أثرى الأثرياء في زمانهم. أي أنّ كبار الصحابة من ذوي الأسماء المعروفة - كطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأمثالهم - الذين كان لهم مفاخر، باتوا من رأسمالي الطراز الأول! بحيث أنّ أحدهم لمّا مات وأرادوا تقسيم أمواله بين وارثيه اضطروا إلى كسر الذهب - الذي أذابه وحوله إلى سبائك - بالفؤوس، كالحطب الذي يكسر بالفؤوس، فكم كان مقدار الذهب إذن حتى يكسر بالفؤوس؟ والحال أنّ الذهب يوزن

بالمثاقيل، هذا ما سجّله التاريخ! (١)

هذا ليس مما يقال أنّ الشيعة سَطّروه في كتبهم، أبداً، هذا ما كتبه الجميع، فالمبالغ التي خلفوها من الدنانير والدرهم كانت مبالغ خيالية! وهذه الحالة هي التي أدت إلى وقوع تلك الأحداث على عهد أمير المؤمنين عليه السلام، أي بما أنّ البعض صار يولي أهمية فائقة للمنصب، لذلك فقد دخلوا في صراع معه.

إنّ علي عليه السلام جوبه بمثل هذا المجتمع الذي يوصف بعض أفرادهم بأنهم «اتخذوا مال الله دواً وعباده خولاً ودينه دخلاً» (٢). مجتمع ضاعت القيم فيه في خضم حب الدنيا، مجتمع يواجه فيه أمير المؤمنين عليه السلام مصاعب جمّة عندما يريد قيادة الناس إلى الجهاد.

كان أكثر الخواص في عهد أمير المؤمنين عليه السلام من المناصرين للحق؛ أي من الذين كانوا يعرفون الحق، ولكنهم يرجحون الدنيا على الآخرة. وهو ما أدى به إلى خوض ثلاث معارك، وأنهى فترة حكمه التي استمرت أربع سنوات وتسعة أشهر في هذه المعارك الثلاثة! إلى أن استشهد في نهاية المطاف على يد أحد الأشقياء (٣).

الإنجاز العظيم الذي قام به أمير المؤمنين

إنّ أمير المؤمنين قد أثبت في تلك المدة أنّ القيم والأسس الإسلامية التي تكوّنت في حقبة كان الإسلام فيها غريباً، وكان المجتمع الإسلامي صغيراً، يمكن تطبيقها في مرحلة الرخاء واتساع رقعة العالم الإسلامي واقتداره وتقدمه المادي. إنّ أسس الإسلام عبارة عن العدل وتكريم الإنسان والجهاد والاعمار والمباني

(١) انظر الغدير فقد فصل تاريخهم: ٨ / ٢٨٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٢) عين العبرة: ٥١.

(٣) من كلمة ألقاها في ١ محرم ١٤١٧ هـ.

الأخلاقية وقيمها، وقد نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ وقام النبي بتطبيقها على المجتمع الإسلامي بحدود الإمكان، ولم يكن المجتمع الإسلامي خلال السنوات العشر التي حكم فيها النبي سوى مدينة صغيرة تضم بضعة آلاف، ثم تم فتح مكة والطائف، فكانت منطقة محدودة ذات ثروات محدودة، وكان الفقر شاملاً والإمكانات ضئيلة جداً، فقام بإرساء القيم الإسلامية في مثل هذه الأجواء.

ثم مضى على وفات النبي ﷺ خمس وعشرون سنة، اتسعت خلالها رقعة البلاد الإسلامية مئات الأضعاف، فكانت حدود العالم الإسلامي يوم استخلف أمير المؤمنين عليه السلام تمتد من آسية الوسطى الى الشمال الافريقي - أي مصر - حيث تمت الاطاحة بإحدى الدولتين العظمتين المجاورتين للعالم الإسلامي، وهي إيران بشكل كامل، وتم الاستيلاء على أجزاء كبيرة من الأمبراطورية الرومانية وتم الاستيلاء على الشامات وفلسطين والموصل وغيرها، فتوفرت لذلك أموال طائلة، فزال الفقر ولم تعد هناك شحّة في الأطعمة، وانتشر الذهب، وازدادت النقود، وظهرت ثروات عظيمة، وأصبح العالم الإسلامي ثرياً، وتمتع بعض المسلمين بثراء فاحش.

ولو أننا تجاوزنا الإمام علياً عليه السلام، لأمكن للتاريخ أن يقول: إنّ أسس الإسلام والقيم النبوية كانت جيدة، إلّا أنه لا يمكن تطبيقها إلّا على مجتمع صغير فقير، ولذلك فإن العالم الإسلامي سرعان ما اتسعت رقعته واختلط بسائر الحضارات والثقافات من الفارسية والرومانية، حتى لم تعد تلك الأسس والقيم مجدّية في إدارة البلاد، إلّا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أثبت في هذه السنوات الخمس من حكومته من خلال سيرته وأسلوبه وسياسته أنّ بالإمكان تطبيق تلك الأصول النبوية الساطعة من التوحيد والعدل والمساواة بين الناس، على يد والٍ مقتدر مثل أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد أثبت التاريخ ذلك، فإنّ مدة حكم الإمام عليه السلام وإن كانت قصيرة إلّا أنها كافية

في إثبات أنّ الحاكم الإسلامي وغيره من المسؤولين في الدولة كانوا ملتزمين ووطنوا النفس وعقدوا العزم على تطبيق مبادئ الإسلام في مختلف الظروف، والقيام على خدمة الناس بواسطتها.

درس من إنجاز علي عليه السلام

وهذه هي مسألتنا الراهنة أيضاً، إذ يتصور البعض أنّ شعارات الثورة من العدالة والجهاد والدين والاستقلال والاكتفاء الذاتي، وهي الشعارات التي شجعت الشعب على الثورة والاطاحة بالنظام الطاغوتي، ودافع عنها ثمانية سنوات في الحرب المفروضة، قد أصبحت قديمة ولم يعد تطبيقها ممكناً في حين أنّ هذا خطأ واضح، ربما نحن الذين اعترانا القدم والخور والضعف إلا أنّ تلك الأصول لا تزال باقية على قوتها، ولو أننا دخلنا الساحة بإيمان وتدبير كاف مصحوب بالرغبة والأمل وعدم التراجع أمام أساليب الأعداء، لتجلّت تلك الأصول بشكل أوضح.

سياسة علي في بداية حكمته

سأستعرض هنا بعض السياسات التي انعكست في كلماته عليه السلام، أصر الناس بعد مقتل عثمان أن يقوم علي عليه السلام بالأمر، وكان الإمام يرفض ذلك، إلا أنّ إصرار الناس تفاقم وقال كبار الصحابة وشيوخ القوم: لا يكون لها إلا علي بن أبي طالب، فقال الإمام عليه السلام: «إذن فإلى المسجد، ثم صعد المنبر وخطب في الناس قائلاً: «ألا إن كل قطيعة اقتطعها عثمان، وكل ما أعطاه من مال الله فهو مردود إلى بيت المال، فإنّ الحق القديم لا يبطله شيء، والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، وملك به الإمام لرددته، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»^(١).

(١) الإمام علي للهمداني: ٦٦٤ ح ١.

ثم بدأت الاعتراضات تظهر - طبعاً إن المستضعفين والطبقة المحرومة في المجتمع كانت نائمة الى تنفيذ هذه السياسة، ولكن المتنفذين وأصحاب الواجهات الذين قصدهم الإمام بكلامه المتقدم، لم يرق لهم الأمر بداهة - فاجتمعوا وانتقدوا تصريحات الإمام، وأرسلوا من قبلهم الوليد بن عقبة الذي كان والياً لعثمان على الكوفة، فقال للإمام عليه السلام: «نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما اصبناه من المال في أيام عثمان» (١).

ثم دخل عليه طلحة والزبير، وطبعاً هناك فرق بين طلحة والزبير وبين الوليد بن عقبة فإنّ إسلام الوليد كان متأخراً، وكان هو وأسرته مناوئاً للإسلام ومحارباً، حتى أسلم بعد غلبة الإسلام في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم كسائر بني أمية، في حين أنّ طلحة والزبير كانا من السابقين ومن المقرّبين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء الى أمير المؤمنين عليه السلام معاتبان وكان من جملة ما قالاه: (إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسياقتنا ورماحتنا) (٢).

ولم يذكر التاريخ جواب أمير المؤمنين عليه السلام للوليد بن عقبة، وإما بالنسبة الى ما قاله طلحة والزبير، فقد صعد الإمام عليه السلام المنبر وقال: «وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة، فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء، ولا وليته هوئى مني، بل وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بذلك» (٣).

فقام الإمام بتطبيق سياسة النبي صلى الله عليه وسلم بحذافيرها، ودفع ثمن ذلك بوقوع ثلاثة حروب عليه في مدة حكمه، بديهي أنّ الإمام كان يرى الخلافة حقاً له وقد زوي

(١) بحار الأنوار: ٣٢ / ١٩ .

(٢) بحار الأنوار: ٣٢ / ٢١ .

(٣) نهج البلاغة: .

عنها، إلا أنه كان يختار السكوت فيما يراه حقاً له، فصبر طوال خمس وعشرين سنة عن ذلك الحق، ورد الذين حاولوا إثارته، بكلمات من قبيل: (إنك لقلق الوضين ترسل في غير سداد) (١) و (دع عنك نهياً صيح في حجراته) (٢).

في حين أنه في مسألة أخرى قد تبدو أقل شأناً من امر الخلافة، وهي مسألة العدالة الاجتماعية واحياء الأصول النبوية، تحمّل ثلاثة حروب هي: حرب الجمل وصفين والنهروان فانظروا الى ما لهذه المسائل من الأهمية في نظر الإمام عليه السلام، وهذا هو الانجاز العظيم لأمير المؤمنين عليه السلام.

ولأمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال كلمة أخرى حيث يقول: «لا تمنعكم رعاية الحق لأحد عن إقامة الحق عليه» (٣)، أي لو كان الشخص مؤمناً ومجاهداً في سبيل الله، ووجبت رعاية حقه عليك، ثم أخطأ وأضاع حقاً لم يجز لك في مقام المسؤولية أن تجعل من ذلك الحق الذي وجب عليك حائلاً دون إنزال العقوبة عليه فيما أخطأ، هذا هو منطق أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) البحار: ٢٩ / ٤٨٦ ح ٦.

(٢) علل الشرائع: ١ / ١٤٦ ح ٢.

(٣) موسوعة الإمام في الكتاب والسنة: ٤ / ١٢٨.

نماذج من سياسة علي في الحدّ

ويروى في هذا الشأن أنّ شاعراً اسمه النجاشي كان من أصحاب الإمام عليّ وقد مدحه في قصائد كثيرة، وأنشد في حرب صفين أفضل القصائد في التحريض على قتال معاوية، وكان مشهوراً في حبه وإخلاصه لأمر المؤمنين عليّ، إلا أنه شرب الخمر في نهار رمضان، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليّ فأقام عليه الحد أمام الناس، فاقبلت أسرته وقبيلته إلى الإمام وقالت له: إنك بعملك هذا قد أهدرت كرامتنا، فأجاب الإمام: لم أقم إلا بما أمر الله به، فهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله، فأقمنا عليه حدّاً كان كفارته.

ثم إنّ النجاشي بعد إقامة الحد عليه التحق بمعاوية، ولم يتأثر الإمام أو يستوحش من ذهابه، إلا أنه لو لم يذهب لكان خيراً له، هذا منطلق أمير المؤمنين عليّ وسياسته.

وفي واقعة أخرى وجب الحد على رجل من بني أسد -الذين كانت لهم قرابة مع الإمام عليّ- فاجتمع قومه وقرروا الذهاب إلى عليّ ليثنوه عن إقامة الحدّ، فذهبوا أول الأمر إلى الإمام الحسن عليّ ليشفع له عند الإمام، فأجابهم الإمام الحسن عليّ أنّ بإمكانهم الذهاب إلى أمير المؤمنين عليّ بأنفسهم لمكان القرابة، فذهبوا وعرضوا الأمر عليه، فأجابهم الإمام عليّ بأنه سيقوم بكل ما هو من حقه، فاستبشروا خيراً وخرجوا من عنده، فلقبهم الإمام الحسن عليّ وسألهم عما كان من شأنهم، فأجابوه بأن الإمام عليّ وعدهم خيراً، فقال الحسن عليّ وما كان جوابه؟

فقالوا: لقد قال إنه سيقوم بكل ما هو من حقه، فابتسم الإمام الحسن عليّ وقال:

أعدّوا صاحبكم لإقامة الحدّ، ثم حدّه الإمام.
ولما عاتبه قومه على ذلك، أجابهم عليه السلام بأن الحد حكم إلهي وليس من حق العبد أن يعطله، هذا وقد كان بنو أسد من خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام (١).
كما نقل التاريخ أموراً كثيرة عن مأكله وملبسه (٢)، وعيشه مع أسرته، يقول الراوي: دخلت على الإمام الحسن والحسين عليهما السلام، وكان طعامهما الخبز والخل وشيئاً من الخضر، فقلت لهما: أنتما أميران وأبنا أمير المؤمنين وفي الرحبة، فالتفتا الي وقالوا: ما أغفلك عن أمير المؤمنين عليه السلام! (٣)

وقد سمعتم بأمر العقد الذي استعارته زينب الكبرى عليها السلام من أبي رافع، والحديدة التي أحماها لعقيل حينما سأله صاعاً من بُرٍّ (٤)، ورفضه لطلب عبد الله بن جعفر ابن أخيه وزوج ابنته لما شكّا له فقره واضطراره الي بيع حوائج بيته إن لم يقرضه شيئاً من بيت المال، فلم يستجب له عليه السلام وقال له: أتأمر عمك بسرقة بيت مال المسلمين.

(١) انظر دعائم الإسلام: ٤٤٣ / ٢.

(٢) انظر في هذا الكتاب زهد أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣٧٥ / ١.

(٤) انظر رسائل المرتضى: ١٣٩ / ٣.

خصائص الحكم في المجتمع الإسلامي

لقد حدّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خصائص الحكم في مجتمع متقدم وواسع ومتحضر وافر الثراء بما كانت عليه خصائص عصر النبوة، ليثبت إمكان تطبيق تلك الأسس والأصول التي هي عبارة عن العدل والجهاد وبناء الناس وحسن التدبير بتنصيب المؤمنين الأكفاء في كل حال وفي جميع الظروف، وهذه هي الحقيقة.

إنّ الأصول الإسلامية لا تكمن في الثياب التي يرتديها أمير المؤمنين عليه السلام، حتى علينا أن نحاكه فيها، بل إنّ الأصول الإسلامية عبارة عن العدالة والتوحيد والانتصاف للناس، وصيانة حقوقهم ورعاية الضعفاء، والوقوف بوجه أعداء الإسلام والدين، والإصرار على أسس الحق والإسلام والدفاع عن الحق والحقيقة، وبالإمكان تطبيق هذه الأصول في جميع العصور وكافة المجتمعات.

وطبعاً حينما نتحدث حالياً بهذا الكلام، إنما نتحدث في الحقيقة عن القمّة، فمن الذي يمكنه أن يتصوّر التشبّه بأمر المؤمنين عليه السلام فضلاً عن التشبّه به حقيقة!

وقد ذكرنا سابقاً إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام وهو حفيد أمير المؤمنين عليه السلام وكان معصوماً وقد عُرف بهذا اللقب وعرف بالسجاد أيضاً لكثرة سجوده وعبادته، وبرغم ذلك حينما سُئل عن كثرة عبادته، قال: أين عبادتي من عبادة أمير المؤمنين عليه السلام هذا والإمام السجاد أفضل عبّاد وزهّاد زمانه، فما ظنك بنا ولا تقاس عبادتنا بعبادته إلّا كما تقاس القطرة الى البحر.

إذن فأمر المؤمنين عليه السلام هو النموذج والقمّة التي تحدد الجهة التي يتعين على الإنسان أن يتحرك نحوها ليبلغها على مقدار طاقته.

إنّ النظام الإسلامي هو نظام العدل والانتصاف ورعاية الناس واحترام حقوقهم

والوقوف بوجه الظلم، وهي مشاكل البشرية عبر التاريخ، حيث تشاهدون القوى المتغترسة كيف تدعي الحاكمية على العالم، ويخضعون الشعوب لإرادتهم وينعصون عليهم حياتهم، فكان الإسلام ومنطق أمير المؤمنين عليه السلام والحكومة العلوية يركّز على مقاومة ذلك، سواء في دائرة اجتماعية ضيقة يحاول فيها ظالم هضم حق ضعيف، أو على الصعيد العالمي والدولي ^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٥/٨/١٣٨٣ هـ، ش الموافق ٢١/رمضان/١٤٢٥ هـ - طهران.

الفرق بين الإمامة والسلطة

المجتمع الإسلامي مجتمع الإمامة، أي أن الإمام يكون فيه على رأس السلطة وهو الشخص الذي يكون بيده زمام الأمور، والناس ينقادون له انقياداً قلبياً نابعاً من الإيمان.

أما السلطان فهو على خلاف ذلك؛ يحكم الناس بالقهر والغلبة، والناس لا يعتقدون به ولا يقبلون حكمه ولا يميلون إليه، والمقصود من الناس هنا ذوو الفهم والوعي.

لقد بدّل بنو أمية الإمامة في الإسلام إلى سلطنة وملكية، وحكموا هذه الدولة الإسلامية الكبرى ألف شهر أي تسعين سنة. حينذاك وضعت أسس بناء هش انتهى إلى الثورة ضد بني أمية الذين انقضوا وجاء من بعدهم بنو العباس، وحكموا العالم الإسلامي ستة قرون أي ستمائة سنة على أساس أنهم خلفاء الرسول الأعظم ﷺ! بنو العباس الذين كان خلفاؤهم أو بتعبير أدق ملوكهم يمارسون الفساد والفسق وشرب الخمر والفجور والفحشاء والخبائث وجمع الثروات واللهو والملذات وآلاف أنواع المفاسد الأخرى، كانوا يحضرون المساجد أيضاً - كما هو حال سائر الملوك في العالم - ويأمّون الناس في الصلاة. وكان الناس يصلون خلفهم اضطراراً - وإن لم يبلغ اضطرارهم ذلك الحد - أو من باب الاعتقاد المغلوط، وهو ما أدى بالنتيجة إلى تخريب معتقدات الناس!

إذا أصبح الخواص المناصرون للحق في مجتمع ما - كلهم أو أكثرهم - يخافون على حياتهم وعلى فقدان الأموال والمناصب والجاه والمكانة الاجتماعية ويخشون العزلة، بسبب تعلقهم بالدنيا، حينذاك لا يناصرون الحق ولا يضحون

بأنفسهم.

وحينما تصير الأمور إلى هذا الحال ، حينئذ يقع في طليعة الأمور استشهاد الإمام الحسين بتلك الصورة المأساوية، ويكون آخرها تسلط بني أمية والعصابة المروانية ومن بعدهم بنو العباس، ثم سلسلة السلاطين الذين حكموا العالم الإسلامي إلى يومنا هذا (١).

إن أعظم خطر يهدد نظاماً وحكومة كنظامنا وحكومتنا اللذين قاما باسم الإسلام هو أن نتناسى قدوتنا في الحكم وهو أمير المؤمنين عليه السلام؛ فننظر إلى ما شاع من نماذج في الدنيا وعبر التاريخ ونقرن أنفسنا إليها، فنوجه أنظارنا نحو النهج الذي اتبعته الحكومات المنحرفة التي وجهت الضربات المتوالية للبشرية على مر التاريخ؛ فلتن عملت على ازدهار جانب معين من حياة الإنسان فقد أنزلت خسائر لا تعوض بجانب آخر.

فيجب أن تتركز جهود الجمهورية الإسلامية على الاقتراب من ذلك النموذج الذي طرحته واقعة الغدير وتجسد خلال فترة السنوات الخمس من حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

ولو أمعنتم النظر في الحروب التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام خلال هذه الفترة الوجيزة تجدون أنها جميعاً في سبيل الحؤول دون استبدال الإمامة والولاية الإسلامية بتلك النظم المنحرفة؛ استبدال الإمامة بالسلطنة، استبدال حكومة المعرفة بحكومة الجهل؛ استبدال الحكومة القائمة على التجرد عن المصالح الشخصية بحكومة يقف على رأسها من هاجسهم التفكير بمصالحهم الشخصية واكتناز الأموال وحطام الدنيا دون غيره.

(١) من كلمة ألقاها في ١ محرم ١٤١٧ هـ.

إقتفاء خط علي وحكومته

اليوم وفي ظل الجمهورية الإسلامية، لو أردنا ضمان السعادة لهذا البلد وأن يحقق الشعب الإيراني العزيز - بما يزخر به من طاقات أودعها الله لدى هذا البلد وهذا الشعب - طموحاته وآماله المشروعة، فعلينا اقتفاء هذا الخط والاقتداء بتلك الحكومة على صعيد ديننا ودنيانا، فمنها نأخذ السياسة المصفاة من لوث الأهواء والرغبات والشهوات، سياسة منبثقة عن الدين والأخلاق، سياسة الرجحان في صياغتها للمصالح الوطنية العامة على المصالح الشخصية والفئوية والقومية وعلى مصالح الأجانب الذين يبغون الدنيا بأسرها لهم، سياسة تضمن للشعب عزته واقتداره الوطني والمنزلة على الصعيد العالمي والثقافة السامية والتطور العلمي؛ وتغذيه بالمعنويات والفضيلة والدين والأخلاق إلى جانب ضمان دنياه وحياته ومعيشته.

إننا الآن بحاجة إلى ذلك الذي إنما يتحقق على أيدي الحكام والمسؤولين الذين يجلسون على مسند المسؤولية وينهضون بمهامهم عن طريق إرادة الجماهير وانتخابها ورغبتها وعواطفها الجياشة وعلى أساس ما تعتقد به، وهذا ما يعد أنموذجاً أمثل.

ونحن في الجمهورية الإسلامية إذا ما واصلنا هذا الدرب والمسير - وهو خطوة عملية قد اكتسب مسؤولو البلاد الخبرة والتجربة فيه على مدى السنوات الثلاث والعشرين المنصرمة والحمد لله؛ وهو كذلك موضع رضى من لدن الشعب - إذ ذلك - سننال الرضى الإلهي وتزداد ثقة الشعب ويزداد النظام اقتداراً^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤٢٢هـ - مشهد المقدسة.

الولاية تعني تدخل الدين في السياسة

لقد اتضح أنّ الإسلام يدعو في أرقى أحكامه وقوانينه إلى مسألة الحكومة والولاية وإدارة الأمة، فلا بدّ من دراسة حادثة تنصيب علي يوم الغدير في هذا البعد، كما ينبغي محو الكثير من الأخطاء التي تركّزت في الأذهان - مع الأسف - طوال قرون.

إنّ الذين تظاهروا بالدفاع عن الدين وقالوا: لا ينبغي للدين أن يتدخل في السياسة إنّما أرادوا أن لا تتدخل الأحكام الإسلامية ودعاة الإسلام في حكوماتهم؛ لذا فإنّ السلاطين المستبدّين هم أول الدعاة إلى الفكرة المنحرفة التي تدعو إلى (فصل الدين عن السياسة)، وهذا هو أسلوب إعلامي جديد مارسه الاستكبار ضدّ حكومة الإسلام وحياته الجديدة.

نموذج تاريخي لعزل الدين عن المجتمع:

طبعاً منذ قرون وقوى الاستبداد - أي القوى المتجبرة التي استولت على مقدّرات المجتمع بالقهر وكانوا يريدون أن يمارسوا بحرية أصناف السياسات بحقّ شعبهم وبلادهم - تدعوا إلى فصل الدين عن السياسة، وهم الذين روّجوا ونادوا بفكرة فصل الدين عن السياسة قبل المستعمرين والأعداء.

ففي عهد ناصر الدين شاه لو تدخل عالم الدين في أمر سياسي وأحبط جميع المؤامرات والحيل الاستعمارية - التي تضمن المصالح المشتركة للشركات والبلاط الملكي في إيران - أما كانت حاشية ناصر الدين شاه ويطانته تفكّر أنّه لماذا يتدخل الدين في السياسة؟ وهذا المعنى موجود بالفعل في الأعمال الأدبية في عصر ناصر الدين شاه - منتصف وأواخر العهد القاجاري.

إذن فالمسألة تعود أولاً إلى المستبدّين وعماليتهم في بلادنا والبلدان الأخرى الذين كانوا يخشون ويخالفون أنواع التدخّل من قبل الدين وعلماؤه والدعاة إليه في مجال السياسة.

ولمّا وجد المستعمرون أنّ هذا شعار خلّاب تمسّكوا به واتبعوه بعد أن فرض على خلفيات الكثير من العلماء والتمدّين من الناس، وطُفق يُستدلّ على صحّته حتّى اتخذ قالباً منهجياً وفكرياً. هذا فيما يتعلّق بالماضي.

نموذج تاريخي لحاكمية الدين

من جملة الخدمات العظيمة التي أنجزتها الحركة الدينية العظيمة للشعب الإيراني هي إزالة هذه الأسطورة الخاطئة والقضاء عليها، فنزلت الجماهير إلى الساحة، ورفعت راية الحرّية بدافع من الدين وأوامره يتقدّمها دعاة الأحكام الدينية والعلماء الكبار، حتّى انتهى الأمر إلى حاكمية دين الله في هذه البلاد وأتضح للمسلمين أنّ الأمور السياسية والأهم منها الحكومة والولاية قد عُجنت في الدين ولا يمكن فصلها عنه، وعندها ظهرت المعاني الكامنة في النصوص الدينية وأدرك الجميع أنّهم غفلوا أمراً واضحاً لعدّة سنوات.

بديهي أنّ الانحراف الذي يدعو له أعداء سعادة الأمة يحظى بدعم ومساندة لا يمكن القضاء عليه بهذه البساطة، فقد أقيمت براهين جديدة لفصل الدين عن السياسة من قبيل إذا أدخلنا الدين في السياسة أو إذا استلهمت سياسة البلاد تعاليمها من الدين، وبما أنّ الأمور السياسية والحكومية تستتبع المشاكل التي تؤدّي إلى عدم الرضا والإحباط، فينتج جراء ذلك تنكّر الناس لأصل الدين.

إذن فعلى الدين أن يتخلّى عن السياسة بالمرّة وأن يحفظ بقداسته ونورانيته

ويتروى وينصرف إلى أمور الناس المعنوية والذهنية والروحية!!^(١)

الغدیر يلغي فصل الدين عن السياسة:

إن قوى الاستكبار تسعى حالياً وبمختلف الأساليب إلى إشاعة هذه الفكرة في العالم - وعلى الأخص في العالم الإسلامي - والناسخ لهذه السفسطة هو قضية الغدير.

ففي حادثة الغدير أنجز نبي الإسلام الأكرم ﷺ أهم الواجبات امتثالاً لآيات القرآن الصريحة ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾^(٢)، فتنصيب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام للولاية والخلافة من الأهمية بحيث يكون عدم امتثاله بمثابة عدم امتثال الرسالة.

والآن فالمراد إما الرسالة في خصوص هذه الحادثة - لأن الله تعالى أمر بامتثالها - أو أكثر من ذلك بأن يكون المراد هو أصل رسالة النبي ﷺ وأنه إذا لم يبلغ هذا الأمر فكأنه لم يبلغ أصل الرسالة^(٣).

إن إقامة الحكومة ومسألة الولاية وإدارة الدولة من أساسيات الدين، وقد امتثله النبي بعظمته وبذلك الاهتمام أمام أعين الناس، وبشكل لم ينجز معه أي واجب آخر كالصلاة والزكاة والصيام والجهاد. فيجمع الناس من مختلف المدن والقبائل والأماكن في مفترق طرق بين مكة والمدينة ويبلغ هذا الأمر بوصفه أمراً مهماً ويدور الحديث في العالم الإسلامي بأن النبي ﷺ قد بلغ أمراً جديداً ومع غض النظر عن شخص أمير المؤمنين عليه السلام فإن تنصيباً بالشكل الذي التفت إليه الشيعة لم يلتفت إليه

(١) وقد فصلنا ذلك في كتاب «حاكمية الإسلام بين النظرية والتطبيق».

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٨ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

الآخرون كثيراً ولم يلاحظوه.

نلاحظ في هذه القضية أهمية نصب الحاكم، وهذه هي رسالة الغدير، فلماذا لا يلتفت إلى النداء الذي صدع به النبي الأكرم ﷺ مؤسس الإسلام أمام جميع المسلمين وقال: أيها المسلمون لا تفصلوا الدين عن أساس الحياة وعن مسألة الحكومة - التي هي أساس الحياة الفردية والاجتماعية - ولا تحصره في زوايا البيوت الخالية وفي الأذهان والمسائل الروحية، فأساس حياة البشر القائم على الحكومة مسؤولية ملقاة على عاتق الدين، فعلى الدين أن يتولى ذلك.

ولم يخطر في ذهن أي شخص هذا المعنى آنذاك، وهو هل الناس صغار حتى يكونوا بحاجة إلى (ولي)؟ فهذه سفسطة واهية يطرحها البعض بظواهر علمية واستدلالية، مع أنّ الولاية لا تنحصر بالضرورة في ولاية القاصر، كما أنّ الاستاذ والمعلم لا يصدق دائماً على معلم الصف الأول الابتدائي، حتى إذا قلنا لأستاذ الجامعة إنّه معلم نكون قد وجّهنا إليه إهانة! المعلم في كلّ موقع هو معلم وفقاً لما يقتضيه المقام، فلمعلم الجامعة معنى ومقتضى، كما أنّ لمعلم الصف الأول مقتضى آخر.

وكذلك فإنّ الولاية على المحجور والصغير لها معنى ومقتضى، وولاية الأمة الإسلامية والحرب والصلح والسياسة لها معنى ومقتضى آخر ولا يمكن الخلط بين هذه الأمور. هذه هي رسالة الغدير (١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

مفهوم حاكمية الشعب في ظل الدين

فهذه الحاكمية الشعبية ليس لها علاقة مطلقاً بأصول الديمقراطية الغربية، بل إنها شيء آخر؛ فمن حيث المبدأ فإن حاكمية الشعب بالمفهوم الديني ليست شيئاً، بل هي شيء واحد، وهي لا تعني استيراد الديمقراطية من الغرب ثم نلصقها بالدين حتى نحصل على نسيج واحد متكامل. كلا، فنفس هذه الحاكمية الشعبية ترتبط بالدين أيضاً.

وجهان لحاكمية الشعب

إنّ ثمة وجهين للحاكمية الشعبية فالوجه الأول يتلخّص في إقرار نظام ما طبقاً لرأي الشعب ورؤيته؛ أي أن يختار الشعب النظام، والحكومة، والنواب، والمسؤولين الكبار، سواء أكان ذلك الانتخاب مباشراً أو غير مباشر، وهو ما يدّعيه الغرب، وإن كان هذا الادعاء لا أساس له من الصحة في الواقع الغربي.

إن البعض يغضبون عندما نكرر دائماً إن ادعاء الديمقراطية في الغرب هو ادعاء لا صحة له، ويعتبرون ذلك كلاماً متعصباً. والحال أنّ الأمر ليس كذلك؛ فهذا الكلام ليس من عندنا، كما أنه ليس متعصباً، وليس نابعاً من الجهل أو عدم الوعي، بل إنه يستند إلى آراء ونظريات وأبحاث المفكرين الغربيين البارزين. نعم، إنهم لا يصرّحون بذلك في الإعلام العام وأمام الرأي العام، بل إنهم في مثل هذه الحالات يتحدثون عن صوت الشعب وأن كل ما عندهم قائم على أساس إرادة الجماهير، ولكن هذا خلاف الحقيقة، وهم يعترفون بذلك أحياناً على مستويات مختلفة، وهو موجود في كتاباتهم، ولقد اطلعنا نحن على الكثير من هذه الاعترافات. وها أنتم الآن

تشاهدون بعض نماذجه في الولايات المتحدة الأمريكية؛ فهذه هي حاكمية الشعب هناك! ولكننا لا نقول بذلك. فما يتعلق بصوت الشعب لا يمثل سوى قسم من قسمة حاكمية الشعب الدينية، فلا بد من الانتخاب، وعلى الجماهير أن تمارس إرادتها بوعي، وأن تتخذ قراراتها حتى يتم أداء التكليف الشرعي فيما يخصها، إذ لا يمكن أن يكون ثمة تكليف بلا معرفة ووعي وإرادة.

وأما الوجه الآخر لقضية الحاكمية الشعبية فيتعلق بنا نحن - المسؤولين - الذين انتخبهم الشعب، حيث تقع على كواهلنا مسؤوليات جدية وحقيقية. لقد جاء في نهج البلاغة وغيره بعض الروايات ولا مجال لاستعراضها هنا جميعاً، ولكنني سأكتفي باثنتين أو ثلاث منها؛ فمن هذه الروايات «وإياك والمنّ على رعيّتك بإحسانك أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم قفتبع موعودك بخلفك؛ فإن المنّ يبطل الإحسان، والتزيّد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب العقاب عند الله وعند الناس»^(١).

والله تعالى يقول ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢) ومع أنّ هذا الكلام وجهه أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر، إلا أنه خطاب لنا أيضاً.

وأما الملاحظة الثانية في هذا المجال والتي تتعلق بحاكمية الشعب الدينية فهي «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك»^(٣)؛ فكل من يفعل ذلك أو أحد مصاديقه من قبيل محاباة الأصدقاء والأقارب ومنحهم الامتيازات الخاصة والإمكانات المادية دون سواهم يكون قد عاث فساداً.

فلا بد إذًا من مكافحة هذا الفساد. ومادام هذا الفساد موجوداً في أوساط المسؤولين فلن تكون هناك إمكانية للعمل والتقدم مهما كان؛ لأن هذه فجوات وحفر

(١) نهج البلاغة: ٣ / ١٠٩ كتاب ٥٣.

(٢) سورة الصف: ٣.

(٣) نهج البلاغة: ٣ / ٨٥ كتاب ٥٣.

لا يمكن ملؤها مهما أفرغتم فيها من جهد وعناء ومشقة وعمل، بل إن جهودكم ستذهب هباءً، فلا بد إذاً من تلافيتها والوقاية منها منذ البداية؛ فقول أمير المؤمنين عليه السلام «من لك فيه هوى من رعينك» يعني تجنب إعطاء الامتيازات الخاصة لأصحابك وأقربائك ومن تحب، بل لا بد من المساواة بين الجميع في إعطاء الامتيازات متى وجدت. فإذا ما تقرر أن تكون هناك قرعة مثلاً أو سقف محدد فلا ينبغي ترجيح أحد على آخر بلا وجه حق.

وأما الملاحظة الثالثة فنجدها في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية»^(١).

فهذه من علامات الحاكمية، وأنا وأنتم مخاطبون بها؛ فإذا كان أحدكم وزيراً، أو نائباً في البرلمان أو مسؤولاً في القوات المسلحة، أو مرتبطاً بقائد الثورة، أو عنصراً في السلطة القضائية، أو في أي مؤسسة أخرى وحيثما كان، فإن عليه أن يعلم بأن العمل الذي يقوم به لا ينبغي أن يكون محاباة لأرباب الثروة والسلطة، هؤلاء الذين يعبر عنهم أمير المؤمنين عليه السلام بـ«الخاصة» حيث يقول: «فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة»، ثم يقول: «وإن سخط الخاصة يفتقر مع رضا العامة»^(٢).

إن الحاكمية الشعبية لا تتجسد في مجرد الإعلام والضجة وإجراء الانتخابات وفوز الأصوات، ثم ينتهي كل شيء وتنقطع الصلة مع الجماهير! فعندما تتحقق المرحلة الأولى يأتي دور المرحلة الثانية؛ أي مرحلة تلبية المطالب.

ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام حول هذه المجموعات الخاصة: «لا تقولن إنني مؤثر أمر فاطم»، وذلك في عهده لمالك الأشتر، ويضيف: «فإن ذلك إدغال في القلب»؛ أي أن ذلك خراب للقلب وإتلاف له، وهذه هي الحقيقة. ثم يذكر أمير المؤمنين عليه السلام

(١) نهج البلاغة: ٣/٦٨ كتاب ٥٣.

(٢) المصدر السابق.

خصوصيات أخرى فيقول: «وتقرّب من الغير» حتى لا تُغضب الناس بقولك دائماً: أنا، أنا، فتشعرهم بعدم جدواهم حيث أصبحت أنت محور كل شيء^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٥ رمضان ١٤٢١هـ - طهران.

الإمام الخميني وإقامة الحكومة على أساس الدين

وهذه القضية تحظى بأهمية كبيرة، أي إن لإمامنا الراحل العظيم حق كبير في عنق الأمة الإسلامية من هذه الناحية إذ نبه أفراد الشعب إلى مسؤوليتهم في التدخل في أمر الحكومة والنظام الإسلامي، ففي النظام الإسلامي لكل شخص مؤمن بال عقيدة والشريعة الإسلامية مسؤولية، ولا يمكن لأي شخص أن يتنصل عن مسألة الحكومة ويقول: إن هذا أمر سيحدث ولا علاقة لي به! فلا يوجد عندنا في النظام الإسلامي وفي مسألة الحكومة والمسائل السياسية والأمور العامة والمجتمع (لا شأن لي بذلك) وهذا أكبر دليل على دخالة الناس.

هذا تعلمناه من الغدير، ولذا فإن عيد الغدير هو عيد الولاية والسياسة وتدخل الناس في أمر الحكومة، وعيد أفراد الشعب والأمة الإسلامية، ولا يختص بالشيعة، ويجدر بجميع الأمة الإسلامية أن تعتبر هذا اليوم عيدها، كما هو عيد أمير المؤمنين عليه السلام، وشيعة أمير المؤمنين يحتفلون بهذا العيد بشكل خاص (١).

الدين يرشد الحياة

إن الجهود التي يبذلها الناس يتصل بعضها بقضاياهم الشخصية، وهو ما يشتمل على جانب صغير من النشاطات الإنسانية من قبيل المعيشة والأمور المعنوية والعاطفية وعلاقاتهم المتبادلة.

أما الجانب الأعظم من الفعاليات الإنسانية فهو تلك الفعاليات التي تمارس على

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ / ١٢ / ١٤١٦ هـ.

شكل مجهود جماعي على صعيد المجتمع، وذلك ما يطلق عليه "السياسة" من قبيل السياسات الاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، والثقافية، والمدنية، والسياسات الدولية التي تمثل الجانب الأساس من نشاط الإنسانية خلال حياتها. ولكن لماذا تعد هي الأساس؟ ذلك لأن هذه السياسات هي التي تسوق الناس نحو اتجاه ومنحى معين وهم يمارسون نشاطاتهم الفردية.

إنّ الجانب الأهم من عمل الإنسان هو عمل جبار يحدد الإتجاه العام للنشاطات الفردية الدقيقة والصغيرة، والدين على تماس بكلا الميدانين: النشاط الفردي للإنسان، وميدان السياسة الذي يتميز بسعته وشموليته بالنسبة لحياة الإنسان.

آفتان تهددان الدين

ثمة آفتان تهددان الدين والسياسة معاً: إحداهما تتمثل في تلوث دين المجتمع أو الفرد بالانحراف أو اللامبالاة أو التحجر والجمود أو تجاهل رسالة العقل أو الالتقاط وما شابه ذلك.

أما الآفة الأخرى فهي تفسير الدين بحدود الحياة الفردية، فيهمل مسرح الحياة الجمعية للبشر على سعته أو يجري السكوت إزاءها والانزواء عنها.

خطران يهددان السياسة

وهناك خطران يتهددان السياسة أيضاً: أحدهما ابتعاد السياسة عن مكارم الأخلاق وخواؤها من المعنويات والفضيلة مما يعني غلبة الأساليب الشيطانية على السياسة واستيلاء الأهواء النفسية للأفراد واستحواذ مصالح الطبقات المتجبرة والثرية في المجتمعات عليها وجرفها بهذا الإتجاه أو ذاك. وإذا ضربت هذه الآفة السياسة فحينها يعتري الخلل والمرض ميدان الحياة الاجتماعية للبشر.

والآفة الأخرى التي تصيب السياسة هي استيلاء ذوي النظرة الضيقة والصبيانين والضعفاء من الناس على السياسة وخروجها من الأيدي التي تتميز باقتدارها وسقوطها بأيدي تعوزها الكفاءة.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

سِمَاتِ الْحَاكِمِ

ما هو الحل يا ترى؟ إن السبيل الأمثل للحل يتمثل في وقوف من لا وجود لهاتين الأفتين في دينهم وسياستهم على رأس السياسة وإدارة شؤون المجتمعات؛ أي أن يتصدى لإدارة شؤون البشرية من يتميزون بتدينهم ومعنوياتهم وسمو فكرهم الديني، محصنين من الانحراف والخطل والالتقاط وإعوجاج الرؤية في الدين، بعيدين عن التحجر والجمود والعجز عن فهم الدين، وأن لا يجعلوا من الدين العوبة يقضون بها وطر حياتهم؛ أكفاء مدبرين شجعاناً على الصعيد السياسي؛ لا يناون بالسياسة عن المعنويات والأخلاق والفضيلة؛ فإذا ما أمسك أمثال هؤلاء بزمام الأمور في أي مجتمع إذ ذاك سيظل المجتمع في مأمن إزاء الكثير من الأخطار التي ربما يتعرض لها. فأين تكمن ذروة هذه المزايا؟ إنها حيث يقف الإنسان المعصوم من الخطأ والهنوات على رأس السلطة السياسية والدينية، وهو ما يعني الإمام.

الإمام المعصوم الحاكم الحقيقي

إن الإمام المعصوم إنسان رفيع؛ قلبه من الناحية الدينية يمثل مرآة مضيئة لأنوار الهداية الإلهية، وروحه تتصل بمنهل الوحي، خالصة هدايته؛ ومن ناحية الأخلاق الإنسانية فإن سيرته وأخلاقه ممزوجتان بالفضيلة، لا سبيل للأهواء النفسية إليه؛ لا تغلبه المعصية، ولا يغلب الشهوات والنزوات على نفسه؛ ولا يبعده الغضب والسخط عن صراط الله.

أما سياسياً، فله رؤية ناقبة بنحو يرقب بعينه الفاحصة أخفى التحركات وأدق الأحداث في حياة المجتمع، وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لا أكون كالضبع

تتألم على طول اللدم»^(١).

مقدام ذو قوة روحية ومعنوية في مواجهة عواصف الحياة والوقائع التي ليست على دينه، فيردد لأجلها «قلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»^(٢).

لقد كان أمير المؤمنين "عليه الصلاة والسلام" شجاعاً في مواجهته للأخطار بالمستوى الذي يصرح بعدم قدرة أي أحد على مواجهة الفتنة التي فقأ عينها -ومراده بذلك فتنة الخوارج أو فتنة الناكثين -^(٣)، فتلك المعنويات والتدين والأخلاق والفضائل من ناحية، وتلك الرؤية الثاقبة والشجاعة والتضحية والمشاعر الإنسانية المرهفة إلى جانب الصلابة والقوة المعنوية والروحية في ناحية أخرى؛ إنما منشؤها جميعاً العصمة؛ لأن الله سبحانه قد اجتباها لمنزلة العصمة ولا منفذ للمعصية والخطأ إلى عمله؛ فإذا ما وقف مثل هذا الإنسان على هرم المجتمع تحقق بذلك غاية ما تنشده الرسائل بأجمعها^(٤).

(١) نهج البلاغة: ١ / ٤١ خ ٦.

(٢) نهج البلاغة: ١ / ٦٩ خ ٢٧.

(٣) نهج البلاغة: ١ / ١٨٢ خ ٩٣.

(٤) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤٢٢هـ - مشهد المقدسة.

الحكومة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

خلاصة ما ورد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام بشأن ذلك البُعد المتعلق بالحكومة تتمثل في:

الفهم الصحيح للحكومة والهدف من تسلُّم المناصب فيها

إنَّ المنصب الحكومي - كما يراه أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) - ينبغي أن لا يتحول إلى وسيلة لنيل الدعة والاعتياش والتكسب الدنيوي، فهو ليس مهنة كسائر المهن؛ إنه تحمل للمسؤولية التي لا يسع العمل بها أن يكون وسيلة لأن يجني المرء المكاسب ويجمع الأموال ويؤمِّن مستلزمات حياته وحياة أسرته عن هذا الطريق، أو يعيش حياة السلامة.

إذن ما الهدف المتوخى من تسلُّم المناصب في النظام الإسلامي؟ إنه تطبيق العدالة وتوفير الحياة الآمنة للجماهير، والتمهيد لإقامة مجتمع إنساني تنفتح فيه القابليات الضرورية لسمو بني البشر وهدايتهم وصلاحهم؛ وإذا ما عرفنا أنَّ هذا الهدف هو الذي يعنيه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، إذ ذاك يتحقق المعنى المتوخى من كل تلك الكلمات الصادرة عنه عليه السلام.

لقد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن استعدادة لتحمل أحلك الظروف وأقساها على أن لا يلقي الله سبحانه وهو ظالم لأحد من العباد، يقول عليه السلام: «والله لئن أبيت على حُسنك السعدان مسهداً وأجز في الأغلال مصفداً أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم

القيامه ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام»^(١).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة يقول عليه السلام: «إن الله عزوجل فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعة الناس»^(٢).

أي لا يحق لذوي المناصب في النظام أن يقننوا أنفسهم مع الأعيان والنبلاء، ويقولوا مادام هؤلاء يتمتعون بمثل هذه الحياة والرفاهية فالأحرى بنا نحن المسؤولين في الجمهورية الإسلامية أو النظام الإسلامي أن نعيش مثلهم، ومادام الزعماء والوزراء في سائر الدول التي تحكمها نظم غير إلهية يحيون بهذا المستوى من الحياة أو يتمتعون بأسباب الدعة أو الامكانيات المادية فلا بد أن نجري جريهم.. كلا، فلا يحق لهم مقايسة معيشتهم إلى ما يعيشه الأعيان والنبلاء والتمكنون أو المنحرفون؛ إذن مع من يتحتم عليهم مقارنة حياتهم؟ «أن يقدرُوا أنفسهم بضعة الناس»؛ مع البسطاء من الناس، والتعبير بـ«بضعة الناس» لا يعني العيش مثلهم، فربما لا يستطيع المرء العيش بحيث يقتر على نفسه، بل مقارنة النفس ومقايستها إليهم، لا الأعيان والأشراف أو هذا الثري وذاك التاجر؛ فصاحب المنصب في النظام الإسلامي لا ينبغي له العيش كالأعيان والأشراف والتمكنين وأثرياء المجتمع أو كالمسؤولين في الدول التي لا يحكمها نظام إسلامي

إنها ثقافة خاطئة أن يمتلك من يصل إلى المسؤولية أو المنصب الحكومي داراً فارهة أو واسطة نقل من طراز حديث، أو يتنعم بإمكانيات معاشية خاصة، فذلك لا ينسجم مع التعاليم الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام التي لا تقتصر على ذلك العصر بل تمتد إلى جميع الأعصار، ولم يكن العوز وقتذاك يطال الناس بأجمعهم، بل إن الفتوحات درت على البلدان الإسلامية ثروات طائلة وكان هنالك من الأثرياء

(١) رسائل المرتضى: ٣ / ١٣٩.

(٢) نهج البلاغة: ٢ / ١٨٨ كلام ٢٠٩.

والتجار من عاشوا حياة مرفهة، وسواء كان ذلك عن طريق الحلال أو الحرام فلا شأن لنا بأفعالهم.

وفي زماننا هذا يأتي نداء أمير المؤمنين عليه السلام ليقول ينبغي أن لا تتسم معيشتكم بالدعة، وهذا ما يعنى به المسؤولون في النظام الإسلامي، إذ عليهم مقايسة أنفسهم مع ضعفاء الناس وليس مع الأغنياء.

يقول صلوات الله عليه في كتاب آخر بعثه للأشعث بن قيس: «وان عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة»؛ فالمسؤولية في النظام الإسلامي عبء يلقي على عاتق الإنسان يتعين عليه تحمله من أجل هدف أو نية خاصة. وهذا هو الفهم الصحيح للحكومة والمسؤولية الإسلامية.

على المسؤولين في النظام الإسلامي أن لا يتخذ سلوكهم وممارساتهم طابع البذخ والبهرجة، والأدهى من ذلك أن تتسم به حياتهم بحيث يتحول ذلك إلى ثقافة، وهذه المرحلة تفوق من حيث الخطورة المرحلة التي تسبقها أو لا تقل عنها على أقل تقدير؛ فلو فرضنا أن أحد كبار المسؤولين ومن ذوي المناصب العليا في الحكومة الإسلامية سلك سبيل البذخ في حياته من حيث البهرجة التي تطفئ على محل سكنه أو محل عمله، أو طبيعة الحياة العائلية، أو كيفية تزويج الأبناء - المهر والجهاز - وما شابه ذلك مما يعد خروجاً عن النهج الإسلامي، إذ ذاك يتحول هذا التصرف إلى ثقافة تلفت أنظار الآخرين نحوها فيتعلمون منه، حينها ترتفع معدلات المهور ويصعب الزواج فتتعقد الحياة، وهكذا تسري مردودات هذا التصرف في ثنايا المجتمع شيئاً فشيئاً، سواء على المدى البعيد أم القريب.

إن أهم ما يركز عليه أمير المؤمنين عليه السلام هو: على الحاكم أن لا يتخذ من الحكومة وسيلة للاعتياش وجني العوائد المالية وجمع الثروات، وعليه أن يعتبرها مسؤولية وعبئاً ملقى على عاتقه، وأن يصبّ جلّ اهتمامه على البلوغ بهذا العبء إلى الغاية

المرجوة.

النقطة المحورية لهذه المسؤولية تتمثل في مراعاة حقوق الناس والتزام العدالة والانصاف في القضايا الخاصة بهم، والسعي والجد لتلبية متطلباتهم؛ فالأصل بالنسبة للحاكم الإسلامي طموحات الناس ومتطلباتهم، وهذا هو الوجه الأول لمسألة حاكمية الشعب هو أنّ الشعب يبادر لانتخاب المسؤولين، أما الوجه الثاني فهو إذا ما وصل المسؤولون إلى مناصبهم فعليهم أن يركزوا همّهم في تلبية حوائج الناس والعمل من أجلهم، وهذا ما تفوح به كلمات أمير المؤمنين عليه السلام؛ فقد نقل عنه عليه السلام قوله لمالك الأشتر: «ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده... وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب»^(١).

وبالرغم من أنه عليه السلام يوجه خطابه لولاته - ومنهم مالك الأشتر، والأشعث بن قيس، وعثمان بن حنيف وغيرهم - فإن الخطاب يشمل أيضاً كافة المسؤولين ممن يمسكون ببعض الأعمال على مختلف المستويات.

الإخلاص لله عند ذوي المناصب الحكومية

إذا ما أراد الحاكمون وأصحاب المناصب في النظام الإسلامي الاضطلاع بهذه الواجبات فهم بحاجة إلى خصلة أخرى هي الاخلاص لله والعمل في سبيله وإدامة الاتصال به؛ فلا يقتصر ارتباط القائم على الأمور وصاحب المنصب في النظام الإسلامي على العلاقة مع الأمة، فإذا لم يوثق علاقته بالله تعالى تعثر العمل من أجل الناس وخدمتهم - وتلك هي مسؤولته الجوهرية التي ينبغي تعزيزها بالارتباط الوثيق مع الولاية - من هنا فإن أمير المؤمنين عليه السلام - كما ورد في نهج البلاغة - يضيف في كتابه لمالك الأستر «واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت»؛ أي لا توكل حالة الارتباط بالله والإجابة إليه والتضرع له إلى أوقات تعبك وكسلك، ثم يقول عليه السلام: «وإن كانت كلها لله»؛ أي وإن كانت جميع أعمالك لله حينما تكون مسؤولاً وذا منصب في الحكومة الإسلامية، والشرط في ذلك «إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعيّة»، ولكن في نفس الوقت دع لأعمالك التي هي من العبادات متّسعاً من الوقت للخلوة مع الله سبحانه.

هذه هي الصورة لذوي المناصب في النظام الإسلامي وفي قاموس أمير المؤمنين عليه السلام (١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ رمضان ١٤٢١هـ - طهران.

سمات المصداق الحقيقي للولاية

نقاء الأجواء المعنوية الإسلامية ناجم عن هذه الولاية الإلهية التي لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن ولاية الله في بعدها السياسي؛ فالحقيقة واحدة. ولهذا فالحكومة في الإسلام حكومة محبة وإيمان واتحاد، وتعني أيضاً تكاتف الشعب والحكومة، وتعني تلاحم شعب الحكومة مع بعضها الآخر، وانسجام طبقات الشعب مع بعضها الآخر. وهذه هي السمات التي تميّز المصداق الحقيقي للولاية في هذا العالم المتفرّق المشتت، وتبيّن الهوية الإسلامية لهذا النظام.

يجب أن تكون الصفة الغالبة على طبيعة الحياة في النظام الإسلامي وفي نظام الولاية هي التعاطف والتلاحم والتعاون. لهذا السبب إذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم نجد أنّ هذه المعاني تحتل حيزاً كبيراً منها، هناك آيات تحمل هذا المعنى صراحة، كآية الشريفة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾^(١) وغيرها. وهناك آيات أخرى وإن كانت لا تحمل هذا المعنى صراحة، إلا أنها تتضمن مفاده^(٢).

وكما تعلمون فإنّ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه تجسيد لتلاحم الزعيم السياسي والولي والإمام مع أفراد الشعب. ولا يمكن العثور في العالم كله وعلى مدى التاريخ على مثال أوضح من أمير المؤمنين عليه السلام، علي ولي الله، وهذا هو المعنى الحقيقي للولاية. وقد استطعنا منذ انبثاق نظام الجمهورية الإسلامية المقدّس أن نحقق طموحاتنا بفضل ما كان بين أبناء شعبنا من وحدة واتحاد^(٣).

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ سورة المائدة: ٢.

(٣) من كلمة ألقاها بمناسبة: عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجة ١٤١٨ هـ / طهران.

الحكومة في الإسلام حكومة ولائية

إنّ الحكومة في الإسلام حكومة ولائية، والولاية تعني الحكومة، ولكنها صيغت بتعبير لطيف يناسب شخصية الإنسان وشرفه. وبما أنّ أفراد المجتمع هم الأساس في الحساب السياسي الإسلامي، لهذا تدخل شخصيتهم وإرادتهم ومصالحهم وكل شأن من شؤونهم في حساباته، وعندها يكون للولاية الإلهية معناها من خلال مثل هذا الحضور الشعبي، أي أنّ حقيقة الولاية الإلهية تنعكس عبر العلاقة مع الشعب.

ومن هنا لم يكن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) - وهو مظهر الولاية في الإسلام والمصداق التام للولي - بعيداً ولو لحظة واحدة عن حالة الاتصال والإنسجام مع الناس، لا في الفترة التي جرّده فيها عن الحكم وعزلوا الناس عنه من حيث صفته كحاكم، أي في الفترة التي جرّده فيها عملياً من الحكومة والقيادة والزعامة التي يصطلح عليها في الإسلام بـ«الولاية» التي كانت حقاً له - لاشكّ أنّ الولاية المعنوية التي يعتقد الشيعة بوجودها في الإمامة، قائمة على كل حال ولا شأن لها بالولاية الظاهرية - ولا في غيرها من العهود الأخرى. في ذلك الوقت كان أمير المؤمنين عليه السلام كأحد أبناء الأمة وجزءاً منهم ولم يكن في معزل عنهم. وحينما استلم زمام الحكم كان حاكماً شعبياً بمعنى الكلمة.

هذه التجربة خاضتها حكومة الجمهورية الإسلامية على أعلى المستويات، وهي تستقي قوتها من هذا المعنى؛ فالمسؤولون والمتصدّون لزاماً الأمور في البلد يرتبطون مع سائر أبناء الشعب بصلات وثيقة بمعنى الكلمة، فهم مرتبطون بالناس عاطفياً، أي أنّ عواطف أبناء الشعب مع مسؤولي الحكومة ويكونون لهم المحبّة، وهم مرتبطون بالناس فكراً أيضاً، أي أنهم انعكاس لنمط تفكير الشعب

الإيراني المسلم. ومن الطبيعي أن أي شعب لا يخلو من الآراء الشاذة عقائدياً ودينيّاً وتتعارض مع ما تؤمن به أكثرية أبناء الشعب، إلا أن ما يتصف به الشعب الإيراني ينعكس عبر هؤلاء المسؤولين الذين يجسدون في الواقع المظهر الرسمي والتام لتفكير الشعب الإيراني.

وهذه نقطة بالغة الأهمية حيث يشعر أبناء الشعب خلال جميع المراحل بالإرتباط والتلاحم مع النظام السياسي للجمهورية الإسلامية، بمعنى أن هنالك صلة وثيقة لا انفصام لها. والنظام السياسي في الإسلام يستقي قدرته من هذه الحقيقة^(١).

النظام الإسلامي يلبي حاجة الشعوب

إن النظام الإسلامي هو الوحيد الذي بإمكانه اليوم بلا أدنى شك تلبية حاجات الشعوب المسلمة، سواء في بلدنا هذا أو في البلدان الإسلامية الأخرى، وأما البلدان غير الإسلامية فهذا بحث آخر نظراً لتفاوت الأوضاع. إنه لا مندوحة للبلدان الإسلامية التي تدين شعوبها بالإسلام وتؤمن بالقرآن سوى إقرار حكومة قائمة على أساس الدين لتلبية كافة متطلباتها؛ فالدين هو الذي يمنح الحرية، وهو الذي يضيء على الإنسان الشرف ويمنحه الهوية والشخصية، وهو الذي بوسعه إبراز الشخصيات التي تقود الشعوب والتي لا ترى لها واجباً إلا إدارة شؤون البلاد والعباد.

إنكم لو قارنتم الحكومات التي عملت في ظل نظام الجمهورية الإسلامية - والتي مازالت تقوم بأداء واجبها طوال السنوات الماضية وحتى الآن - بحكومات أغلب تلك البلدان التي نعرفها - ولا نقول كافة تلك البلدان لأننا لا نعرفها جميعاً

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجة الحرام ١٤١٧ هـ

على وجه الدقة - لوجدتم كيف تعمل الحكومات، وكيف يفكر أولئك الحكام، وما هي أهدافهم، وكيف تسير الأمور عندنا.
ومثل هذه النماذج المتألقة هي القادرة على تجاوز الأزمات وحل المشاكل^(١).

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة ختام أعمال الدورة الرابعة لمجلس الخبراء في : ٢٩ جمادى الأولى ١٤٢١ هـ - طهران .

أمير المؤمنين عليه السلام والحكم

قال الإمام الخميني قدس سره: «لقد تحقق حكم الإسلام الأصيل في مرحلتين تاريخيتين في صدر الإسلام: الأولى في زمن رسول الله ﷺ، والثانية عندما باشر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الحكم في الكوفة، حيث حكمت المبادئ في هاتين المرحلتين. وبتعبير آخر: قامت في هاتين المرحلتين، حكومة عادلة تدير المجتمع ولم يكن الحاكم فيها يخالف القانون، ولو بمئقال ذرة، فالحكم في هاتين المرحلتين كان حكم القانون، ولعله لم يذكر لنا التاريخ أي مرحلة أخرى كان فيها للقانون هذه الدرجة التي يتساوى فيها الحاكم مع أضعف الناس اجتماعياً أمام القانون وحكمه، هكذا كان في صدر الإسلام»^(١).

«إن حكومة الإمام علي عليه السلام والذي كان ولياً على كل شيء وفي خدمة الناس لم تكن بالشكل الذي يريد الحاكم فيه أن يحكم ويتسلط على الناس، وعلى الناس إطاعته مهما كان الأمر. ولم تكن الحكومة بشكل تظلم الناس وتتعدى على حقوقهم، ونتيجة لذلك يكره الناس هذه الحكومة»^(٢).

«فهذا الشخص، مع كل ما كان تحت سلطته، ورغم امتداد حكومته في أقطار واسعة من الأرض، علاوة على ما يملك من قوة بدنية وروحية نراه في تواضعه يفوق أفراد الطبقات الدنيا أو المتوسطة، فلم تؤثر هذه القدرة التي يملكها في نفسه أبداً، وذلك لأن الروح واسعة وكبيرة بدرجة تشمل كل العالم وتستوعبه، فالروح المجردة يعد العالم كله بالنسبة لها نقطة، فمثل هذه الشخصية والروح العالية لائقة للسياسة والحكم، والإسلام

(١) الكوثر، ج ٢، ص ٢١٥.

(٢) صحيفة النور، ج ٧، ص ٢٠١.

قد اختار مثل هذه الشخصية للقيادة»^(١).

«إنَّ ذلك الفقيه الذي ينصَّب لقيادة الأمة هو ذلك الفقيه الذي يريد كسر الديكتاتورية وتوجيه الجميع للانضواء تحت بیرق الإسلام وحكم القانون. فحكومة الإسلام حكومة القانون، أي القانون الإلهي، قانون القرآن والسنة، فالحكم تبع للقانون، أي أنَّ النبي ﷺ نفسه تابع للقانون، وكذا أمير المؤمنين عليه السلام نفسه تابع للقانون، ولا أحد يخالفه قيد أنملة ولا يستطيع ذلك»^(٢).

أمير المؤمنين عليه السلام خير أسوة للبشرية

ثمة طائفة من خصال أمير المؤمنين عليه السلام وهي خصاله المعنوية والملكوية التي نقصر حتى عن فهمها؛ فمقامه العلمي والمنزلة النورانية والقداسة التي كانت لديه؛ والحقائق التي كان يعمر بها كيانه وقلبه النوراني وتتدفق على لسانه المبارك حكماً، والقرب من الله وذكر الله الذي كان يكلل فعله وقوله وكافة أحواله، وأموراً من قبيل فطرته النورانية، لهي ممَّا يتعذَّر فهمها بالنسبة لنا، وإننا نؤمن بها ونفتخر بها لأننا سمعناها عن الصادق المصدَّق.

ولكن ثمة طائفة أخرى من خصوصيات أمير المؤمنين عليه السلام تصوغ منه أسوة وأنموذجاً بالنسبة للبشرية قاطبة تحتذي به على مرِّ التاريخ. وإنَّ الأسوة وسيلة ومعيار وميزان يقاس بها العمل الذي يروم الإنسان القيام به. إنَّ هذه الأسوة لا تختص بقوم معينين، وهي لا تقتصر على المسلمين أيضاً، وإنكم إذ تشاهدون مدى جاذبية أمير المؤمنين عليه السلام على مرِّ التاريخ إنما بسبب هذه الخصال. لذا فحتى من لم يرتضِ الإسلام أو لم يصدِّق بإمامته عليه السلام يشعر في داخله بالتعظيم

(١) صحيفة النور، ج ١٤، ص ١٥.

(٢) صحيفة النور، ج ١٣، ص ١٨٣.

لهذه الخصال وينطلق لسانه مثنياً عليها شاء أم أبى. لذلك فإن هذه الخصال أمثلة للجميع.

ونحن إذ نقيم الآن حكومة إسلامية ونُدعي الحكم العلوي فإننا نفوق سوانا إلحاحاً وحاجة لهذه الأسوة وتمسكاً بها. فإننا إذ رفعنا راية الولاية العلوية في هذه البقعة من العالم، علينا أن نرى ما هو خطابنا، وما الذي نروم تقديمه للإنسانية، وأي إطار نرسمه لإسعاد البشرية ونتمسك به وترفعه؟ وخيرُ أسوة هنا أمير المؤمنين عليه السلام؛ فلا يصح المناداة باسم أمير المؤمنين عليه السلام وإظهار المحبة والمودة باللسان فقط، ومخالفة فعله والدرس الذي علّمنا إياه في قوله وعمله على صعيد العمل.

إن مسؤولية كوادر الحكومة - أي أنا وأمثالي - أشد ثقلاً، لأننا نحن الذين يجب أن نعمل ونقتضي الدرب الذي سلكه. وربما يقول البعض أين أنتم من أمير المؤمنين عليه السلام فأين أنتم من قدرته وقوته وإيمانه وصبره وصلابته الروحية؟ وهذا الكلام - بطبيعة الحال - صائب؛ فليس منا من يرقى للمقارنة معه عليه السلام. ولا يصح القول هو الأفضل والأرفع ونحن الأدنى، فهذه المقارنة خاطئة من الأساس؛ إذ هو عليه السلام في علياء الذرى ونحن نقبع في أعماق الثرى نتخبط في دوامة حولنا.

إن المسافة بعيدة جداً، ولكن من الممكن اختيار المسار؛ فعلى أن نقرب من الهدف والغاية التي كان يستهدفها كلُّ حسب طاقته وبما يقتضيه زمانه، ولكن بذات الدرب وذات الهدف؛ وهذه القضية على قدر من الأهمية.

خصائص ومعالِم الأنموذج العلوي في الحكم

لعل من الحكومات التي جاءت إلى الحكم في العالم الإسلامي على مدى اثني عشر أو ثلاثة عشر قرناً مَنْ كانوا يعظّمون إسم رسول الله ﷺ ويعتبرون أنفسهم خلفاء له، وكانوا على استعداد لقتل من يقول لهم: لستم خلفاء رسول الله، لما كانوا يدعون من خلافة رسول الله ﷺ، بدءاً من خلفاء بني أمية ومروراً بخلفاء بني العباس الذين حكموا ما يقرب من خمسمائة إلى ستمائة عامٍ ومن ثمة الخلفاء الفاطميين في مصر وشمال أفريقيا وتلاههم خلفاء الدولة العثمانية الذين حكموا في آسيا الصغرى، أي تركيا الحالية حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث كانت عاصمة حكومتهم فيها، فيما كانت الدول العربية الحالية بأجمعها تقريباً تخضع لحكومتهم، وكان هؤلاء جميعاً يحملون إسم الخليفة الذي يعني خليفة النبي ﷺ أو البعض تجاوز بخطوة أكثر حيث كانوا يدعون أنهم خلفاء الله قائلين نحن خلفاء الله! نواب الله! كان هذا لقبهم، ولكن ما كان عملهم؟ كان عملهم على شاكلة الحكومات الملكية الظالمة التي سادت الدنيا قبلهم وعاصرتهم أيضاً في مناطق أخرى، وتلتهم مثل هذه الحكومات في أرجاء العالم حتى يومنا هذا.

كان الإسم خلافة رسول الله ﷺ، بيد أن النمط والعمل والسلوك كان شيئاً آخر. مَنْ هم هؤلاء، وما الإسم الذي يليق بهم؟ إنه إسم «مناقق»! أي مَنْ يدعي شيئاً، ويعد بشيء، ويرفع راية باسم شيء معين، لكنه في سلوكه وعمله ومنهجه لا يلتزم بذلك الشيء، فثمة أمر آخر وعمل آخر يتحكم بفعله وخطئه. هذا هو المناقق، فهل نُزَمع أن نكون كذلك بحيث نلوح براية الولاية العلوية والحكم العلوي والتبعية لأمير المؤمنين ﷺ لكننا نساوق حكومتنا مع الأنظمة التي

تتنافى تماماً مع خط علي وفكره ومنطقه؟! فمنها من يخالفه ١٠٠٪ وبعضها ٩٠٪ والبعض الآخر ٨٠٪ وترتكز في عملها على أساس آخر.

لذا يتعين علينا أكثر من الآخرين التمسك بالأنموذج ومعرفته وإتخاذه ملاكاً؛ فما هي معالم الأنموذج العلوي في الحكم؟ إن هذه المعالم يجب الإلتزام بها. كما يتعين على الجماهير مراقبتنا؛ فإذا ما وجدتنا نلتزم بمعالم الحكم العلوي - بما تسعه طاقتنا - فلتتقبل حينها أننا حكومة تسير في خط علي عليه السلام. أما إذا لمست منا عدم الإلتزام بتلك المعالم أو أننا نعمل بما يعاكسها - وليس الحديث هنا أننا نقل قدرة عن علي عليه السلام، وإنما عدم امتلاكنا الإرادة في اقتفاء خطه - إذ ذاك فلترفض خطابنا ومزاعمنا ولتقل إن هذه الحكومة ليست علوية، وليس هي من ولاية أمير المؤمنين في شيء. وهذا هو الملاك الذي لا بد أن يؤخذ بنظر الإعتبار، ولكن ما هي هذه المعالم يا ترى؟

لو أردنا إيضاح معالم حكومة أمير المؤمنين عليه السلام فربما يمكن الحديث عن عشر معالم مهمة، أشير إلى بعضها هنا:

١- الإصرار على إقامة دين الله

الأولى: التمسك التام بدين الله والإصرار على إقامته، فأياً حكومة لا يقوم أمرها على أساس إقامة الدين فليست حكومة علوية.

في خضم الحرب - وأولئك الذين كانوا وسط الميدان أثناء فترة الدفاع الذي استمر ثماني سنوات يعرفون ما أقول - ووسط ذلك المعترك، حيث كان كل مقاتل وجندي يصبّ جلّ اهتمامه على كيفية سنّه الهجوم أو الدفاع عن نفسه، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فسأله عن قضية تخص التوحيد قائلاً: ما المراد من كلمة

«أحد» في قوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾^(١)؟ وهذه ليست بقضية جوهرية، فهو لم يسأل عن وجود الله، وإنما سأل عن قضية ثانوية. فهممّ به المحيطون بأمر المؤمنين عليه السلام قائلين: أهو وقت سؤال؟ فقال عليه السلام: دعوني أجبه، فإنما نحن نقاتل لأجل هذا؛ أي أنّ قتال أمير المؤمنين عليه السلام وسياسته ومجاوبته وحرقة قلبه وكافة الخطوط الأساسية التي اختارها لحكومته كانت من أجل إقامة دين الله؛ وهذا أحد المعالم. ولو كان الأمر في النظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية التي تتخذ من الحكم العلوي عنواناً لها، أن لا يكون الهدف إقامة دين الله؛ عمّل الناس بدين الله أو لم يعملوا، آمنوا به أو لم يؤمنوا، أقيم الحق أو لم يُقم ونقول ما شأننا نحن، إذ ذاك لا تعدّ هذه الحكومة علوية؛ فإقامة دين الله هي أول المعالم، وهي أم سائر الخصوصيات في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وحكومته، ومنها تنبثق عدالته وتعود إليها حاكمية الأمة ومدارة الناس التي تميزت بها حياة أمير المؤمنين عليه السلام.

٢- العدالة المطلقة

الخصوصية الثانية والمعلم الثاني في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام هي العدالة المطلقة؛ أي أنه لم يؤثر مصلحته الشخصية وأية سياسة تمس شخصه على العدالة قط؛ «والله لا أطلب النصر بالجور»^(١).

فانظروا أيّ لوحة زاهرة هذه وأي بيرق سامٍ هذا؛ فلربما يقال لك إنك المنتصر في ميدان السياسة أو التنافس العلمي أو الانتخابات أو ساحة الحرب، ولكن ذلك منوط بأن تمارس الظلم؛ فأيهما تختار ياترى؟ إن أمير المؤمنين عليه السلام يرفض هذا النصر، ويقول لا ضير في أن أهزم، ولكن لا أظلم.

والمحور في كل ما سمعتموه حول أمير المؤمنين عليه السلام من كلام بشأن العدالة هو دعوته المطلقة للعدالة، العدالة للجميع وفي كافة الأمور؛ أي العدالة الإقتصادية، والسياسية والاجتماعية والأخلاقية.

وهذا معيار آخر لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام، فهو لا يطبق الظلم ولا يركن إليه ولو أهدرت مصالحه. ومن أفضح الظلم هو التمييز، سواء في تطبيق القوانين أو في تنفيذ الأحكام؛ فهذا مرفوض على الإطلاق من قبل أمير المؤمنين عليه السلام.

إرتكب أحد أتباعه مخالفة، وكان شديداً في حبه وماهرأ في الدعوة إليه، وكثيراً ما كان يمارس الدعوة الحقّة له عليه السلام، فأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليه الحدّ، وكان ذلك خلافاً لما يتوقعه، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا الذي أواليك وأدافع عنك. فردّ عليه عليه السلام: نعم، ولكن هذا حكم الله. والله هو الذي يتقبل منك موالاتك لي، ولك

(١) أمالي المفيد: ١٧٦، وتحف العقول: ١٨٥ بتفاوت.

جزيل الشكرا وهكذا أجرى الحد عليه. لكنه ردّ: ما دام الأمر كذلك، فإنني ذاهب إلى معاوية، فهو الذي يعرف قدري، فذهب.

٣- التقوى:

من الخصوصيات والمعالم الأخرى لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام هي التقوى؛ لاحظوا أنّ أياً منها يبرقاً وعلماً، فماذا تعني التقوى؟ إنها تعني تلك الشدة من المراقبة بحيث لا يحميد الإنسان عن جادة الحق في ممارساته الشخصية. وهذا ما تعنيه التقوى؛ أي أن يراقب المرء نفسه مراقبة تامة في تداوله للأموال، في التلاعب بكرامة الناس، في الاختيار والرفض، في التحدث حيث يحتاط أن لا يقول ما يخالف الحق. تصفحوا نهج البلاغة فهو حافل بهذه المقولات. ومما يؤسف له الآن أنّ البعض درجوا على ارتكاب ما حلا لهم تحت طائلة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان كذلك ويفعل هكذا، ما هو دليلهم ومن أين لهم هذا؟ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو ذاك في نهج البلاغة، وهو ذاك في الروايات الواردة عنه وعن أولاده الطاهرين، فأين هذه الأمور التي يدّعيها البعض قائلين إنّ علياً عليه السلام كان كذلك؟ كلا، فعلي عليه السلام هو ذاك في نهج البلاغة؛ طالعوا نهج البلاغة من أوله إلى آخره، فهو حافل بالحث على التقوى والدعوة إليها، وما لم يكن الإنسان تقياً فلا قدرة له على إقامة دين الله. فأسوأ المرض تلوث الباطن، فتلوث قلب الإنسان بالمعصية لا يدع للإنسان فرصة إدراك الحقيقة، ناهيك عن أن يتحرك صوبها.

٤- الإنبثاق عن إرادة الأمة:

من حكومة أمير المؤمنين عليه السلام الإنبثاق عن إرادة الأمة، إذ ليس من منطلق أمير المؤمنين عليه السلام «التغلب» أي التحكم بالناس عن طريق الغلبة والقهر، فبالرغم من علمه بأنه على حق تنحى جانباً حتى جاءه الناس مصرّين معاهدين، ولعلمهم بكوا

ملتجئين إياه أن يمسك بزمام أمورهم، حينها نهض الإمام وأمسك بزمام أمور الأمة، وهو القائل: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لألقيت حبلاً على غاربها...»^(١)، فلا يستهوي أمير المؤمنين عليه السلام الإمساك بالسلطة وممارسة قدرته، فحب السلطة إنما يستهوي أولئك الذين يريدون إرضاء رغباتهم وأهوائهم النفسية، وليس أمير المؤمنين عليه السلام الذي يسعى لأداء التكليف الشرعي وإقامة الحق. ولقد استودعته الأمة السلطة فاستلمها وحافظ عليها بكل اقتدار، ولم يحاب أولئك الذين انبروا لمناهضة سلطته الإسلامية ومناوأة حكومته الإسلامية؛ فليكونوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن الوجهاء وذوي السابقة بالجهاد في سبيل الإسلام، فماداموا قد انبروا لمناهضة الحق ومناوآته فلا بد من التصدي لهم بكل اقتدار. وتصدي عليه السلام لهم! وعلى هذا المنوال كانت معاركه الثلاث. وهذه ميزة الحكومة الصالحة.

(١) علل الشرائع: ١ / ١٥١، معاني الأخبار: ٣٦٢.

وجوب الإلتزام بالحكومة العلوية

إننا اليوم، إن كنا جمهورية إسلامية وحكومة علوية، فعلينا الإلتزام بهذه المعالم. وعليكم أنتم أيها الشعب أن تطالبونا بها؛ أن تطالبوا بإقامة دين الله، ولئن عطفنا أنظارنا إلى الشرق والغرب لننظر ما يطرحون من مفاهيم حكومية وسياسية وما يصرحون به ونحاول أقلمة أنفسنا معهم فإنما ذلك نظير خلافة العثمانيين وبني أمية وبني العباس، فلقد كانوا يسمّون خلفاء رسول الله ويحملون لقب الحاكم الإسلامي، بيد أن ديدنهم وممارستهم كانت كحكومة كسروية وقيصرية وحكومة الملوك، إذ فعلوا ما كان يفعل أولئك.

أصبح أن نسمى حكومة علوية وإسلامية ونحن نتجه نحو رأسمالية الغرب وصوب الحكومة التي يديرها الرأسماليون وأرباب الشركات وأبشع الظلمة والجائرين في العالم؟ إنه النفاق بعينه إذ نرفع راية تحمل عنواناً معيناً ثم نتوجه في ظلها صوب أمور أخرى يتعين على كافة كوادر الحكومة في النظام الإسلامي الآن من أعلاهم إلى أدناهم، بدءاً من القائد - الذي هو خادم الجميع - ومروراً برئيس الجمهورية والوزراء والمسؤولين القضائيين ونواب الشعب في مجلس الشورى وحتى سائر المسؤولين في أكناف البلاد، أن تنصبّ همتهم على إقامة دين الله وإحياء العدالة وإزالة التمييز في تطبيق القوانين، وأن يصبح جلّ اهتمامهم بالطبقة المحرومة والمستضعفة والفقيرة كما كان أمير المؤمنين عليه السلام، وليتخذوا من التقوى شعاراً شخصياً وعماماً لهم؛ فهذه هي مسؤوليتنا، سواء ارتضت الدنيا هذا النمط من الحكم أم لم ترتضيه، فذلك ممّا لا يعدّ ملاكاً بالنسبة لنا، فهذا هو المسار والإتجاه.

وبطبيعة الحال فإنّ الزمان يزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، والعلاقات الإنسانية تزداد صعوبة وتعقيداً يوماً فيوماً، وتطبيق العدالة وإقامة الحق ليس بالأمر الهين، بيد أنّ الهدف هو هذا، وهو أن تُسعد الجماهير وتوفر السعادة لأبناء الشعب ويُقضى على الفقر والتمييز ويُستأصل الفساد من المجتمع، وإلا فإنّ حكومات الجور في العالم تتشدد بحقوق الإنسان لكنها تقترب أبشع الممارسات ضد حقوق الإنسان.

إنهم يهاجمون العراق بذريعة استخدامه للسلح الكيماوي، في حين أنهم هم الذين زوّدوه به، وهم الذين شجعوه! لقد أطبقوا عيونهم حينما استخدم السلح الكيماوي وقتذاك! أهؤلاء عدول؟! أهؤلاء دعاة حقوق الإنسان؟! أهؤلاء يفهمون عن الإنسانية شيئاً؟! إنهم يريدون إحراق الدنيا تحت شعار مكافحة الإرهاب. فها هي أبشع صنوف الإرهاب وأكثرها مأساوية ترتكب داخل الأراضي الفلسطينية المقدسة دون أن يبدي هؤلاء انزعاجهم، بل يشجعونها ويؤيدونها ويرون ضرورتها!! أهذه حكومات بحيث يقلدها الإنسان؟! إنّ هذه وقائع تحصل الآن تحت شعار الديمقراطية والليبرالية وحقوق الإنسان والحرية، ونحن إذا ما احتدنا بهؤلاء وتشبنا بذات المفاهيم فماذا سنصنع حينها؟ سنرتكب الظلم مثلهم ونتشدد باسم العدالة! فهل يعني ذلك شيئاً سوى النفاق؟! إنّ البشرية تنّ اليوم من تمييز فظيع وتتلقى من ظلم هائل يُمارسه هؤلاء الجبابرة وهم يلوّحون بلواء حقوق الإنسان! إنّه نفاق محض. أعلينا أن نقلد هؤلاء؟! أيجب الانحناء أمام هؤلاء وتلاقف مفاهيمهم وإحلالها بدلاً عن المفاهيم العلوية والإسلامية؟! كلا، فهذه حماقة.

المنهج السليم في الحكومة

إنّ طريق الصواب لمن يشايح أمير المؤمنين عليه السلام هو أن يضع نصب عينيه معالم الحكومة العلوية بالمقدار الذي يقوى ويقدر عليه، ويلتزم بما يستدعيه الوضع والظروف الدولية - فلعصر التصنيع والصناعات المعقدة والأساليب التقنية والخارقة في تطورها متطلباتها - كي لا ينحرف مساره قيد أنملة، حينها يغدو الإنسان متسامياً، والحاكم علوياً، والمجتمع مقتدراً صلباً، ينطق أبناؤه بالصدق ويسمعون من مسؤوليهم الصدق، فيعملون بما يعدون به وما يصرحون به وما يرفعونه كلواء، ولا يكونون ممّن تقصدهم الآية ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) وهذا هو المنهج السليم، وهو ممكنٌ ببركة أمير المؤمنين عليه السلام.

إنني أدعي أننا استطعنا - وبمستوى الطاقة المعقولة لضعفاء الناس من أمثالنا، وبالرغم من العداة العالمي لنا - أن نختطّ هذا الدرب ونقدّم هذه المعالم أمام الدنيا؛ والسبب في الجاذبية التي يتمتع بها الإسم المبارك للإمام الخميني (رضوان الله عليه) واسم الجمهورية الإسلامية في العالم اليوم هو أننا استطعنا تجسيد هذه المعالم في مسيرة الحكومة الإسلامية. وبطبيعة الحال فإنّ هناك من يضايق ويناوي ويؤذي، غير أنّ السبيل الوحيد لمواجهة هذه المضايقات والإيذاء والعراقيل هو الإستقامة والثبات، ولقد صمد الشعب الإيراني المسلم والحمد لله ولا سيما شبابنا ذوي العزيمة والإيمان، ونحن صامدون كذلك بفضل الله، ولن نستطيع الأعاصير الدولية والدعايات المضللة من أن تجعلنا نركع لمآربهم. إنهم يريدون أن يستسلم نظامنا لمآربهم كالأنظمة العميلة ويمهد الطريق لممارسة

(١) سورة الصف: ١.

السلطة الدكتاتورية العالمية من قبل أمريكا ونظائرها.

نبتهل إلى الله تعالى أن يمنّ على هذا الشعب العزيز بمزيد الاقتراب من الأهداف العلوية ببركة الروح الطاهرة لأمير المؤمنين عليه السلام وحقه ومنزلته الرفيعة، وعلى حكومتنا الاجتهاد للاقتراب من الحكومة العلوية، ويجعلكم والشعب الإيراني كافة - إن شاء الله - ممن تشملهم أدعية بقية الله أرواحنا فداه ويجعلنا من جنوده في حضوره وغيبته^(١).

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة ذكرى مولد أمير المؤمنين عليه السلام في: ١٣ رجب ١٤٢٣ هـ - طهران .

الإحتجاب عن الرعية في غاية الخطورة

الانقطاع عن الناس أو كما يعبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام الإحتجاب عن الرعية في غاية الخطورة، ووصفه (ع) في كتابه لمالك الأشر بـ«قلة علم بالأمور»^(١)؛ فالإنسان تضعف لديه المعرفة بالأشياء نتيجة إحتجابه عن الناس^(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية»^(٣).

هذه من علامات الحاكمية^(٤).

أي لا بدّ أن تختار العمل الذي يكون فيه رضى الناس، و(الرعية) تطلق على الناس؛ أي الإنسان الذي لا بدّ أن ترعاه.

يتصور البعض أنّ الرعية هي أمرٌ قبيحٌ، مع أنها ليس كذلك، وإنما تعني الشخص الذي عليك أن ترعاه؛ وهم عموم الناس.

إنّ مفردة (الرعية) تطلق غالباً على السواد الأعظم من الناس، وليس على الخواص أو مجموعة بالذات، وقد صبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام والقرآن الكريم بالغ الاهتمام على هذه الطبقة من الناس، التي يطلق عليها عوام الناس، وهذا هو الأمر الذي يعترض عليه الخواص من أن يناقش في المسائل السياسية والثقافية، وهو ما يسمى اليوم بـ(الميل الى عامة الشعب)

(١) شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٢٩٨.

(٢) من كلمة ألقاها في ٥ ذي الحجة ١٤٢١هـ - طهران.

(٣) نهج البلاغة: ٣ / ٨٥ كتاب ٥٣.

(٤) من كلمة ألقاها في ٥ رمضان ١٤٢١هـ - طهران.

والذي يطلق عليه مصطلح (الوليسم)، ولم يكن يدعي هذا الأمر إلا جماعة أو حزب أو تشكيل أو مجموعة خاصة تنتخب وتكون هي مركزاً للقرارات والتنفيذ، وبالْحَقِيقَة مركزاً للمصالح^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٧/٧/١٣٨٤ هـ من المواقف ١٤ رمضان المبارك ١٤٢٦ هـ الموافق ١٠/٩/٢٠٠٥ م طهران.

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم

قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ (١).

مما يستحيل نسيانه بخصوص أمير المؤمنين عليه السلام تلك المعالم العملية والسلوكية التي تجلت خلال البرهة الوجيزة من حكمه عليه السلام على امتداد البلاد الإسلامية الشاسعة وخلدتها التاريخ.

إن للمراتب المعنوية والشمائل الأخلاقية والشخصية التي تحلّى بها هذا الرجل العظيم شأنها؛ فلو راجعتم المصادر ستجدون فصلاً مسهباً تتعرض لبيان ملامح أمير المؤمنين عليه السلام، فعلمه وتقواه وشجاعته وسابقته في الإسلام وزهده وما شابه ذلك، كلها مما يفوق مستوى الحصر المتعارف ومن العظمة ما يثير الدهشة، وكل منها كالشمس الساطعة في بريقها، بيد أن ما أراه يسمو عليها جميعاً هو سيرة هذا الحكيم في الحكم التي تعد موضع امتحان جوهرى، حيث تصبح السلطة بيد أمير المؤمنين عليه السلام وهي سلطة تمتد على بقعة شاسعة في البلاد؛ فلتكن هذه السيرة الفريدة من نوعها والتي تثير الإعجاب قدوة لنا؛ وكل المطلعين على سيرته عليه السلام في الحكم إنما يتحسرون أسفاً على قصر مدة حكمه، لأن هذا النهج لو قدر له الاستمرار سنوات عديدة فلربما تغير مسار التاريخ العالمي، ولو كتب لهذا النموذج الدوام وأصبح في متناول البشرية سنوات مديدة فلربما انعطف مصيرها ولم تبرز إلى الوجود هذه القوى القائمة على الفساد والثروة والشهوة والغطرسة والإجحاف

والتي شهدتها التاريخ وجرت البشرية نحو الظلمات وغياهاها.

وفي الوقت الحاضر فإن هذا النموذج مائل أمامنا وما يشغل بالي ويستحوذ على اهتمامي أكثر من غيره هو ضرورة اقتربنا نحن في نظام الجمهورية الإسلامية من هذا النموذج، ولو تحقق ذلك فسيتنعم شعبنا الإيراني ويتبعه العالم الإسلامي بأسره والبشرية قاطبة بحكومتنا، ويجب أن تتركز كل مساعينا وجهودنا على أن نقرب من هذه النماذج.

إن حكومة أمير المؤمنين عليه السلام بمثابة الأسوة على صعيد إقامة العدل والدفاع عن المظلوم ومقارعة الظالم وملازمة الحق في جميع الأحوال، ولا بد من الاحتذاء بها؛ وهذا مما لا يبلى، فبوسعه أن يغدو مقتدى في ظل جميع الظروف التي تمر بها الدنيا علمياً واجتماعياً لتحقيق السعادة لبني الإنسان، ونحن لا نريد تقليد ذات النهج الإداري لتلك الحقبة وندعي أنه مما يخضع للتطور الزمني ونقول باستمرار ولادة المناهج الحديثة يوماً بعد يوم، بل إننا نصبو لاقتفاء أثر المسار الذي اختطته تلك الحكومة والذي حاز الخلود إلى الأبد؛ فالدفاع عن المظلوم صفحة زاهرة على الدوام؛ وعدم مسالمة الظالم، ورفض الارتشاء من المتجبر الثري، والثبات على الحقيقة، كلها من الأمور التي لا ينتابها القدم في الدنيا أبداً؛ ولها شأنها تحت ظل مختلف الأوضاع والظروف، وعلينا الاقتداء بها لما تمثله من أصول، وإن ما نطلق عليه الحكم الأصولي إنما يعني الاحتذاء بمثل هذه القيم الخالدة التي لا تبلى والثبات عليها.

إن أشد ما يثير حفيظة الطغاة والجبابة في العالم هو الثبات؛ وإنهم ليسو وهم ما تقدمه الحكومة الإسلامية في إيران من تأييد للشعب المظلوم في فلسطين أو أفغانستان أو عدم مهادنتها لدولة مستكبرة معينة في العالم؛ وهذا هو السبب الذي يكمن وراء ما ترونه من تناقل أيدي وأبواق أعداء هذا الشعب للأصولية كاسم فييح

فهذه الأصول هي التي تلحق الضرر بعتاة الدنيا وجبايرتها فينا وثرنها، وهي ذات الأمور التي حورب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بسببها في حينه، ونحن كحكومة يجب أن تنصبَّ جهودنا في هذا الاتجاه.

رب سائل يسأل: ما الداعي لأن تطرحوا هذه القضايا أمام الجماهير؟ اصدروا التعليمات الكفيلة بأن يتطبع مسؤولو الدولة على مثل هذه السيرة، أو قدموا النصائح لهم.

إنّ هذه الأمور بأجمعها أو أغلبها لا تنأتى عبر التعليمات والأوامر، وإنما تتحقق عبر الإيمان والقناعة والاعتماد بالحقيقة وعبر عزيمة وإرادة صلبة مصدرها الإيمان. وبطبيعة الحال فإننا نعزز تلك الحالات التي تتوقف على التعليمات بما تحتاجه ونصدر إيعازتنا للمسؤولين بخصوص القضايا التي تتوقف على الأوامر، بيد أنّ الإيعازات والتعليمات لا تعد مفتاح حل في الأمور جميعاً؛ كما أننا نقدم النصيحة للمسؤولين غير أنّ النصح بدوره ليس بكاف أيضاً.. فهذه الحقائق لا بدّ أن تتبلور وسط المجتمع كمبدأ عرفي وتغدو من مطالبه؛ فعلى الجماهير في ظل النظام الإسلامي أن تطالب المسؤولين بالتصدي للظلم والظالم والمفسد، ويجب أن تتحول مقارعة الظلم وعدم مساومة الظالم ورفض الاستسلام أمام العنجهية والمحافظة على الإنسان وإنسانيته والسعي لإحقاق الحق بكل صورته وأشكاله وميادينه إلى ملاك في قبولهم للحاكم أو المسؤول الرفيع المستوى في النظام.

نماذج من سيرة أمير المؤمنين في الحكم

وتأسيساً على هذا فإنني أطرح هذه الأمور أمام الملاء العام مثلما خاطب أمير المؤمنين عليه السلام الأمة بمثل هذه القضايا؛ فكتبه عليه السلام بالرغم من أنها كانت موجهة إلى أشخاص معينين بيد أن الجميع كانوا يطلعون عليها؛ وكذا الخطب التي كان عليه السلام يدلي بها بمرأى من أنظار الأمة؛ واليك نماذج من ذلك:

سيرة علي في بيت المال

في مستهل حكومته ساوى أمير المؤمنين عليه السلام في تقسيم بيت المال من الناس، المؤمنين عليه السلام على تفضيل البعض لسابقتهم في الإسلام أو انتمائهم للمهاجرين أو الأنصار أو... على من سواهم، فكان يجري تقسيم ما يجبي إلى بيت المال من غنائم وزكوات على الأشخاص فرادى، وهكذا جرت العادة في المجال المالي يوم ذاك ولم تكن على ما عليه المؤسسات الحكومية في عالم اليوم، وكان دأبهم يومئذ تفضيل البعض في العطاء، فجاء عليه السلام وألغى ما كان سائداً، إذ قال من كان متديناً وأكثر إيماناً فأجره على الله، ومن كان ذا قوة ويسعى في حياته لكسب المال فله ما كسب، أما بيت المال فإنني أقسمه بالسوية. فجاءه البعض مشفقاً محذراً من أن نتيجة ذلك ستكون الإخفاق وتدفع بالبعض إلى الوقوف بوجهك! فرد عليه السلام: "أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟ والله أطور به ما سمر سمير وما أم نجم في السماء نجماً"^(١)، فأمر المؤمنين عليه السلام يرفض كسب التأييد على حساب الظلم والجور

(١) نهج البلاغة: ٢ / ٧ كلام ١٢٦ .

وفي موضع آخر يقول في كتابه المعروف إلى عثمان بن حنيف: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور عمله، ألا وإن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه» (١).

وهنا يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى ملبسه ومأكله اللذين كان يشابه بهما أفقر الناس يومها، ويقول أنا إمامكم أعيش هكذا حياة. ثم يقول لابن حنيف: «ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد؛ وذلك ما يخاطبنا به أمير المؤمنين عليه السلام اليوم: تجنبوا المخالفات والذنوب وما كان غير مشروع، واجتهدوا للاقتراب بأنفسكم ممّا وسعكم الوصول إليه.

مرفوض منا أن نختار مساراً يعاكس الإتجاه الذي سلكه أمير المؤمنين عليه السلام؛ فلقد كان عليه السلام ينحو باتجاه التقدير على نفسه، أما المسؤول الرفيع المستوى في دولتنا فيجعل هدفه من تقبل المسؤولية والتكليف عمارة دنياه! وهذا أمر مرفوض وغير ممكن، ولقد سبق القول أننا نرفض لمسؤول كبير في نظام الجمهورية الإسلامية أن يعتبر مسؤوليته كسباً شأنه في ذلك كأي كاسب، فالمسؤوليات العليا في نظام الجمهورية الإسلامية ليست كسباً ولا ثروة يسعى المرء وراءها لتدبير حياته، ولا يحق للمسؤول في نظام الجمهورية الإسلامية النظر إلى الأعيان والأشراف والأثرياء فيقرن حياته إلى حياتهم، ولا يحق له المقارنة بينه وبين نظائره وأقرانه في الحكومات الطاغوتية. أجل، فالوزير أو المدير أو الرئيس في الأنظمة الطاغوتية يتمتعون بضروب خاصة من الحياة، ولكن أن تأتي وتقرن أنفسنا بهم على أننا وزراء ومدراء فهذا مرفوض! فالوضع في ظل النظام الإسلامي ليس كذلك؛ إذ أن المسؤولية في النظام الإسلامي ليست طعمة، بل هي تكليف وخدمة وواجب يطوق عنق المرء، وهذا ما يعلمنا إياه أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي أحد المواضع يخاطب ابن عباس قائلاً: «فلا يكن حظك في ولايتك مالا تستفيده ولا غيظاً تشتفيه»؛ أي لا يكن ما تجنيه من ولايتك التي بعثناك إليها مالا أو نقمة تفرغها على واحد من بني البشر، كأن تستغل السلطة ضد فرد أو فئة أو طبقة نحن على خلاف معها، فذلك مما لا يجوز لك.

ثم يقول عليه السلام: «ولكن إمانة باطل وإحياء حق»^(١)، أي إن نصيبك من هذه الحكومة أن تميت باطلاً أو تقيم حقاً.

وجاء أحدهم عند أمير المؤمنين عليه السلام يطلب مالا، فقال له: «إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسياقهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أقوامهم»^(٢).

هذا هو منطق أمير المؤمنين عليه السلام في تعامله مع مثل هذه الأمور؛ فلقد كان تطبيق العدالة والدفاع عن المظلوم والشدة مع الظالم - أي كان الظالم وأياً كان المظلوم - مهم بالنسبة لأمر المؤمنين عليه السلام^(٣).

(١) البحار: ٤٠ / ٣٢٨ ح ١٠.

(٢) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٦ كلام ٢٣٢.

(٣) من كلمة القامح في ٢١ رمضان ١٤٢٢ هـ - طهران.

نموذج من سيرة علي في المال

روي أنه عندما توجه الرسول الأعظم ﷺ إلى مكة في العام الثامن للهجرة في حجه الأخير - حجة الوداع - فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان على رأس بعثة في اليمن لتعليم أهله الدين وجمع أموال الزكاة، فكان من بينها عدد من البردات اليمينية، وهو نوع من الألبسة اليمينية الممتازة والمفضلة يومذاك. ولم يكن لدى أمير المؤمنين عليه السلام الوقت الكافي ليتحرك مع هذه القافلة، فوضع عليها أحد الأشخاص وأمره بالمجيء بهذا المتاع، وأسرع هو للإلتحاق برسول الله ﷺ ليكون معه في أداء مناسك الحج. فلما وصلت القافلة إلى مكة ذهب أمير المؤمنين ليستطلع أمرها، فاكتشف عدم وجود تلك الألبسة اليمينية وأنهم قسموها فيما بينهم في غيابه، فارتدى كل واحد منهم بردة له! فقال عليه السلام: ليس من الجائز تقسيمها قبل وصولها إلى رسول الله ﷺ. - ويتعبير آخر وصولها إلى بيت المال أو الخزانة كما هو الحال في زماننا هذا - وإن هذا خلاف الشرع والدين! فأمرهم بخلعها، ومن لم يشأ تسليمها أخذها منه بالقوة. وبالطبع فإن المرء سيشعر بالضيق إذا جرد من شيء ما إلا إذا كان شديد الإيمان؛ فذهب بعضهم إلى رسول الله ﷺ واشتكوا إليه أمير المؤمنين عليه السلام! فسألهم ماذا حدث، ولماذا هذه الشكوى؟ فأجابوا لقد جردنا أمير المؤمنين عليه السلام من تلك الملابس. فقال لهم رسول الله ﷺ: لا تلموا علياً على ذلك «إنه خشن في ذات الله» (١) (٢).

(١) الإرشاد للمفيد: ١ / ١٧٣، والبحار: ٢٢ / ٣٨٥.

(٢) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ - طهران.

مكافحة الفساد الاقتصادي من أولويات سياسة أمير المؤمنين

إنّ مكافحة الفساد الاقتصادي والانحدار نحو الفوضى في الشؤون المالية وما يخص بيت المال كانت من الأولويات في سياسة أمير المؤمنين عليه السلام، ونحن في نظام الجمهورية الإسلامية حري بنا أن نفتخر حيث نواصل هذا الطريق إقتداءً بسيرته .

يقول لنا البعض: إنكم إذ تنادون بمكافحة الفساد الاقتصادي فهذا يعني توجيه الاتهام لمسؤولي النظام وكوادره المتفانين. كلا، فهذا خطأ؛ فلو استشرى الفساد في مختلف الأجهزة فلا يصلح ذلك لأن يسمى مكافحة، ولن يكون هنالك فكرة للمكافحة التي إنما تأتي لمواجهة تلك الظاهرة الطارئة قسراً على النظام، والدليل على سلامة النظام هو عندما تنطلق عملية مكافحة الفساد الاقتصادي يلقي المسؤولون من الطراز الأول ومن الدرجة الوسطى في النظام بثقلهم في الميدان بكل اندفاع وشغف حقيقيين، وهذا ما يعني أنّ النظام يواصل مسيرته العامة الأصولية مكللة بالصلاح والسؤدد بفضل الله سبحانه وببركة اسم أمير المؤمنين عليه السلام.

إنّ أيّ نهر صافٍ وطهور ربما تصب فيه بعض السواقي الآسنة من هنا وهناك، ونحن نريد التصدي لهذه الحالة، وإن كبار المسؤولين في البنية الأساسية للنظام - شأنهم شأن أبناء الشعب - تسرّهم مكافحة الفساد؛ بيد أن أعداء هذا الشعب وأولئك الذين لا يرغبون في أن نشن حملة المكافحة هذه، كي يستشري الفساد في المجتمع يفسّرون مكافحة الفساد على أنّ الفساد قد عمّ المجتمع اكلاً، فنحن في نظام الجمهورية الإسلامية إنما نكافح الآن ظواهر تعد عرفاً دارجاً في الكثير من الأنظمة السائدة في العالم حيث تجذر الفساد فيها.

إنَّ مكافحة الفساد تحرك وفعل علويّ، وهي بحاجة إلى حزم علويّ، ويجب على المتصدين لها ممارسة هذا الحزم وسيمارسونه مستلهمين ذلك من أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام).

لقد بذلت الجهود لتطوير الحال المعاشي للطبقة المحرومة في المجتمع، وذلك ما يمثل إحدى الخطوات الأساسية للسياسة العلوية، ومسؤولونا ينجزون أعمالاً جمّة، غير أنهم لا يروّجون لها عبر وسائل الإعلام، وحسناً يصنعون؛ فنحن نرى عدم ضرورة الترويج للوعود وينبغي عدم تهويل مصطلح "سوف نقوم" وتضخيمه (١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجة ١٤٢٢هـ - مشهد المقدسة.

دفاع علي عليه السلام عن المظلوم

لم يجعل أمير المؤمنين من الإسلام شرطاً للدفاع عن المظلوم؛ فأمر المؤمنين المتمسك بالإسلام، المؤمن من الطراز الأول، أمير الفتوحات الإسلامية، لم يضع الإسلام شرطاً في دفاعه عن المظلوم؛ ففي واقعة "الأنبار" - وهي إحدى مدن العراق - حيث أغارت مجموعة من أتباع حكومة الشام على المدينة وقتلوا واليها المنصوب من قبل أمير المؤمنين عليه السلام وحملوا على الناس وداهموا البيوت وقتلوا عدداً من الناس ثم قفلوا راجعين، خطب أمير المؤمنين عليه السلام تلك الخطبة التي تعد من الخطب العواصف التي وردت في نهج البلاغة، وهي خطبة الجهاد، حيث يقول عليه السلام: «إن الجهاد باب من أبواب الجنة»^(١)، قاصداً فيها حث الناس على التحرك لمواجهة هذا الظلم الشنيع، فيقول: "ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة".

فلا فرق لدى أمير المؤمنين عليه السلام من أن تكون المرأة المعتدى عليها من أهل الكتاب - يهودية أم مسيحية أم مجوسية - أو مسلمة، فهو عليه السلام يذكرهن بلسان حال واحد، "فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعائها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام!".

ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فلو أن امرأة مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً!»

وفي كتابه المشهور لمالك الاشر حيث يحدد له فيه طبيعة التعامل مع الناس

وأن لا يكون سبباً ضارياً، يردف كلامه قائلاً: «فإنهم صنفاً: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(١).

وبناءً على هذا؛ فإن الإسلام ليس منوطاً بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام في دفاعه عن المظلوم وإحقاق حقوق الإنسان، فالمسلم وغير المسلم كلاهما يتمتع بهذا الحق.

انظروا أي منطق رفيع هذا وأي لواء خفاق رفعه أمير المؤمنين عليه السلام على مرّ التاريخ! وهناك الآن نفر يهتفون باسم حقوق الإنسان في العالم زوراً ورياءً وهم لا يراعون للإنسان حقوقاً أبداً حتى داخل بلدانهم ناهيك عن سائر أصقاع الدنيا، فحقوق الإنسان بمعناها الحقيقي تلك التي صرح بها أمير المؤمنين عليه السلام وعمل بها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إننا مكلفون باقتفاء سيرة أمير المؤمنين

إننا اليوم مكلفون أن نقتفي سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، وإذا ما رفع شعار مكافحة الفساد المالي والاقتصادي فعلى كل موالٍ لأمير المؤمنين عليه السلام التحرك خلف هذا الشعار؛ وعلى كل داعية للصالح والإصلاح بالمعنى الحقيقي للكلمة التحرك صوب هذه المهمة؛ وعلى الأجهزة المختصة - سواء السلطة القضائية أو التنفيذية أو التشريعية - أن تعتبر نفسها مكلفة بتحقيق هذا الشعار ولا تدعه يراوح على مستوى شعار فارغ إلا من بعده اللفظي؛ فمكافحة الفساد من المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الحكومة والنظام الإسلامي، وهذا هو نهج أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يكن عليه السلام يحابي الناس حتى أولئك الذين كانوا يطمعون به، فقد كافح الفساد حيثما وجدته.

إننا لانقوى على العمل كأمر المؤمنين عليه السلام ولا ندعي ذلك البتة، ولسنا جديرين - وهذا ما أقصد به نفسي - أن نسير خلف أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن علينا الاجتهاد، وعلى الجميع اعتباره ذلك من صلب واجبه لا أن تستنفر قوى الضغط لمجرد تصدي إحدى الأجهزة لحالة من الفساد أو أحد المفسدين فتشير ضجيجاً وزوبعة من شأنها إرعاب السائرين في هذا الدرب، وينبغي - طبعاً - عدم الاهتزاز أمامها، بل لا بد من المضي قدماً في هذا الدرب بكل عزم، فالله هو المعين والشعب هو سندنا.

ما أدركته هو أن لا شيء يسر الجماهير كتصدي نظام الجمهورية الإسلامية للعتاة والمفسدين والطامعين والنفعيين، على طريق إحقاق الحقوق العامة لأبناء الشعب، ومجلس الشورى والحكومة والسلطة القضائية يتحملون المسؤولية في ذلك وعليهم المضي والتحرك في هذا السبيل، ولحسن الحظ فإن المرء يشاهد الآن إجراءات تتخذ في هذا الاتجاه، ولكن أشخاصاً هنا أو هناك ممن يتعين عليهم بذل

معونتهم يتقاعسون أحياناً عن ذلك، أملين أن لا يدوم هذا التقاعس.

إننا حينما نحيي ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فلا بد أن يكون ذلك من أجل عملنا نحن، فلسنا قادرين على مطالبة الشعب باستمرار للعمل كأمر المؤمنين عليه السلام؛ فنحن اليوم حيث نتولى مسؤولية في نظام الجمهورية الإسلامية إنما نتحمل القسط الأوفر من المسؤولية وتنوء عواتقنا بتكليف جسيم، آملاً أن يحظى المسؤولون في الجمهورية الإسلامية بهذا التوفيق كأمر المؤمنين عليه السلام ويختطوا ذات الدرب ويتحركوا إثر الخط والدليل الذي رسمته أنامل هذا الرجل العظيم ^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٤٢٢هـ - طهران.

علي عليه السلام ونهج البلاغة

يعتبر كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة أفصح كلام صدر عن إنسانٍ عربي. كما ويعتبر نهج البلاغة ذروة في الفن والجمال؛ جمال اللفظ وجمال المعنى، ويبهر العقول. ولم يستطع أي شاعر عربي كبير أو كاتب أو أديب عربي أن يقول بأنه غني عن الرجوع إلى نهج البلاغة.

وعلى كل حال، فقد فجّع أهل الكوفة بالأمس بشهادته، ولم يشيخ جثمانه في الكوفة، ولم يجتمع الناس حوله جثمانه. ولعل كان يرى تسلط الأعداء على الكوفة بعد ذلك بعشر سنين أو عشرين سنة.

فما الذي جرى في الكوفة؟ فالذين داروا بيناته في أسواق الكوفة، ورفعوا رأس فلذة كبده على رؤوس الرماح، ما كانوا يتوزعون عن نبش قبره والتنكيل برمسه. ولهذا السبب بقي قبره مخفياً ولم يعثر عليه إلا بعد مضي مدّة طويلة ^(١).

الأسلوب الفني في نهج البلاغة

تلاحظون أن الله تعالى اختار أفصح بيان لإيصال أسمى المعارف والمعاني ألا وهو القرآن، الذي أعجز الآخرين عن الاتيان بمثله من ناحية تركيب الألفاظ وتنسيقه الفني، فضلاً عن معانيه.

وهكذا لاحظوا خطب نهج البلاغة فإنها آية في الجمال، وقد كان بإمكان أمير المؤمنين استعمال الكلمات العادية، إلا أنه استعمل البيان الفني (وبعد فنحن أمراء

(١) من كلمة ألقاما في ٢٢ رمضان ١٤٢٠هـ - طهران.

الكلام). وقد كانوا حقاً أمراء الكلام^(١).

التقوى في نهج البلاغة

من الخصوصيات والمعالم الأخرى لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام هي التقوى؛ لاحظوا أنّ أياً منها يبرقاً وعلماً، فماذا تعني التقوى؟ إنها تعني تلك الشدة من المراقبة بحيث لا يحميد الإنسان عن جادة الحق في ممارساته الشخصية. وهذا ما تعنيه التقوى؛ أي أن يراقب المرء نفسه مراقبة تامة في تداوله للأموال، في التلاعب بكرامة الناس، في الاختيار والرفض، في التحدث حيث يحتاط أن لا يقول ما يخالف الحق. تصفحوا نهج البلاغة فهو حافل بهذه المقولات. ومما يؤسف له الآن أنّ البعض درجوا على ارتكاب ما حلا لهم تحت طائلة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان كذلك ويفعل هكذا، ما هو دليلهم ومن أين لهم هذا؟

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو ذاك في نهج البلاغة، وهو ذاك في الروايات الواردة عنه وعن أولاده الطاهرين، فأين هذه الأمور التي يدّعيها البعض قائلين إنّ علياً عليه السلام كان كذلك؟ كلا، فعلي عليه السلام هو ذاك في نهج البلاغة؛ طالعوا نهج البلاغة من أوله إلى آخره، فهو حافل بالحث على التقوى والدعوة إليها، وما لم يكن الإنسان تقياً فلا قدرة له على إقامة دين الله. فأسوأ المرض تلوث الباطن، فتلوث قلب الإنسان بالمعصية لا يدع للإنسان فرصة إدراك الحقيقة، ناهيك عن أن يتحرك صوبها^(٢).

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٤/٥/٥ هـ ش ١٤٢٦/٦/٢٠ هـ ق ٢٧/٧/٢٠٠٥ م - مشهد المقدس.

(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة ذكرى مولد أمير المؤمنين عليه السلام في ١٣ رجب ١٤٢٣ هـ - طهران.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

العدالة جوهره الحكم العلوي

مقارنة جورج جرداق

عقد جورج جرداق، مؤلف الكتاب المعروف «الإمام علي صوت العدالة الإنسانية» مقارنة بين جملتين إحداهما للإمام علي عليه السلام والأخرى للخليفة الثاني عمر بن الخطاب قالها بعدما استقدم بعض ولاته في أعقاب ما رفع إليه عنهم من ظلم واستعباد للناس، فقال لهم بعد أن وقفوا بين يديه جملته المشهورة: «استعبدتم الناس وقد خلقهم الله أحراراً».

والأخرى قالها أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ووردت في نهج البلاغة وهي: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرّاً»^(١).

ويستخلص جورج جرداق بعد المقارنة بين القولين أنّ قول أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من قول عمر بمرات متعددة؛ وذلك لأن عمر يخاطب في كلامه هذا أشخاصاً لا ضمانه لتسلطهم على الحرّيات باعتبار أنهم هم الذين يصفهم بقوله «استعبدتم الناس» وعليكم أن تمنحوهم حرّيتهم، وهذا نمط من أنماط المطالبة بالحرية.

أما النمط الآخر منها فهو خطاب أمير المؤمنين عليه السلام للناس أنفسهم، وهو ما ينطوي تلقائياً على الضمانة التنفيذية لهذا الحق «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرّاً» في كل واحدة من هذين القولين ميزة للحرية - إضافة إلى ما يتيسر به كلام

(١) تحف العقول: ٧٧.

أمير المؤمنين عليه السلام من خاصية الضمانة التنفيذية - إحداهما هي السمة الفطرية للحرية «وقد خلقك الله حرّاً» (١).

العدالة عند أمير المؤمنين عليه السلام

إن أبرز صفة في الحياة الإجتماعية والحكومية لأمر المؤمنين عليه السلام هي "العدالة" مثلما أن التقوى هي الصفة البارزة في العمل الفردي لأمر المؤمنين عليه السلام، فالصفة الأبرز في السيرة الحكومية والسياسية وفي مجال خلافة أمير المؤمنين عليه السلام هي العدالة، وهذا أمر في غاية الأهمية بالنسبة لنا نحن الذين نعتبر أنفسنا أتباعاً لأمر المؤمنين عليه السلام، فمراعاة العدالة وتعظيم شأنها والعمل بما تقتضيه، هو واجبنا، ويجب أن تغدو معلماً للنظام الإسلامي، فكل شيء يخضع لتأثير العدالة، وهذا هو منطق أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

إذا ما استعرضنا حياة أمير المؤمنين عليه السلام والأحداث التي شهدها عهد حكومته التي دامت خمس سنوات تقريباً، نجد أن معظم ما واجهه من مشكلات خلال هذه الفترة ناجم عن نزعة العدالة لديه وهذا دليل على مدى صعوبة العدالة.

فالدعوة للعدالة والسعي من أجلها خفيف على اللسان ولكنها تواجه على الصعيد العملي من العراقيل ما يصبح معه تطبيق العدالة في المجتمع أصعب مهمة بالنسبة لكل حكومة أو نظام.

إن العدالة لا تقتصر على العدالة الاقتصادية، والعدالة في غاية الصعوبة في كافة شؤون الحياة وهذا ما جعله أمير المؤمنين عليه السلام بما كان عليه من اقتدار ملكوتي ومنزلة إلهية هدفاً لمهمته، من هنا جاء قوله عليه السلام في القول المشهور «والله لأن أبيت

(١) من كلمة ألقاها في ١١ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ ق - طهران.

على حسك السعدان^(١) مسهداً وأجرُّ في الأغلال مصقداً أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد أو تاركاً لشيء من الحطام^(٢)، أي ناهيك عن التنحّي عن الخلافة، لو صفدتُ بالأغلال والقيود وسُحبتُ على الأشواك عاري البدن، فلست على استعداد لظلم واحد من عباد الله.

وبسبب هذا المنطق تجرّع أمير المؤمنين عليه السلام كل تلك المشاكل أثناء فترة خلافته وواجهها، فعدالته هي التي خلقت له أولئك الأعداء وتلك العداوات، فصمد أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن على استعداد للتنازل عن العدالة لغرض مواجهة المشاكل وحلّها، وكفى بذلك عبرة.

تجسيد العدالة عملياً

إنّ خمس سنوات من حكم أمير المؤمنين عليه السلام فترة قصيرة جداً في تاريخ الإسلام ولكن ما يضيف أهمية على هذه المدة الوجيزة هو أن أمير المؤمنين عليه السلام جسّد العدالة عملياً. فهو كمن يكتب درساً على ورقة وعلى المتعلم أن يقلده في ترديده، ولقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الدرس أنه إذا ما برزت أمام الحاكم الإسلامي كل هذه المشاكل بسبب نزعته للعدالة - فعلى مدى خمس سنين لم يمهلوا أمير المؤمنين عليه السلام للتفكير بإدارة الدولة وشؤونها دون هاجس بفرضهم ثلاث حروب عليه بما جرّت من مشاكل ومخلفات - فيجب عدم الاستسلام، وهو لم يستسلم، وماذا يعني ذلك؟ يعني أنه لم يتراجع عن طريق العدالة، وفي ذلك درس.

(١) وهو نبت له شوك.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٢١٦ كلام ٢٢٣.

عدالة علي درس لكافة المسلمين

إننا اليوم ندّعي اتباعنا لأمير المؤمنين عليه السلام، وأن علي بن أبي طالب لا يختص بالشيعة، فالمسلمون يعظمون علياً ويجلّونه ويعتبرونه أمامهم، والفارق الموجود هو في مقام المقارنة مع أقوال وأفعال الآخرين، فنحن نرى أن ما يفعله ويتركه عليه السلام حجة علينا بسبب عصمته. وهذه هي خصيصة الشيعة، وبناء علي ذلك يتعين علينا نحن كشيعة أن نعي هذا الدرس وهو أن العدالة ليست مما يخضع للتدليس والمساومة، ولا يمكن مساومة أي من المصالح - سواء المصالح الفردية أو مصالح الحكومة والدولة الإسلامية - بالعدالة، فمن أجل العدالة تحمّل أمير المؤمنين عليه السلام هذه المصاعب ولم ينثن (١).

علي عليه السلام مظهر العدل الإلهي

إن لمفردة العدالة ومفهومها موقعاً متميزاً في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وشخصيته، وبالرغم من اجتماع العديد من الخصال فيه عليه السلام، إلا أن من أبرزها - وهي التي لازمته على الدوام - هي العدالة التي تنطوي على مفاهيم متعددة وتتشعب إلى شعب شتى اجتمعت كلها في وجود أمير المؤمنين عليه السلام، فهو مظهر العدل الإلهي.

لقد اقتضى العدل - الذي نعتبره من أصول الدين - أن يختار الله سبحانه شخصاً كأمر المؤمنين عليه السلام لإمامة الأمة وقيادتها، وهذا ما فعله الباري جلّت قدرته؛ فوجود أمير المؤمنين عليه السلام وشخصيته وتربيته وعظمته وبالتالي تنصيبه للخلافة كلها مظهر للعدل الإلهي، ولقد تجسدت العدالة بمعناها الإنساني بأكمل صورها في كيانه عليه السلام.

(١) من كلمة القاهنا في ١٩/ رمضان / ١٤٢٤ - طهران.

البعد الفردي لعدالة أمير المؤمنين عليه السلام

كان عليه السلام يجسد العدالة الإنسانية ببعديها الفردي والاجتماعي؛ حيث تجلت عدالة الإنسان في حدود حياته الفردية، وعدالته في مضمار الحكم والسلطة - تلك التي نطلق عليها العدالة الاجتماعية - في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، وعلينا أن نعرف ذلك بنية تطبيقه عملياً، لاسيما بالنسبة لأولئك الذين يتحملون المسؤوليات في المجتمع ويتبوءون موقفاً في الحكومة، فلقد تمثلت العدالة الفردية بأعلى درجاتها في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك هو ما نعتبر عنه بالتقوى، تلك التقوى التي كان عليه السلام يجسدها في عمله السياسي والعسكري وفي توزيعه لبيت المال واستفادته من مواهب الحياة واستثماره لبيت المال، وفي فضائه وجميع شؤونه؛ فالعدالة الفردية والذاتية للمرء تمثل في واقع الأمر سنداً للعدالة الاجتماعية وصاحبة التأثير في العدالة على صعيد الحياة الاجتماعية.

ليس بمقدور من يفتقد للتقوى في ذاته وفي عمله، وهو رهين أهوائه النفسية وأسير للشيطان، الإدعاء بقدرته على تطبيق العدالة في المجتمع، فذلك محال؛ فمن أراد أن يكون مصدر إشعاع للعدالة في حياة الأمة، فلا بد له - والحال هذه - أن يلتزم التقوى على صعيد نفسه أولاً؛ تلك التقوى التي أشرت لها في مستهل الخطبة، والتي تعني المراقبة للحيلولة دون الوقوع في الخطأ.

وهذا لا يعني أن الإنسان لن يخطئ، كإلا فلا مفر لغير المعصوم من ارتكاب الخطأ، وما هذه المراقبة إلا صراط مستقيم وسبيل للنجاة تنتشل الإنسان من الغرق وتمنحه القوة، والذي لا يمارس الرقابة على نفسه ويعاني من فقدان العدالة والتقوى على صعيد القول والفعل وحياته الشخصية لا قدرة له على أن يكون مصدرراً للعدالة

الاجتماعية في أوساط المجتمع (١).

البعد الاجتماعي لعدالة أمير المؤمنين عليه السلام

ما تقدم كان حول العدالة في إطار الشؤون الشخصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام. أما عدالته عليه السلام على صعيد المجتمع، أي تطبيقه للعدالة الاجتماعية، فأمر المؤمنين عليه السلام يمثل وصفة الإسلام الكاملة؛ إذ كانت حكومته إسلامية ١٠٠٪ وليست ٩٩٪ أو ٩٩.٩٩٪؛ فلم يخرج ما كان يصدر عن أمير المؤمنين عليه السلام وحدود صلاحياته وسلطته من تحرك أو قرار عن صبغته الإسلامية؛ أي أنه العدالة المطلقة، وربما حصل في بعض الولايات التابعة لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام أن مورست أعمال تتنافى مع العدالة، بيد أنه عليه السلام كمسؤول كان يشعر بتكليفه عندما يواجه مثل هذه الممارسات، فكانت كتبه وتحذيراته وخطبه وحرابه كلها تصب في مجرى تطبيق هذه العدالة.

هذا هو تكليفنا، ولا أريد أن يتبادر إلى الأذهان الوهم بإمكانية أن يصل أمثالنا أو من هم أفضل منا إلى مستوى أمير المؤمنين عليه السلام، كلا فهو عليه السلام المثل الأعلى والأنموذج الأصيل، فهو إنما يعد أنموذجاً من أجل أن يتحرك الجميع باتجاهه، وإلا فإنه عليه السلام لا يرتقي إليه التشبيه أو مقايسة أحد إليه؛ فأولئك العظام الذين اجتباهم الله تعالى ومنحهم العصمة، سواء كانوا من الأنبياء أم الأئمة الأطهار عليه السلام، هم نجوم تتلألأ في سماء الملك والملكوت، وليسوا ممن يستطيع أمثالنا - بما هم عليهم من قدرات دانية وقابليات متواضعة - مضاهاتهم أو اللحاق بهم؛ إنهم الهداة، والإنسان إنما يتلمس طريقه بواسطة النجوم.

وعليه فإننا يجب أن نتحرك بهذا الإتجاه وهو تكليفنا في الوقت الحاضر، ولا

(١) من كلمة القامحا في ٢٠ ذي الحجة ١٤٢١ هـ - طهران.

يحق لأي من المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية القول: أنه بما أننا لا نمتلك القدرة على العمل بمستوى أمير المؤمنين عليه السلام فلا تكليف علينا. كلا، فهناك مراتب شاسعة بين ما يسعنا القيام به وبين المستوى الذي كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وعلينا المضي قدماً وطياً هذه المراتب ما وسعنا.

تكليفنا تطبيق العدالة في المجتمع

ينبغي أن تظهر العدالة بصورتها الواقعية في المجتمع، وهو ممكن، كما تيسر للثورة الإسلامية ونظام الجمهورية الإسلامية تطبيق أبعاد من العدالة كان تطبيقها في إيران في عداد المحالات خلال فترة من الفترات؛ فلقد مرّ على بلدنا زمن كان من المحال - على الذين لم يكونوا ذبولاً لأمريكا وبريطانيا أو القوى الفاسدة أو البلاد الفاسدة - الوصول إلى المراكز السياسية، إذ لم تكن أهمية تذكر لعامة الشعب، ولم يخطر ببال أحد أن يكون له تأثير في سياسة البلد وسلطته دون أن يقع في قبضة هذه المفاسد والتبعية.

أما اليوم فإن كافة أبناء الشعب يرون امكانية الوصول إلى أرفع المناصب السياسية في النظام إن أرادوا أو توفرت الشروط اللازمة لذلك. لقد كانت العدالة الاجتماعية خارج حدود التصور في بلدنا يوماً ما، بيد أن جانباً منها قد تحقق الآن. إذن إننا قادرون، ومن الممكن عمل الكثير من خلال الاستعانة بهمة الجماهير.

على المسؤولين أن يشدوا حزام الهمة لتطبيق العدالة التي ينشدها الإسلام في كافة الحقول، القضائية منها والاقتصادية وعلى صعيد توزيع مصادر الثروة الوطنية ومختلف المجالات وكل ما يعد مهماً بالنسبة لأبناء البلد، فيجب أن يكون سلوك كل مسؤول في السلطات الثلاث - التنفيذية والقضائية والتشريعية - سلوكاً عادلاً وأن يكون هدفه تطبيق العدالة على صعيد الاستفادة من بيت المال، والمنافع

الشخصية، والعزل والتنصيب وكل ما يفعله، وإذا ما تحقق ذلك بحيث تصب الجهود من أجل تطبيق العدالة في كل مرفق من مرافق هذا البلد وهذا النظام، وكان هنالك من يتابعها، وذاق أبناء الشعب طعمها وتوفرت للجميع، ولم يبق أثر للإجحاف في جميع مرافق الحياة، يومها سيكون بمقدور الجمهورية الإسلامية أن تطرح نفسها أمام شعوب العالم، وبالذات الشعوب الإسلامية، كأنموذج إسلامي واقعي.

إنّ الشعوب الإسلامية مشدودة اليوم لحاكمية الإسلام، وهذا الانشداد سيتوطد متى ما تحققت الحاكمية الواقعية للإسلام؛ أي متى ما رأوا تطبيق الحدود الإلهية في المجتمع وأن حقوق الناس تراعى على الوجه الأكمل، وليس هنالك من يمارس الظلم والاجحاف بحق الآخرين بسبب ما يتمتع به من قدرات، وليس ثمة من يتنصل عن تطبيق العدالة بحقيقتها بحقه لما يتمتع به من منصب أو جاه، وإن المخالفة جرم أياً كان مرتكبها، وينظر إلى الناس على حد سواء في ضوء الطبيعة الإنسانية والأخوة الإسلامية، فإذا ما عملنا وفق هذا السياق نكون قد حافظنا على الأمانة الإلهية المودعة بأيدينا، وإلا فسيكون الحساب عسيراً أمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «اعلم يا رفاعة، إن هذه الإمارة أمانة، فمن جعلها خيانة لعنه الله إلى يوم القيامة» (١) (٢).

(١) نهج السعادة: ٥ / ٣٣.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٠ ذي الحجة ١٤٢١ هـ - طهران.

الوصية العلوية الخالدة

وصايا أمير المؤمنين عليه السلام

إنَّ لأمير المؤمنين عليه السلام وصايا عديدة أوصى بها الإمام الحسن عليه السلام أو الإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام معاً، أو أقواله للآخرين التي هي بمثابة وصاياه أيضاً. إلا أنَّ هناك وصية قصيرة للإمام عليه السلام أوصى بها من بعد أن جرح في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك أوّدّ تبيانها لكم.

ورد في هذه الوصية ما يقرب من عشرين أمراً؛ وذلك بديهي فهي وصية إنسان عظيم كتبت في الساعات الأخيرة من عمره وتتضمن أهم الأمور بنظره، وقد سطر أمير المؤمنين عليه السلام هذه الوصية بعد أن ضربه ابن ملجم، وإنَّ الأمور التي وردت فيها هامة تخص حب الدنيا، القرآن، الحج، الجهاد، اليتامى، الجيران... الخ (١).

والسبب في أهمية هذه الوصية هو أنَّ الإنسان في اللحظات الأخيرة من عمره يسعى أن يبيّن حقيقة أفكاره وآراءه ومكنونات قلبه الى أفضل الناس وأكثرهم أمانة لديه.

وأمير المؤمنين عليه السلام هو أعجوبة الخليفة والشخص الثاني بعد النبي الأكرم عليه السلام والمسلم المجاهد في سبيل الله (جاهد في الله حقّ جهاده) والزاهد والحاكم والسياسي من الطراز الأوّل ومنزلته في السماء أشهر ممّا هي في الأرض، ومحبيه

(١) من كلمة ألقاها في ١٧ رمضان ١٤٢٣هـ - طهران.

من ملائكة السماء أكثر من محبيه من أهل الأرض^(١).

إنّ مثل هذا الإنسان المرتبط بالملكوت الأعلى والعارف بكلّ المعارف الإلهية المتعالية ويمتلك كلّ هذه السجايا والخصال عندما يشعر باقتراب أجله يرى أنّ الوقت يمرّ بسرعة، فيجب عليه أن يبادر الى تبيان الأمور المهمة.

وعندما ضرب عليه السلام في المسجد كان يعلم أنّ حياته مشرفة على الانتهاء فأراد أن يوصي أولاده وأهل الكوفة وجميع المسلمين الحيارى في ذلك العصر ويصدر بياناً مقتضباً يبقى خالداً على مدى التاريخ، وقد تمّ انتخاب فقرات هذا البيان بدقّة متناهية من قبله عليه السلام.

وقد يشعر الإنسان بعدم التجانس بين فقرات هذه الوصية عندما تكون نظرتة إليها سطحية.

فتارةً يوصي بأمرٍ غايةً في الأهميّة من وجهة نظرنا يتبعه فجأةً بآخر ليس له نفس المستوى من الأهميّة، ولكن نظرة علي عليه السلام للأمور كنظرة الله تعالى لجميع الموجودات في العالم نظرة إلهية وصائبة. والأمور الصغيرة والكبيرة تختلف في المقياس الإلهي والمقياس العلوّي عما هي عليه في مقياسنا نحن.

ونحن قاصرين عن الوصول الى هذا المستوى ولكن حينما نقوم بتحليل تلك العبارات - ولو من بعيد - فسنجد أنّها متناسقة كلّ التناسق ونُظّمت بصورة دقيقة جداً.

فلنستمع إليها بدقّة وإمعان:

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِيَانٍ مَرصُوصٍ﴾،

١ - التوسية بالتقوى:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أوصيكمما بتقوى الله».

وهي وصيته للحسن والحسين عليهما السلام لما ورده ابن ملجم (لعنه الله)، فقد دعا الحسن والحسين عليهما السلام وأوصاهما بتلك الوصايا على الرغم مما كان يعانيه من ألم وحمى على أثر نفوذ السم الى بدنه الطاهر. وقد تكون الآلام مانعة للإنسان الاعتيادي عن أن يقوم بتأدية واجبه إلا أنها لا تستطيع أن تمنع شخصاً كعلي عليه السلام من ذلك، فأراد عليه السلام أن يبادر الى استغلال تلك الساعات القليلة التي أعقبت ضربته وحتى استشهاد عليه السلام والتي لم تتجاوز ٤٨ ساعة لإنجاز الأعمال الضرورية وأهمها كانت وصيته عليه السلام «أوصيكمما بتقوى الله» فبدأ وصيته بدون أي مقدمة بالدعوة الى تقوى الله سبحانه وتعالى.

فالتقوى تعني كل شيء للإنسان، وهي دنيا الأمة وآخرتها والزاد الحقيقي في هذا الطريق الطويل الذي لا يبدل للبشرية أن تفتطمع، فالتقوى هي كلام أمير المؤمنين عليه السلام الأول والأخير وهي مقدمة على كل شيء في حياة الإنسان، فكأنه عليه السلام يريد أن يقول يجب عليكم يا أولادي مراقبة أنفسكم وأعمالكم ووزنها بالمعيار الإلهي الحق.

وليس كلامه عليه السلام في مسألة الخوف من الله، كما قُشرت التقوى من قبل البعض بأنها الخوف من الله وخشيته سبحانه وتعالى. صحيح أن الخشية والخوف من الله تعالى لها قيمة وتعتبر من أنواع التقوى إلا أن التقوى الحقيقية تعني مراقبة الإنسان المستمرة لأعماله كي تكون منطبقة مع المصالح الإلهية التي يقدرها المولى سبحانه وتعالى له. وهذا أمر لا يمكن للإنسان أن يستغني عنه بأي حالٍ من الأحوال.

وإذا حاولنا الاستغناء عن هذه الحالة فالطريق أماننا مليء بالأخطار والوادي

عميق تحت الأقدام وسنزلق بلا ريب إلا أنه قد نعثر على حجرٍ أو شجرٍ نتشبت به
لعله يعيننا على الصعود إلى الأعلى من جديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مِنْهُمْ طَائِفٌ مِنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (١)

فالإنسان الممتقي عندما يشعر بمسّ الشيطان له يتذكر الله ويعود إلى نفسه حالاً
بالمراقبة والمحاسبة، وعليه عليه السلام يعلم أنّ الشيطان لن يتركنا أبداً فلا بدّ أن تكون
الفقرة الأولى من الوصية هي تقوى الله سبحانه وتعالى.

٢ - عدم اتباع الدنيا:

وأخذ عليه السلام بعد ذلك يوصي بالأمر المهمة الأخرى. فقال عليه السلام: «وإن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما»^(١).

هذه هي الفقرة الثانية وهي من مستلزمات التقوى وكل الأعمال الصالحة هي من مستلزمات التقوى، ومن جملة هذه الأعمال هو الأمر الذي ذكره عليه السلام، فلم يقل اتركوا الدنيا بل أوصى بعدم اتباع الدنيا وبالتعبير الشائع عدم الرخص وراء الدنيا. فماذا تعني هذه الدنيا التي لا ينبغي السعي وراءها؟ هل تعني إعمار الأرض وإحياء الثروات الطبيعية؟ وهل هذه هي الدنيا التي ذمها أمير المؤمنين وحذر منها؟ لا، ليس الأمر كذلك.

فالدنيا التي لا ينبغي اللهث وراءها تعني طلب اللذات والسعي وراء الشهوات. أمّا إذا كان الهدف من إعمار الأرض خير البشرية وصلاحها، فهو الآخرة بعينها وهو أمر يجب السعي إليه.

أمّا الدنيا المذمومة والتي تُهي الإنسان من السعي وراءها فهي الأعمال التي تصد عن السير في طريق الخير والصلاح وتسلب منه إرادته وتستهلك قواه وسعيه وهمته وهي تعني الأنانية وحب الذات والسعي وراء جميع الأموال والسعي وراء اللذات. وهذه الدنيا على قسمين فمنها المباح ومنها الحرام، فليس كل ما يطلبه الإنسان لنفسه من اللذات حرام بل إن ما فيه المباح أيضاً.

ولكن أهل البيت عليهم السلام أوصوا بالابتعاد حتى عن اللذات المباحة عندما يصبح

(١) نهج البلاغة: ٣/٧٦ رقم ٤٧.

هدف الإنسان من الدنيا طلب اللذات والشهوات فقط. فاجهدوا أن تسير مظاهر حياتكم المادية والمعنوية في المسير الإلهي المرسوم لها. إنَّ كَلَّ الأعمال الدنيوية يمكن وضعها في هذا المسار إذا كان الهدف منها هدفاً مقدساً. فحتى التجارة «مثلاً» يمكن أن تُجعل في سبيل الله عندما يكون الهدف منها تحسين الوضع الاقتصادي للمجتمع وليس ادخار الأموال الطائلة فقط.

إذن كانت الفقرة الثانية من وصيته عليه السلام هي عدم السعي وراء الدنيا بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً.

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام هو المصداق الأكمل لتلك الوصايا وقد جسدها بشكل كامل في حياته وسلوكه. فإذا ألقينا نظرة على حياته عليه السلام فسنجدها تجسيداً خيلاً لكل ما أوصى به عليه السلام.

٣ - عدم التأسف على فوات الدنيا:

ثم أخذ صلوات الله عليه بعدها يوصي بالحذر من الدنيا، وهي الفقرة الثالثة فقال عليه السلام: «ولا تأسفوا على شيءٍ منها زُوي عنكما» .

أي لا تأسفوا على ثروةٍ أو لذةٍ أو منصبٍ لم تحصلوا عليه، لا تتأسفوا لأنكم لا تملكون وسائل الراحة والرخاء ولا تأسفوا على أي شيءٍ فاتكم من هذه الدنيا الدنية أبداً.

٤ - إظهار الحق:

وبعدها أخذ عليه السلام يوصي بالتمسك بالحق وإظهاره ، وهو الأمر الرابع فقال صلوات الله عليه : «وقولا للحق» أو في نسخة أخرى «وقولا الحق» ولا فرق بينهما، ومعناه لا تكتموا شيئاً عندما تعتقدون أنه حقٌ فيجب عليكم إظهاره حينما تدعو الضرورة لذلك.

إن جميع المصائب حلت بالمجتمعات عندما قام الذين يعرفون الحق بكتمانه وعدم السعي لإظهاره بل سعوا لإظهار الباطل أحياناً أو جعلوا الباطل حقاً أحياناً أخرى. وما كان الحق ليُظلم لو بادر الذين عرفوه لنشره وإظهاره ولما طمع أهل الباطل في القضاء عليه.

٥- نية القربى:

ثم انتقل الى اعتبار أن كل الأعمال لا بد أن يتوجه بها الإنسان الى الله تعالى وينوي وجهه الكريم، وهو الفقرة الخامسة فقال عليه السلام: «واعملاً للأجر» يعني الأجر الحقيقي والإلهي. فلا تعمل عبثاً أيها الإنسان، إنَّ عمرك وعملك وحتى أنفاسك هي رأس مالك الوحيد والحقيقي فلا تفرط به.

وإذا أردت أن تعمل عملاً أو تتنفس نفساً أو تصرف قواك في شيء فليكن ذلك من أجل الحصول على أجرٍ يتناسب مع ذلك. فما هو هذا الأجر الذي يجب أن نحصل عليه؟ هل هو دراهم معدودة نحصل عليها؟ هل هو جلب رضا فلان وعلان من الناس؟ هل هذه الأمور هي الأجر الحقيقي لضياع عمر الإنسان؟ من المؤكّد أنّ الجواب على ذلك سيكون بالنفي.

أتذكّر أنّ رواية عن الإمام السجاد عليه السلام يقول فيها: «فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، ألا فلا تبيعوها بغيرها»^(١). فكما يكون الأجر أقل من ذلك فإنّ الغبن سيكون من نصيبنا فلتكن أعمالنا من أجل الأجر الحقيقي وهو الأجر الأخروي.

(١) تحف العقول: ٣٩١.

٦-مخاصمة الظالم:

وبعدها أخذ يحذّر عليّ من الظالم والتعامل معه وهي الفقرة السادسة فقال عليّ: «أو كوننا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً» الخصومة غير العداوة؛ فيغض الظالم ومعاداته غير كافية لأنّ الخصومة تعني الأخذ بتلابيب الظالم وعدم تركه.

لقد اكفهرّ وجه البشرية منذ وفاة أمير المؤمنين عليّ وحتى اليوم بسبب عدم إظهار الخصومة للظالمين. ولو أنّ الأيدي المؤمنة كانت تضيّق الخناق على الظالمين لما سنحت الفرصة للظلم كي ينتشر بهذا الحجم الواسع في العالم بل كان ذلك يؤدّي الى انحصاره وإسقاطه والقضاء عليه.

وما يريده أمير المؤمنين عليّ هو «كن للظالم خصماً»، فأينما يوجد ظالم يجب على الإنسان أن يضع نفسه موضع الخصومة له.

وليس من الضروري إبراز هذه الخصومة دوماً، ولكن عندما تحين الفرصة فلا بدّ من إبراز تلك الخصومة والأخذ بتلابيب الظالم ولو من بعيد إذا تعدّر ذلك عن قرب. واليوم نرى أنّ العالم يغطّ في مستنقع الرذيلة نتيجةً لتركه لهذه الفقرة من وصية أمير المؤمنين عليّ.

فأيّ ذلٍّ وامتهانٍ تعيشه البشرية اليوم وأيّ ظلم ذلك الذي تمرّ به الشعوب الإسلامية المعاصرة لابتعادها عن الإسلام.

ولو عمل بهذا الجزء من وصيته عليّ لما وجدنا اليوم أثراً لكثيرٍ من تلك المظالم ولا المصائب المترتبة عليها.

٧- إعانة المظلوم:

ثم أخذ يؤكد عليه على الأمر المهم الآخر فيقول عليه: «وللمظلوم عوناً» يعني إذا وجدت مظلوماً فكن عوناً له، لم يقل كن مؤيداً له بل يقول أعنه بكل ما تستطيع وكل ما يبلغه وسعك.

الى هنا كان الخطاب موجهاً الى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، طبعاً هذا لا يختص بهما فقط، فبالرغم من أن خطابه كان موجهاً إليهما إلا أن وصيته عامة تشمل الجميع.

العبارات التالية يقولها أمير المؤمنين عليه بصورة عامة، فيقول: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي» فحتى نحن الجالسون هنا مخاطبون بهذه الوصية أيضاً. ثم يبدأ بالقسم الثاني من وصيته العامة، فيعود من جديد ليؤكد على أهمية التقوى مرة أخرى فالتقوى هي الكلام الأول والأخير لأمير المؤمنين عليه.

٨- نظم الأمر:

وبعد الوصية بالتقوى مجدداً يقول عليه السلام «ونظم أمركم» فماذا يعني بنظم أمركم؟ هل يعني أن الأعمال التي تقومون بها في حياتكم اليومية يجب أن تكون منظمة ودقيقة؟ من المحتمل أن يكون هذا أحد معاني هذه العبارة، لكنه لم يقل عليكم بنظم أموركم بل «نظم أمركم». إذن فظاهر هذه العبارة أن هناك أمر مهم يجب أن يتحقق وفقاً لضوابط ونظم معينة، فما هو ذلك الأمر المهم؟

يفهم أن لهذا الأمر المهم قاسم مشترك عند كل الناس، فيحتمل أن يكون معنى نظم الأمر هو عبارة عن إقامة الولاية والحكومة الإسلامية والنظام الإسلامي. يعني أيها المسلمون ليكن تعاملكم مع مسألة الحكومة والنظام وفق ضوابط ونظم معينة ومحددة. فلا يكن هناك انفلات في تعاملكم مع النظام. لأنه بسبب هذا الانفلات وصلت الأمة الإسلامية الى ما وصلت إليه من انحطاط وتشتت. يروى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال ما معناه (إذا بايعت الأمة إماماً يرضى الله عنه فلا يجوز لأحدٍ مخالفته)^(١)، فلو أن الأمة الإسلامية عملت بمضمون هذه الرواية بعد بيعتها للإمام علي عليه السلام لما وقعت تلك الحروب المدمرة كحرب الجمل وصفين والنهروان.

وهذا «الإخلال والانفلات» هو ما يقوم به البعض من أجل مصالحه وإرضاء لميوله النفسية فينشر الرعب في البلاد ويشير القلاقل ويخل بالنظام العام ويقتل الناس الأبرياء هنا وهناك، وهذا هو البلاء العظيم الذي حذر منه أمير المؤمنين عليه السلام

(١) انظر النافع يرم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ١٠١.

ونهى عنه وأمر بخلافه (١).

إنَّ النظم من الموضوعات التي عندما يتعمق الإنسان في معناه ومفهومه ومنعوله في الحياة يزداد إدراكاً لأهميته، فالنظم إنما يعني وضع الشيء في محله، وإن الكون بما فيه من أرض وسماء ويمتد حوالينا نحن البشر إنما هو منظومة مقيّنة، والقانون والنظم هو السائد على كافة مجريات الأحداث في الكون والتحركات في العالم الذي نستشعره ونبصره والذي يحيط بنا، والإنسان بدوره جزء من هذا العالم المتميز بالنظم، وإن الحياة الطبيعية للإنسان يسودها النظم أيضاً، فدوران الدم ونبضات القلب وانتفاخ الرئتين وسائر الحركات من فعل وانفعال يجري داخل جسم الإنسان تابعة بأجمعها للنظم، وإذا ما تكلل عمل الإنسان وفعله بالنظم إذ ذاك سيتوفر التناسق بينه وبين العالم المحيط به، فالنظم يهب الإنسان فرصة استثمار كل شيء حق الاستثمار ولا يدع شيئاً يفوته، وإذا ما حصلت فوضى داخل جسم الإنسان فإن نتيجتها المرض أو ما يوصف بالمرض، وذات الأمر يطرأ في سلوكيات الإنسان سواء في حياته الفردية أو سلوكياته الاجتماعية. وعليه فإن للنظم أهميته.

إن دائرة النظم واسعة بطبيعة الحال فهي تبدأ من الحياة الخاصة للإنسان داخل غرفته التي يحيا ويعمل فيها حيث يتم الاهتمام بالنظم - فيما إذا كانت تتميز بترتيبها أم لا - ومروراً بالتصرفات الفردية لنا في الوسط الوظيفي أو الدراسي وانتهاءً بالوسط الاجتماعي وتشكيله المجتمع وبناء النظام الاجتماعي بما يعنيه من بُنية منبثقة عن نظام معين له فلسفته الخاصة به، وذلك بأجمعه يشمل "ونظم أمركم" الذي صرّح به أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقطع من وصيته.

(١) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

العلاقة بين النظم والتقوى

وقبل أن يشير عليه السلام للنظم تحدث عن التقوى فجاءت التقوى في البداية "أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما" لكنه يردف بعد سطرين بالقول "أوصيكما وجميع ولدي بتقوى الله ونظم أمركم" وهنا تكررت التقوى من جديد، ولعل في ذلك إشارة إلى أنّ النظم المنشود في الحياة الفردية ونظام الحياة العامة والاجتماعية للإنسان هو النظم المستمد من التقوى والممزوج والمتجانس معها، إذ هذه وصية شاملة لنا جميعاً لكي نلتزم النظم والتخطيط على صعيد الحياة الفردية والعائلية وكذلك الوظائف الدراسية والإدارية والأعمال التي نمارسها وسط المجتمع، وهذه بالأساس صيغ من النظم على الصعيد الفردي.

النظم الاجتماعي

وعلينا أيضاً التزام النظم والتخطيط على مستوى المجتمع كذلك، فعلى كل امرئ وحيثما كان التقيد بالنظام الاجتماعي فذلك يمثل أدباً عاماً بالنسبة لنا على صعيد المجتمع والجميع مشتركون في هذا الشأن.

إنّ احترام القوانين ومراعاة الأخوة والقناعة وعدم التعدي على حقوق الآخرين واحترام الوقت - سواء وقت المرء أو وقت الآخرين - والالتزام بقوانين المرور والتجول والتضايي المالية والتجارية وما شابه ذلك، كلها مصاديق للنظم.

التناسق بين النظم السلوكي والفكري

ومن مصاديق النظم أيضاً التناسق بين ممارستنا داخل المجتمع وبين أفكارنا

وقناعاتنا وشعاراتنا، فمن حالات الفوضى البالغة الخطورة أن تكون القواعد الفكرية والعقائدية والأمور التي يؤمن ويعتقد بها المجتمع شيئاً فيما لا تنسجم السلوكيات التي تتبلور على أساس هذه القواعد والمعتقدات وتشكل قانوناً عاماً واجتماعياً مع تلك المتبنيات والأفكار والقواعد، وهذا مما يخلق نوعاً من الازدواجية والنفاق وهو خطير جداً.

من الأمور البالغة السوء التحدث باسم الإسلام وترديده دون العمل بأسس الإسلام؛ المناداة بحقوق الإنسان كمبنى وقاعدة فكرية دون الالتزام بحقوق الإنسان عملياً - وهو ما يمثل اليوم إحدى البلايا الدواهي التي يعاني منها المجتمع البشري على الصعيد العالمي وللأسف -

والتشدد باسم التحرر دون احترام لحرية الآخرين، وترديد اسم القانون والدعوة للقانون دون التمسك به على الصعيد العملي، وهي تعد من المصايد البارزة والخطيرة للفوضى.

وبطبيعة الحال يتعين على المسؤولين الذين يتطلعون لسن القوانين والمقررات أو يطبقونها مضاعفة التزامهم بالنظم، كما يتعين على أبناء الشعب مراعاة هذا الأمر في التزاماتهم العامة (١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٧ رمضان ١٤٢٣هـ - طهران.

٩ - صلاح ذات البين:

الفقرة الثالثة في القسم الثاني من هذه الوصية «وصلاح ذات بينكم» يعني لتكون قلوبكم خالية من الضغائن، ولتكن كلمتكم واحدة ولا تتفرّقوا وتختلفوا، ولتكن علاقة بعضكم مع البعض أخوية وحسنة.

ثم يأتي عليه السلام بحديث للنبي (صلى الله عليه وآله) دعماً لوصيته، وهذا يكشف عن اهتمامه البالغ بهذا الأمر لا لأنه أكثر أهمية من مسألة نظم الأمر؛ بل لأنّ مسألة «إصلاح ذات البين» معرّضة للضرر أكثر من مسألة نظم الأمر؛ لذلك فهو يُشجع ذلك بحديثٍ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تأكيداً على أهمية هذا الأمر، يقول: «فإني سمعت من جدّكما يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» ليس أفضل من كل الصلوات والصيام بل أفضل من كلّ صلاة وصيام، فأنت عندما تريد أن تقوم بأداء صلاةٍ أو صيامٍ، لا بأس، لكن هناك عمل أفضل من هذه الصلاة وهذا الصيام، وهو السعي لإصلاح ذات البين. فعندما ترى تشتتاً واختلافاً بين أبناء الأمة الإسلامية عليك أن تسعى لرفع هذه الفرقة والاختلاف، فإنّ عمالك هذا أفضل من عامة الصلاة والصيام^(١).

إن صلاح ذات البين الذي يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته ليس التآلف والاتحاد الظاهري، بأنّ تتفق فئتان أو جماعتان حول أمرٍ ما وتشكلان ائتلافاً ظاهرياً، بل هو أسمى من ذلك، أي أنّ تتصافى القلوب فيما بينها ويسود حسن الظن بين العقول وأن لا يقع أي تجاوز وإيذاءٍ من شخص أو تيار معين تجاه أية جماعة أخرى. بعد قوله عليه السلام "وصلاح ذات بينكم" في هذه العبارة يستشهد بحديث للنبي

(١) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

الأكرم عليه السلام حيث يقول: "وإني سمعتُ جدكما عليهما السلام يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام"، أي أن صلاح ذات البين - أي تقريب القلوب من بعضها وزرع حسن الظن في العقول إزاء بعضها - يفوق بفضيلته كل صلاة وصيام، فإذا ما خيّر امرؤ بين الصلاة المستحبة أو الصيام المستحب وبين إصلاح ذات البين فإن الثاني هو الأفضل.

وهذا من الأمور التي نحن بأمس الحاجة إليها في الوقت الراهن ^(١). يخاطبنا أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: عليكم بـ "صلاح ذات بينكم" عليكم بتنقية القلوب وتقريبها، ولا تجعلوا من الاختلاف في الأذواق عداً؛ فلا يغدو الاختلاف في الرأي والذوق بل وحتى الاختلاف في الفعاعات السياسية والدينية وغيرها - حينما لم تكن على مساس بالأسس العملية للنظام - سبباً في العدا والانفصال والتخاصم فيما بينكم.

لقد كرّس أمير المؤمنين حياته - التي تعدل كل ساعة منها أعماراً - لهداية وبناء المجتمع في عصره والمجتمع الإسلامي والبشري عبر التاريخ، ولحسن الحظ فإن شعبنا شعب علوي يؤمن بأمير المؤمنين عليه السلام ومريد وعاشق له، ولازم هذه المحبة أن نعلق كلماته عليه السلام على أبواب مسامعنا ولا نعدّها وصية جافة خاوية، بل نجعلها نصب أعيننا في مقام العمل واتخاذ القرار، ولقد خاض عليه السلام الجهاد في هذا الدرب واستشهد عليه «قتل في محرابه لشدة عدله» ^(٢) فعدالته أدت إلى شهادته، إذ أفضى تمسكه الواقعي الصادق بالعدل والأسس الجوهرية التي كان عليه السلام يتبناها خلال فترة حكومته إلى أن تتعرض حياته لهذا المخطر ويراق دمه الزاكي في محراب العبادة ^(٣).

(١) من كلمة ألقاها في ١٧ رمضان ١٤٢٣هـ - طهران.

(٢) انظر رسائل الشيخ السبحاني: ٦٤ ح ١٥.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٧ رمضان ١٤٢٣هـ - طهران.

١٠- الوصية بالأيتام:

وبعد هذه الفقرات يبدأ عليه السلام بوصايا أخرى قصيرة وهادفة ومؤلمة فيقول: «اللَّهُ في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يُضَيِّعوا بحضرتكم» إيتاكم أن تنسوهم، أعينوهم بكل ما تستطيعون.

إنّ هذا الإنسان العظيم العارف بالله وصاحب القلب العطوف ينظر الى كلّ الأمور بعين الدقّة. فليست المسألة في نظره مسألة فردية وعاطفة عادية.

إنّ الذي فقد أباه هو إنسان فقد أهم حاجة في حياته وهو الاحتياج الى الأب، فيجب السعي الحثيث لملء هذا الفراغ الذي حدث في حياته، طبعاً لا يمكن ملء هذا الفراغ، لكن يجب عليك أن ترعى هذا الطفل وهذا الصبي وذاك الشاب اليتيم لكي لا يصيبهم الضياع.

يجب عليك أن توقّر لهم لقمة العيش حتّى لا يذوقوا ألم الجوع والحرمان. لا تعطوهم يوماً وتمنعوهم يوماً. لا يبدّ للمجتمع من الاهتمام بشؤونهم المادية، وإيتاكم أن يصيبهم الضياع على الرغم من حضوركم وإطلاعكم.

قد تكون معذوراً إذا كنت تجهل حالهم أو غائباً عنهم ولكن إيتاك أن يُضَيِّع يتيم أو يُهمل وأنت حاضر ومطلع، لا ينشغل كلّ واحد منكم بأموره الخاصّة وتركوها هذا اليتيم وحيداً يصارع مشاكل الحياة.

١١- الوصية بالجيران:

ثم يتوجه عليه السلام الى الجيران فيقول صلوات الله عليه: «والله الله في جيرانكم»^(١) لا تستصغروا مسألة الجوار فأمرها مهم جداً. إن ذلك التلاحم الاجتماعي المتماسك الذي أقامه الإسلام طبقاً للفطرة السليمة قد ضاع وللأسف في منعطفات التمدن البعيدة عن الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها.

يوجد من الناس من يقيم في بيت سنوات طويلة وهو لا يعرف من جاره وما يجري عليه ولا يساعده في حاجاته ومشاكله وضروريات حياته.

ونحن إذا عملنا بهذه الفقرة من وصية أمير المؤمنين عليه السلام وقام كل واحد منا برعاية جيرانه ليس من الناحية الاقتصادية والمالية التي هي مهمة في ذاتها بل من جميع النواحي الإنسانية، فسنرى مدى التألف والمحبة اللذان سيسودان العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإسلامي، وسنرى كيف يُشفى المجتمع من أمراضه الاجتماعية المزمنة التي يعاني منها.

ثم يكمل الوصية بالجيران فيقول: «فإنهم وصية نبيكم، مازال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم»^(٢).

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٧٧ رقم ٤٧.

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ٧٧ ح ٤٧.

١٢ - الوصية بالقرآن الكريم:

ثم يحث على التسابق للعمل بالقرآن فيقول عليه السلام: «والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم»، إياكم أن يسبقكم للعمل بمفاهيم القرآن من ليس له إيمان بها، فيتقدموا عليكم وتتأخروا عنهم لترككم العمل بتلك المفاهيم الإلهية.

وهذا عين ما وقع تماماً، فالشعوب المتقدمة في العالم كان وصولها الى هذا المستوى من التقدم بفضل الجدّية والدقة في العمل ومتابعته والاهتمام بالوقت وبنوعية الانتاج وخصال أخرى يحبها الله سبحانه وتعالى، وليس عن طريق الفساد وشرب الخمر والظلم كما يتصور البعض.

وقد ذكرت سابقاً أنّ التقدّم العلمي لم يكن ليتحقق لولا امتلاك الدول الغربية التي أوجدته لبعض تلك الخصال الحميدة، وإلا لكان الدمار من نصيب تلك الدول نتيجة لظلمها وتعسفها.

إنّ هذه الخصال الحميدة هي التي حفظت تلك الشعوب التي تبنتها من الانقراض. ولكننا تخلينا وللأسف عن تلك الصفات والخصال فوصلنا الى ما وصلنا إليه.

وإذا تحلّى عمّالنا وفلاحونا وعلماؤنا وأساتدتنا وطلابنا وباقي طبقات المجتمع بتلك السجايا والخصال الحميدة لتحوّلت البلاد الى روضةٍ يدخل فيها الجميع بالنعيم، وهذه هي طريقة العمل بمفاهيم القرآن.

وعبارة «لا يسبقكم بالعمل به غيركم» لا تعني أنّ علياً لا يريد لأحد أن يعمل بالقرآن؛ بل بالعكس فلو أنّ الناس جميعاً عملوا بما جاء به القرآن، لكان في ذلك مسرةٌ كبيرة لعلي عليه السلام، ولكنه يقول لا يسبقكم بالمفاهيم القرآنية من لا يؤمن بها

فيؤدي ذلك الى تسلطهم عليكم وتأخركم عنهم بسبب عدم عملكم بما جاء به القرآن الكريم الذي يعتبر منبع الكمالات والفيوضات الربانية التي جاء بها الوحي السمائي لسعادة الإنسان ورفيه وتطوره وتقدمه نحو الأفضل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٣ - ١٤ - الوصية بالصلاة وبيت الله:

وبعدها ينبئ عليه السلام على عامود الدين وبيت الله تعالى فيقول: «والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم» «والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تُناوروا»، لا تدعوا هذا البيت يخلى، فإن بيت الله تعالى لو أخلي وترك لا يمهلكم سبحانه وتعالى، أو لا يمكنكم العيش بعد ذلك أبداً، وقد فسرت هذه العبارة بمعاني مختلفة (١).

من وصيته عليه السلام لكميل بن زياد: «يا كميل، ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق، الشأن أن تكون الصلاة بقلب نقي وعمل عند الله مرضي وخشوع سوي. وانظر فيما تصلي وعلى ما تصلي إن لم يكن من وجهه وحته فلا قبول» (٢).

من هذه العبارات يريد الإمام علي عليه السلام من تلميذه الرفي أن ينفذ من القشر الظاهري إلى ما وراء ذلك ويدخل إلى باطن وحقيقة الأعمال.

ويستفاد من ذلك أن لكل عمل جسماً وروحاً، فإذا لم تكن الروح موجودة فيه فالجسم ميت ولا قيمة له، ولا ينبغي للإنسان أن يفرح قلبه بالقشر من دون اللب، فإن اللب والمخ هما الأهم. وكما قال الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم ارزقني... ولباً واجهاً» (٣).

وفي الصلاة المهم هو كينيتها فيجب أن تؤدي الصلاة بقلب طاهر ونقي، وخاضع خاشع لتكون مرضية لله تعالى. وإما إن كانت الصلاة في مكان منصوب أو لباس

(١) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

(٢) تحف العقول، صفحة: ١٧٤.

(٣) مستدرک الوسائل: ١٠/ ٢٢٣ ح ١١٩٠٠.

مغصوب أو غير حلال فلا تكون مقبولة عند الله تعالى.

والرواية وإن كانت واردة في الصلاة إلا أنّ كل الأعمال الأخرى يجب أن تكون كذلك، حتى النشاطات السياسية أيضاً يجب أن تكون مصحوبة بروحية إصلاح الأمة الإسلامية وإلا فلا تكون مطلوبة لله تعالى (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥ - الوصية بالجهاد:

«والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله» إياكم وترك الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم.

إن الأمة الإسلامية كانت الأمة النموذجية في العالم طالما كانت قائمة بالجهاد في سبيل الله، ولكنها أصيبت بالذل والهوان عندما تخلت عن هذه الفريضة الإلهية.

وقد ذكر الكتاب المسيحيون في إنجيلهم عن المسيح عليه السلام أنه قال: «من ضربك على خدك الأيمن فأبِرْ له خدك الأيسر»^(١) يعنون بذلك إتنا مسالمون ولا نعرف للحرب معنى، وشعارنا الرحمة والسلام، ولا يزالوا يرددون هذا من دون حياء ويطعنون بالمسلمين لأنهم أهل الجهاد والحرب والسيف وسفك الدماء، وقد كرروا هذه الافتراءات الى حدٍّ أصبح معه بعض المسلمون يخجل من طرح تلك المفاهيم الإسلامية، مما حدى ببعض العلماء والكتاب المسلمون أن ينكروا وجود موضوع الجهاد في الإسلام، بل قالوا جهادنا هو دفاع فقط.

ماذا يعني هذا الكلام الهزيل، إن الله سبحانه يقول: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾^(٢)، وهؤلاء يقولون لا يوجد عندنا جهاد وإنما هناك دفاع.

الله يقول في قرآنه ﴿إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾^(٣) و ﴿قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار﴾^(٤) وهؤلاء يقولون إن الجهاد في سبيل الله ليس هو الجهاد

(١) تفسير ابن كثير: ٢ / ٨٩.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) سورة الأنفال: ١٥.

(٤) سورة التوبة: ١٨٧.

الابتدائي، وإنما الجهاد الدفاعي فقط^(١).

إن هذه الأفكار نشأت على أثر الإعلام والتبليغ المسيحي الذي يكرّر دوماً أنّ الحرب وسفك الدماء هو شيء قبيح ولا بدّ من الصلح والسلام، وقد صدّق المسلمون هذه الترهات فأصبحوا أذلاء جليسي بيوتهم بعد أن كانت راية العزة ترفرف على رؤوسهم لقيامهم بفريضة الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى.

إن أولئك الذين كانوا يدعون الى الصلح والسلام والرحمة ومُشِينون على المسلمين جهادهم في سبيل الله قاموا بقتل وذبح المسلمين وتشريدهم في شتى بقاع الأرض، وشاهدتم ما يقوم به هؤلاء في البوسنة والهرسك وما قاموا به من عملٍ شنيع في الحرم الابراهيمي الشريف لمسجد خليل الرحمن في فلسطين المحتلة.

وإنّ أولئك الذين كانوا ينتقدون المسلمين سنين طويلة بأنهم دعاة الحرب وسفك الدماء، قاموا منذ الحروب الصليبية وحتى اليوم بشنّ الحروب المدمّرة على المسلمين وارتكاب المجازر المروّعة بحقهم، والتي لا مجال للخوض في تفاصيلها في هذا الوقت المحدود.

وحيثما يقرأ الإنسان ما دُوّن في التاريخ من وقائع وأحداث، فسيبكي دوماً لأجل المظالم العني ارتكبت ومن أجل حالة النفاق التي يعيشها أولئك الذين يرفعون أصواتهم بالصلح والسلام وهم يخفون خناجرهم لغرسها في صدور الأبرياء.

نعم، يجب أن يكون الجهاد في إطاره الإسلامي الذي شرّعه الله تعالى وضمن الضوابط التي وضعت له في الشريعة، فلا يوجد في الجهاد ظلم ولا تعدّي على حقوق الآخرين ولا حجّة لقتل الأبرياء أو القضاء على المسلمين.

(١) الجهاد الابتدائي: هو الجهاد الذي يبتدىء به المسلمون الحرب على الكفار، والجهاد الدفاعي هو عبارة عن صدّ عدوان الكفار عن بلاد المسلمين أو أعراضهم أو أموالهم.

إنّ الجهاد فريضة إلهية إذا أقيمت ستؤدّي الى ارتفاع رؤوس المسلمين عالياً،
ولهذا أكّد عليها أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته المباركة (١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

ثقافة المقاومة والجهاد عند علي

إحدى الظواهر البارزة في الثقافة الإسلامية - ولها مصاديق بارزة وكثيرة في تاريخ صدر الإسلام وأقل منها على مَرَّ الفترة - هي ثقافة القتال والجهاد. والجهاد طبعاً لا ينحصر في نطاق القتال في ميادين الحرب؛ فكل ما ينطوي على جد واجتهاد ومجابهة مع العدو يسمى جهاداً.

إلتفتوا جيداً؛ فلعل البعض يؤدي عملاً ويتحمل فيه مشقة كبيرة، ويدّعي الجهاد. كلا؛ فأحد شروط الجهاد أن يكون في مجابهة العدو. ولكن قد يكون تارة في ميدان الحرب فيسمى بالجهاد الحربي، وقد يكون تارة في ميدان السياسة فيكون جهاداً سياسياً، وقد يكون في الميدان الثقافي فيسمى جهاداً ثقافياً، وقد يكون في مجال البناء فيسمى بجهاد البناء، كما أنّ له ميادين ومجالات أخرى طبعاً. والشرط الأول فيه أن يبذل فيه جهد ومثابرة، وشرطه الثاني أن يكون في مواجهة العدو.

هذه ظاهرة بارزة في الثقافة الإسلامية ولها أمثلة في شتى الميادين. واليوم أيضاً بدأ هذا الجهاد منذ أن انطلق نداء مجابهة النظام البهلوي المقيت، من حنجرة الإمام رضوان الله عليه وأنصاره آنذاك، أي في عام ١٣٤١ (هـ ش) وكان حتى قبل هذا التاريخ ولكن بصورة متناثرة ونادرة وقليلة الأهمية.

منذ أن بدأت هذه المجابهة اتخذت طابعاً أكثر أهمية إلى أن تكللت بانتصار هذا الجهاد الذي تجسد بانتصار الثورة. ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا كان في هذا البلد جهاد دائم.

وبما أنّ لنا أعداء، وأعداؤنا أقرباء في الجانب المادي، وبما أنّ الأعداء قد أحاطوا بنا من كل جانب، وهم يصدون العدوان علينا، وقضية العدوان على إيران لا

يمزحون فيها؛ لأنهم يستهدفون ضربها بأي نحو ممكن، إذن فكل من يقف في إيران الإسلامية بوجه هذا العدو - الذي سدد من كل جانب سهامه السامة إلى جسد هذه الثورة وهذا البلد الإسلامي - فهو مجاهد في سبيل الله. ونحمد الله على أن شعلة الجهاد كانت ولا زالت وستبقى مضيئة.

الجهاد الفكري

وبطبيعة الحال إنَّ أحد أنواع هذا الجهاد هو الجهاد الفكري. أي بما أنَّ العدو قد يباغتنا ويوقعنا في الأخطاء والمنزلقات، فكل من يبذل جهده على طريق توعية الناس، ويحول دون حصول أي انحراف أو سوء فهم، فعمله هذا جهاد؛ إذ هو في سبيل مجابهة العدو، ولعلَّه من الجهاد المهم^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١ محرم ١٤١٧ هـ

١٦ - الوصية بالتواصل:

ثم يقول عليه السلام: «وعليكم بالتواصل والتبازل وإياكم والتدابير والتقاطع»^(١).
وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل التحبب إلى الناس»^(٢).

إن أشرف وأفضل عضو من أعضاء بدن الإنسان هو الرأس.

وفي هذا الحديث يشبه العقل بجسد الإنسان ولما كان أشرف عضو في الجسد هو الرأس فهذا يعني أن أفضل العقل هو رأسه.

ورأس العقل كما في الحديث هو التحبب إلى الناس بأفعاله وأقواله^(٣).
وقال عليه السلام في وصيته لإبنيه محمد بن الحنفية: «وألزم نفسك التودد، وصبر على مؤونات الناس نفسك، وأبذل لصديقك نفسك ومالك، ولمعرفتك وفدك ومحضرك، وللعامّة بشرك ومحبتك، ولعدوك عدك وإنصافك، واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد فإنه أسلم لديتك ودنياك»^(٤).

هذه التوصية جزء من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لأبنيه محمد بن الحنفية. وفيها يقول له: ألزم نفسك التعامل بالموّدة والمحبة واللطف مع الناس، واصبر على تحمل النفقات والتكاليف والمصاريف التي تأتيك من قبل مشاكل الناس ومتاعبهم، فإنه على الإنسان أن يصبر ويتحمل أمام المرارات وعدم المبالاة والجفاء الذي يأتيه

(١) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

(٢) الخصال، باب الواحد، ح: ٥٥.

(٣) كلمات مضيئة: ١٢٧.

(٤) الخصال / باب الثلاثة / ح ١٧٨.

من قبل الناس.

ثم يبين له أنّ هنالك ثلاثة أصناف من الناس الذين يعاشرهم ولكل قسم منهم تكليف محدّد وعليه الإتيان بوظيفته المشخّصة معهم، وهم:

١ - الأصدقاء الأوفياء الأحباء الصادقون، وكما في تعبير بعض الروايات هم إخوان الصفا.

فهؤلاء يستحقون على الإنسان أن يبذل نفسه وماله من أجلهم، (كما إذا تعرضوا لخطر وكان إنقاذهم منه يستلزم الاقدام على الخطر والوقوع فيه).

٢ - المعارف من الناس الذين يجلس معهم ويحدثهم ويخالطهم ولكن لا بذلك المستوى الموجود في الصنف الأول. وهؤلاء ورد التعبير عنهم في بعض الروايات بإخوان المكاشرة^(١).

وحق هؤلاء أنه إذا جلس معهم وحادثهم وكانوا في مجلسه فعليه أن يقوم بضيافتهم ولا يقصّر معهم في شيء من العطاء لهم.

٣ - عامة الناس وهؤلاء يجب أن يتعامل معهم بخلق حسن ومودة فلا يقطب وجهه أمامهم ولا يكون حادّ المزاج معهم.

وأما الأعداء فيجب أن يتعامل معهم بالعدل والانصاف حتى وإن كانوا أعداء،

(١) الكشر: ظهور الأسنان من الضحك، وكاشره: إذا ضحك في وجهه وبأسطه. وفي الروايات قال الإمام الباقر عليه السلام: «الإخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة، فأما إخوان الثقة فهم الكفّ والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصاف من صافاه وعاد من عاداه واكتم سرّه وعيبه وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل أنهم أقلّ من الكبريت الأحمر.

وأما إخوان المكاشرة، فإنك تصيب لذتك منهم فلا تقطعن ذلك منهم ولا تطلبن وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان» (أصول

الكافي: ٢/٢٤٨، ح ٢).

يقول الله تعالى ﴿ولا يجرمكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾^(١).

وأما دينه وعرضه وشرفه ومكانته فهذا يجب التمسك به ولا يعرضه لأحد من الناس أبداً، ولكن هذا لا يعني أنه ومن أجل الحفاظ على شرفه وكرامته وعرضه يباح له أن لا يراعي ولا يحفظ كرامة وشرف الناس. بل المقصود هو أن لا يقوم بعمل يوجب إراقة ماء وجهه وكرامته^(٢).

ومن مواظب عليّ^{عليه السلام} في التواصل والتودد للناس: «إن أحسن ما يآلف به الناس قلوب أودائهم، ونقوا به الضغن عن قلوب أعدائهم حسن البشر عند لقائهم والتفقد في غيبتهم والبشاشة بهم عند حضورهم»^(٣).

إن حسن الوجه وبشاشته وحسن التعامل سبب لكسب محبة الناس وتأليف قلوبهم، وقد ورد في الروايات «التودد تصف العقل»^(٤) وهذا الحديث يجب أن ينتبه إليه كثيراً جميع المسؤولين في النظام الإسلامي وخاصة العلماء المتصدين لبعض المسؤوليات في الإدارات والمؤسسات. لأنه كثيراً ما يراجعهم أشخاص ليسوا على مستوى من الإيمان والتدين فإذا تعاملوا معهم ببرودة وبلا اهتمام واعتناء بهم كان ذلك سبباً لتضعيف اعتقادهم بالدين وتزلزل إيمانهم.

بينما على العكس من ذلك فيما لو كان التعامل معهم بأخلاق حسنة فإنه يوجب أن تكون نظرتهم إلى الدين والإسلام نظرة تفاؤلية فينجذبوا إليه^(٥).

(١) سورة المائدة: ٨.

(٢) كلمات مضيئة: ١٢٨.

(٣) تحف العقول، صفحة: ٢١٨.

(٤) البحار: ٧١ / ١٦٨.

(٥) كلمات مضيئة: .

١٧ - الوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ثم يقول عليه السلام: ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيؤتى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يُستجاب لكم».

إذا اعتادت الأمة أن لا تقول للشيرير أنك شرير، فإنها ستفتح الطريق أمام الأشرار والمنحرفين لتولي زمام أمورها، وعندها لا يُستجاب حتى دعاء الأخيار للخلاص من هؤلاء الأشرار الفاسقين^(١).

إن كل ما بحوزتنا عن أمير المؤمنين عليه السلام غالباً ما يتعلق بفترة حكمته، أما ما يتصل بفترة خمسة وعشرين سنة عاشها من وفاة النبي صلى الله عليه وآله حتى استلامه للخلافة فهو محدود للغاية، فيما تتصف المرحلة التي قضاها أثناء وجود النبي صلى الله عليه وآله بالطابع الجهادي وخضوعها لإشعاعات شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وعليه فإن ما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام غالباً ما يتصل بفترة حكمته التي استمرت إلى ما يقرب من خمس سنين، وقد صدر عن حاكمٍ ليرسم من خلاله الخلق الذي ينبغي للحاكم التزامه، ويختص بعده الأول بالواجب الملحق على عاتق المسؤولين، ويتمثل في أنّ المسؤول في النظام الإسلامي مكلف بالعمل من أجل الخلق وفي سبيل الله كما يأتي، لا من أجل أهوائه ومصالحه الشخصية، فيما يرتبط بعده الآخر بعامة الناس، وهو يتمثل بالدرجة الأولى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على صعيد الشؤون الاجتماعية.

وقد عرفت سابقاً أن التقوى كانت في بعدها الفردي موضع عناية فائقة من قبل

(١) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن ليس هنالك خطاب يفوق في شدته وحزمه وصرامته الخطاب المتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه تكليف عام، ولنا أن نأسف لعدم بيان معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل صحيح.

فالأمر بالمعروف يعني توجيه الأمر للآخرين للقيام بالعمل الصالح، والنهي عن المنكر هو زجر الآخرين عن فعل القبيح؛ وكل من الأمر والنهي فعل لساني ولفظي تسبقهما مرحلة أخرى هي القلبية التي إن توفرت اكتملت بها المرحلة السابقة؛ فإذا ما أعتتم النظام الإسلامي في أمر الناس بالمعروف من قبيل الاحسان للفقراء والانفاق والتزام الأمانة والمحبة والتعاون والقيام بالأعمال الصالحة والتواضع، والتحلي بالحلم والصبر ودعوتهم للإلتزام بهذه الخصال، فإن كانت قلوبكم عاشقة ومتعلقة بهذا المعروف اتسم أمركم ذلك بالصدق.

ومن نهى عن المنكرات من قبيل الظلم والعدوان على الآخرين، وقضم الممتلكات العامة، والتطاول على نواميس الناس، وممارسة الغيبة والكذب والنميمة، والتآمر على النظام الإسلامي، والتحالف مع أعداء الإسلام، ودعا الناس إلى الابتعاد عن هذه الفعال، فإن حمل فؤاده بغضاً لها (للأفعال) إذ ذلك يكون صادقاً في نهيه، وفي مثل هذه الحالة يكون عمله منسجماً مع الأمر والنهي. أمّا إذا تباين القلب واللسان - لا سمح الله - فحينها يدخل المرء في عداد المشمولين بهذا الحديث «لعن الله الأمرين بالمعروف القاريكين له»^(١)؛ فاللعنة الإلهية تحيق بمن يأمر الناس بالمعروف لكنه لا يعمل به، وينهاهم عن منكر لكنه يرتكب ذلك المنكر، وهذا الأمر من الخطورة بمكان.

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٢ كلام ١٢٩.

ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إذا ما جرى بيان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحدودهما للناس حينذاك سيتضح أنهما من أكثر طراز التعامل الإجتماعي حداثة ورقياً وفعلاً وفعالية، ولا يبقى مجال أمام الآخرين للإدعاء بأنه ضرب من الفضولية، كلا، فإنه نوع من التعاون والرقابة العامة والتعاون على نشر الخير وتقويض الشر والفساد، والمساعدة على أن تعتبر الخطيئة خطيئة، فإن أسوأ الأخطار عندما توصف الخطيئة يوماً ما بأنها صواب ويتحول العمل الصالح إلى سيئة وتطال يد التحريف الجوانب الثقافية؛ فعندما يشيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أوساط المجتمع فإن ذلك سيؤدي إلى أن تعتبر الخطيئة في نظر الناس خطيئة إلى الأبد ولن تتبدل إلى صواب وعمل صالح. وإن أخطر ما يحاك ضد الأمة من مؤامرة يتمثل في العمل على تبديل الأعمال الصالحة - التي يأمر بها الدين وفيها يكمن صلاح البلد وتطوره - إلى أعمال قبيحة لدى الناس، فيما تنقلب الأعمال القبيحة لديهم إلى حسنة! إنه خطر في غاية الفداحة.

بناءً على ذلك فإن أولى ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتبار الحسنة حسنة والسيئة سيئة.

والثمرة الأخرى هي لو راجت الخطيئة في المجتمع واعتاد الناس عليها، فإذا ما أراد من يقف على رأس هرم المجتمع دعوة الناس إلى الخير والصلاح والمعروف، حينذاك سيواجه الصعاب في مهمته فلا يستطيع إنجازها بيسر، أو أنه ينجزها عن طريق رصد ميزانية باهظة؛ ولقد كان ذلك من دواعي عدم تمكن أمير المؤمنين عليه السلام مع ما كان يتمتع به من قوة وعظمة - من مواصلة طريقه وأدى بالتالي إلى استشهاده. وقد وردت عنه عليه السلام رواية عجيبة تهزّ كيان الإنسان، حيث يقول عليه السلام: «لنأمرن

بالمعروف وتنهى عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» (١).

أي عليكم بتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساطكم والتمسك به وترويجيه، وإلا فسيسلط الله عليكم شراركم وشذاذكم وأراذلكم، أي سيؤول زمام الأمور في خاتمة المطاف بيد الحجاج بن يوسف الثقفي وأشباهه!

فالكوفة نفسها التي كان أمير المؤمنين عليه السلام يقف على رأس الحكومة وصاحب الأمر والنهي فيها ويخطب في مسجدها، وصل بها الحال نتيجة لتترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يقف الحجاج بن يوسف الثقفي في نفس مسجدها يخطب في الناس ويعظهم كما يحلو له.

فمن هو الحجاج؟ إنه ذلك الرجل الذي لا فرق عنده بين دم الإنسان ودم العصفورا فلقد كان يقتل الإنسان كما يقتل الحيوان أو الحشرة، وقد أوعز ذات مرة لأهل الكوفة بأن يحضروا عنده ويعترفوا بكفرهم ويعلنوا توبتهم، ومن أبي قطعت عنقه! (٢)

لقد ابتليت الأمة بمثل هذه الضروب من الظلم العجيب الغريب الذي يفوق حدود التصور والوصف والبيان، وذلك نتيجة لإهمالها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإذا ما أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفشت في المجتمع الأفعال المنكرة من سطو وغش وخيانة وأصبحت تدريجياً جزءاً من ثقافة المجتمع إذ ذاك ستمهد الأرضية إلى أن يمسك الأراذل بزمام الأمور.

(١) الكافي: ٥/ ٥٦ ح ٣.

(٢) انظر موسوعة المصطفى: ١٠/ ١٣٨.

دوائر الأمر بالمعروف

وبطبيعة الحال فإن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوائر متنوعة أهمها دائرة المسؤولين؛ أي عليكم أن تأمرونا بالمعروف وتنهونا عن المنكر؛ فعلى الشعب أن يطالب المسؤولين بالعمل الصالح، وليس ذلك عن طريق الدعوة والرجاء بل عن طريق الأمر، وهناك دوائر أخرى متعددة.

ولا تقتصر القضية على النهي عن المنكر، بل هنالك الكثير من الأعمال الصالحة التي ينبغي الأمر بها أيضاً؛ فبالنسبة للشباب يعتبر التحصيل العلمي والتعبّد والتحلي بالأخلاق الفاضلة والتعاون الاجتماعي وممارسة الرياضة بأسلوبها السليم والمعقول والالتزام بالآداب والتقاليد الحسنة في الحياة، كل ذلك يعد من المحاسن. وهناك الكثير من المسؤوليات والأعمال الصالحة بالنسبة للرجال والنساء وللأسرة، فحيثما دعوتهم إنساناً للعمل بهذه الأفعال الصالحة فهو يعدّ أمراً بالمعروف.

دوائر النهي عن المنكر

ولا يتحدد النهي عن المنكر بالردع عن الذنوب الشخصية، بحيث يتبادر إلى الذهن أن يسيء شخص ما التصرف في الشارع أو يرتدي زياً مشيناً فيأتي من ينهاه عن ذلك؛ كلا، فالنهي عن المنكر لا يقتصر على ذلك، بل هو معشار العشر منه.

إن النهي عن المنكر يمتد ليشمل كافة المجالات؛ منها على سبيل المثال تطاول ذوي النفوذ على صعيد مجالات أعمالهم، وسوء استغلال المصالح العامة، ودخول العلاقات الشخصية في الشؤون العامة للبلاد من قبيل الواردات والشركات، واستغلال المصادر الإنتاجية، وترجيح المسؤولين للعلاقات الشخصية؛ فقد يرتبط

تاجر وكاسب بعلاقة صداقة وتعاون فيما بينهما، فلذلك شأنه، وقد يقيم مسؤول في الدولة يتمتع بالصلاحيات ومقومات السلطة علاقة خاصة مع شخص آخر، فهذا هو الممنوع والمحذور وما يعتبر في عداد الذنب، ويتعين على كل من يطلع على هذه الممارسات النهي عنها في حدود دائرته أو القسم الذي يعمل فيه، سواء أزاء رؤسائه أو مرؤوسيه كي يضيق الخناق على أولئك الإنتهازيين.

المنكرات الأسرية

كما يمكن ممارسة النهي عن المنكر في إطار الأسرة أيضاً؛ ففي بعض الأسر تهضم حقوق النساء والشباب والأطفال، ولا يد من تنبيه هذه الأسر ودعوتها للإلتزام بهذه الحقوق، ولا يقتصر إهدار حقوق الأطفال بعدم إبداء المحبة تجاههم، بل إن سوء التربية، والإهمال وعدم الاعتناء بهم والبخل عليهم بالعواطف وما شابه ذلك يعد ظلماً بحقهم أيضاً.

المنكرات الإجتماعية

وهناك منكرات شائعة على صعيد المجتمع ينبغي بل يتعين النهي عنها، وهي من قبيل إهدار الثروات العامة والحياتية، والإسراف في استهلاك الطاقة الكهربائية، وإهدار المحروقات والمواد الغذائية، والبذخ في استهلاك الماء والخبز؛ فإننا نهدر كميات كبيرة من الخبز، وهذا بحد ذاته يعد منكرًا في البعد الديني أو الاقتصادي والاجتماعي، ومن اللازم النهي عن هذا المنكر أيضاً. وبمقدور أي فرد ممارسته أزاء المسؤولين عن تهيئة الخبز أو المستهلكين أو العمال، واستناداً للإحصائيات المتوفرة لدينا فإن كمية الخبز المهذور تعادل كمية الحنطة التي نستوردها من الخارج! أليس هذا من دواعي الأسف؟

إن كل تلك الموارد تعد من المنكرات التي يجب النهي عنها، وفي ضوء ما ورد في نهج البلاغة، فلقد جعل أمير المؤمنين عليه السلام النهي عنها أحد المحاور الرئيسة للتوجيهات التي أدلى بها.

فمن خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحدد للمسؤولين المنهجية في العمل وكيفية إصدار الإيعازات ووضع الأصول، أمّا فيما يتعلق بعامة الناس فيتم حثهم على المشاركة والشعور بالمسؤولية وممارسة نشاطهم على صعيد الشؤون الاجتماعية.

إننا نتحمل مسؤولية كبرى هي ذات المسؤولية التي ضحى أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه في سبيلها، وسخر حياته بأكملها منذ أن تبلورت في نفسه القدرة على الجِدِّ والنشاط - منذ إسلامه في صباه وحتى نهاية حياته سواء في مكة أو في المدينة، وما تلاها أو أثناء خلافته - ولم يتوقف عن الجهاد والمثابرة في سبيل الله ولو لحظة واحدة.

إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الأسوة الحقيقية لكل إنسان متأيِّس يتوق للعروج بنفسه إلى ما يرتفع به فوق جميع مخلوقات هذا الكون ولا يرى وجوداً لأي شيء يقف في طريقه ويكبِّله.

يروى الأصعب بن نباتة أنه لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام ورقد في داره، دخلت عليه فوجدته متعصباً بعصابة وقد أصفر لونه وتغيّرت ملامحه ولم تكن صحته على ما يرام، لكنه أذن للناس الذين كان يتملكهم القلق والاضطراب بالدخول فكانوا يدخلون عليه فرادى فيسلمون عليه، وفي تلك الأثناء حيث بدت ملامح الإرهاق وسريان السم في بدنه حتى وصل إلى قدميه، خاطب عليه السلام الناس قائلاً: «سلوني قبل أن تفقدوني»^(١). فلم يتوقف عليه السلام عن الجِدِّ والجهاد حتى قبل اللحظات الأخيرة من

(١) رسائل المرتضى: ١ / ٣٩١.

عمره، ثم اتبعها بالقول: «لكن خففوا عليّ»^(١). صلى الله عليك يا أمير المؤمنين^(٢).

١٨ - الحذر من الانتقام:

ثم تعرّض بعد ذلك لأمرٍ أساسي ومهم وهو مسألة الانتقام من قاتليه. فيقول: «يا بني عبدالمطلب لا أُلْفِيَنَّكُمْ تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قُتِلَ أمير المؤمنين، ألا لا تَقْتُلَنَّ بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربة، ولا يُمَثَّلُ بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إياكم والمُثَلَّة ولو بالكلب العقور».

فأمير المؤمنين عليه السلام العارف بالله صاحب القلب الإلهي الرؤوف كان يخاف من أن يهجم الناس على ذلك الرجل الخبيث ويقطّعه إرباً إرباً ويمثّلوا به^(٣).

هذه هي وصية أمير المؤمنين عليه السلام والتي اشتملت على نحو «عشرين» فقرة تناولت أهمّ القضايا التي اختارها وبيّنها للأمة.

كانت تلك آخر وصايا أمير المؤمنين عليه السلام وإتينا مخاطبون بها، فيجب علينا أخذها والعمل بمضامينها.

ولا أدري كم عدد الساعات التي عاشها أمير المؤمنين بعد أن أنهى وصيته. إنّ شوارع الكوفة وأزقتها ومسجدها كانت مملوءة بكلمات وحيكم هذا الرجل العظيم وينبوع الحكمة المتدفق. وتخزن ذكرياته في قلبها وأسماعها، وقد سُلبت تلك النعمة الإلهية من يد الأمة^(٤).

(١) انظر وفيات الأعيان: ٦١.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٨ رمضان ١٤٢١ هـ - طهران.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

(٤) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

وصايا علي عليه السلام للحكام والحكومات

وظيفة الولاية في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

لقد أعطى أمير المؤمنين عليه السلام درسه الخالد لكل الذين يمارسون دوراً على الصعيد السياسي لمجتمعاتهم، حيث يقول عليه السلام: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ غَيْرِهِ، وَلِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ»^(١).

إذ بإمكان اللسان النطق بكثير من الأشياء، أما ما يأخذ بيد الإنسانية لسلوك صراط الله فهو سيرة وأفعال من يقع عليه الاختيار ليكون إماماً للناس، سواء على مستوى المجتمع أو أدنى مستوى من ذلك. ثم يقول عليه السلام: «ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم».

هذا هو منطق أمير المؤمنين عليه السلام ودرسه؛ فالحكومة ليست ممارسة للسلطة وحسب، بل هي نفوذ في القلوب واستقرار في العقول، فمن كان في هذا الموقع أو وضع نفسه فيه عليه باديء ذي بدء أن ينهمك دوماً بتهديب نفسه وإرشادها ومحاسبتها ووعظها.

من المواصفات التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام لمن يتمتع بالأهلية لإمارة الناس أو تولي مسؤولية قطاع من شؤونهم - وهذا ما يبتدئ من زعامة البلد ويسري إلى ما هو أدنى من الدوائر والمؤسسات، كما يصدق على القاضي أو المتصدي لدائرة من

(١) نهج البلاغة: ٤ / ١٦ رقم ٧٣.

دوائر هذا الجهاز الواسع - وكان عليه يوصي ولاته وقادتها بها، نجدها في قوله عليه السلام: «فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به»^(١).

من هنا يأتي التلازم بين السلطة والأخلاق في الإسلام، فالسلطة إنما هي ظالمة غاصبة إذا ما خلت من الأخلاق.

يجب أن تكون سبل الوصول إلى السلطة والمحافظة عليها سبلاً أخلاقية، فلا معنى في الإسلام للتشبث بأي وسيلة لبلوغ السلطة، وليس ثمة حق لأي كان - فرداً أو فئة - في اللجوء لأي سبيل أو وسيلة للإمساك بالسلطة، كما هو شائع في عصرنا هذا في الكثير من بلدان العالم، فالسلطة المتأتية أو التي تجري المحافظة عليها عن هذا السبيل إنما هي سلطة ظالمة وتفتقد الشرعية.

إنّ للأساليب أهميتها في الإسلام، شأنها في ذلك شأن القيم، فكما يهتم الإسلام كثيراً بالمثل فإن الأساليب تحتل نفس تلك الأهمية، ولا بد أن تتجسد هذه المثل عن طريق الأساليب أيضاً.

وإذا ما أردنا لحكومتنا أن تكون إسلامية بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة فما علينا إلا السير في هذا الطريق دون مواربة، ويجب على المسؤولين في شتى الحقول - بدءاً من رؤساء السلطات الثلاث ومروراً بالمسؤولين من الدرجة الوسطى، كلهم جميعاً - أن تنصبّ جهودهم في استثمار السبل الصالحة والأخلاقية لإنجاز المهام الملقاة على عواتقهم وتحقيق أهدافهم، وقد يؤدي ذلك إلى بعض الاخفاقات والمتاعب في مجال بلوغ الحكم، غير أنه من المؤكد عدم صواب اللجوء للوسائل غير الأخلاقية من وجهة نظر الإسلام وأمير المؤمنين عليه السلام، فهذا هو منهج علي عليه السلام الذي يتعين علينا اقتفاؤه^(٢).

(١) نهج البلاغة: ١ / ١٥٣ خ ٨٧.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٠ ذي الحجة ١٤٢١ هـ - طهران.

الصيانة عن الانحراف

يجب أن لا نفسح المجال لأنفسنا للتصور بأننا لا يمكن أن يطرأ علينا الخطأ أبداً، أي أن على الإنسان أن لا يعتمد على ما نحن عليه - على سبيل المثال - من تدين و طاعة الله ويدّعي بأننا لا يمكن أن يطرأ علينا الانحراف، كلا، فليس الأمر كذلك؛ لأنّ إمكانية السقوط والانحراف عن الصراط المستقيم يمكن أن يعرض لأيّ واحد منا، وكلنا قادرين كذلك على التوقّي من الانحراف.

فلا تتصوروا أننا ندّعي أنّ هناك قضاءً مبرماً وحتمياً فيما إذا سار شخص ما في طريق المسؤولية فإنّه يعرض للسقوط؛ كلا، فإنّ الإنسان يستطيع أن يكمل مسيرته دون أن يتعرّض للسقوط والانحراف، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ الإنسان يمكن أن يضمن عدم تعرضه للانحراف؛ واعتماداً على ذلك يكون مرتاح البال ويضع رأسه على وسادة من الحرير وهو غافل عن نفسه؛ بل علينا أن لا نغفل عن كلا طرفي القضية.

وسائل الاجتناب والتوقّي من الانحراف

أحد هذه الوسائل هو مراقبة النفس، علينا أن نراقب أنفسنا، وإذا فعلنا ذلك فسوف نتجنب الانحراف، أما إذا لم نقوم بمراقبة أنفسنا فلا محالة من الانحراف، ويحصل هذا إما بسبب لين وضعف أسسنا ومبانينا العقائدية، أو بسبب الشهوات التي تعتري الإنسان، حتى أولئك الذين يمتلكون الأسس والمباني العقائدية المتينة، في بعض الأحيان تتغلب الشهوات النفسانية على تصوراتهم وأفكارهم الصحيحة والمتجذرة في مبانيهم وأهدافهم فيقعون في الانحراف؛ وهذا ما لمسناه من خلال التجربة.

توجد هناك عدّة آياتٍ في القرآن الكريم تنطرق الى هذا الأمر، ومن هذه الآيات، والتي تهتز لها مشاعر الإنسان هي الآية التي تناولت الحديث عن معركة أحد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(١) وسبب هذا الانكسار والتقهقر هو (ببعض ما كسبوا) أي بسبب بعض المعاصي التي فعلوها في الماضي؛ فإنّ التعلّق بالشهوات والأهواء النفسية تبرز آثارها في مثل هذه المواقف؛ أو في آية شريفة أخرى عندما يُقال لهم أنفقوا، فيتخلفوا عن الإنفاق تكون نتيجةهم ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾^(٢).

فعندما يقطع الإنسان على نفسه عهداً بينه وبين الله تعالى، ثم يتخلف عن ما وعد الله فيه؛ سوف يستحوذ النفاق على قلبه.

وبناء على ذلك، فإننا إذا لم نلتفت إلى أنفسنا واتبعنا الشهوات وهوى النفس، نكون بذلك قد غلبنا هوى نفوسنا على إيماننا وعقلنا، وسوف نقع في الانحراف الذي كنّا نخشى الوقوع فيه؛ وبناءً على ذلك لا بد للإنسان أن يكون دائم التصور لإمكانية السقوط في الانحراف، فلا يعتقد أنّ أحد أنه بعيد عن خطر الوقوع في الانحراف؛ هذه المسألة الأولى، وأحد الأمثلة عليها هي قصة (بلعم بن باعورا) المعروفة حيث وصل الى درجة (آتيناه آياتنا) ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها...﴾^(٣).

إذا أردنا - ونحن في هذا الموقع من المسؤولية - أن نصون أنفسنا من خطر الوقوع في الانحراف، علينا أن لا نتأذى من النصائح الخشنة من قِبَل المصلحين؛ لأنّ أحد

(١) سورة آل عمران: ١٥٥.

(٢) سورة التوبة: ٧٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٥.

طرق النجاة هو الاستماع لمثل هذه النصائح.

يوجد هناك بعض الأشخاص المؤذين الذين يتكلمون بأنواع الكلام، ويقومون بترويج الشائعات هنا وهناك وبإثارة الحروب النفسية والكذب على هذا وذلك بلا رادع، ويمكن أن يعتري قلب الإنسان الألم من جراء أفعالهم - إلا أنه لو علمتم بأن أحداً ما لا يقصد العناد والعداء، فلا بد أن لا تتأذوا منه حتى وإن كان يتكلم بلهجة خسنة - وعليكم أيضاً أن لا تنقادوا للكلام المعسول والمغري للمتملقين، وهذه أيضاً مسألة أخرى، وأعتقد لو أننا التزمنا بها سوف ننتفع كثيراً.

شرح رسالة أمير المؤمنين لمالك الأشتر

لو راجعنا الرسالة التي بعثها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الى مالك الأشتر لوجدنا أنها تحمل في طياتها نوع من الخشونة والمرارة، فالإمام عليه السلام في رسالته الى مالك الأشتر يتكلم بلهجة حادة، بحيث لو أن شخصاً ما يقوم بنصيحتنا بهذا الشكل لأعرضنا عنه.

إلا أن مالك الأشتر يتحمّل ما يقوله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كيف لا وقد وصفه بقوله: «فإنه ممن لا يخاف وهنه، ولا سقطته ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل»^(١) أي كما أنه رجل ليس بغافل عن نفسه، هو حكيمٌ وعالم في نفس الوقت، فهو لا يسرع في المكان الذي يستلزم البطء، ولا يبطئ في المكان الذي يستلزم السرعة، الإمام عليه السلام كان يصف مالك الأشتر بهذا الوصف في رسالة بعثها الى اثنين من قادة الجيش في صفين.

وأما ما اخترناه لكم من كلام للإمام عليه السلام في هذه الرسالة، فهو يشتمل على عدّة عبارات.

العبارة الأولى: هو قول الإمام عليه السلام: (ولا تقولن أني مؤتمر أمر قاطاع) ولا (تقولن) - كان في كلام الإمام عليه السلام مبالغة وتأكيد - كان ينصحه بالاجتناب عن رؤية نفسه وإلغاء وجود الآخرين، فليس من الضرورة أن يستأثر المسؤول في الكلام ويقوم بتوجيه الأوامر الى الناس وعليهم السمع والطاعة دون أن يعترض عليه معترض، (فإن ذلك ادغال في القلب) أي أن هذا التصور يؤدي الى فساد القلب (ومنهكة

(١) نهج البلاغة: ٣ / ١٤ ح ١٣ .

للدِين) المنهكة معناها إضعاف تدِين وإيمان الإنسان (وتقرب من الغير) أي أنّ هذه الحالة تؤدي الى تقريب الأمور الغير مرغوبة، كالإعجاب بالنفس والغرور والاستثثار بالرأي من قبل الأشخاص المسؤولين.

و (الغير) هي الأمور التي تحدث نتيجة التغييرات التي ليس هي بصالح الشخص -تغييرات الدهر التي لا يريدّها الإنسان أن تحدث- وهي التغييرات التي تسلب من الإنسان فرص كثيرة كخدمة الناس والملك والقدرة.

العبارة الأخرى: قوله عليه السلام: (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك) ومعنى (أنصف الناس من نفسك) أن تأخذ الحق للناس من نفسك، و(أنصف من نفسك) أن تأخذ الحق للغير من نفسك؛ وأن تكون مداناً أمامه؛ وتتخلى عن مصالحك مقابل مصالح الآخرين إذا استدعى الأمر ذلك. يقول الإمام عليه السلام: (أنصف الله من نفسك)؛ ومعنى هذه الجملة أن عليك أن تتحمل المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، وتدين نفسك على ما تقوم به من تقصير في التكليف الإلهية، وأن لا تتصور أن كل ما كلفت به قمت بإنجازه على أتم وجه؛ كلا، عليك أن تعد نفسك مقصراً ومديوناً، هذا بالنسبة لله تعالى، ثم يأتي الدور الى (أنصف الناس من نفسك) أي عندما تقضي بين الناس فعليك أن تعتبرهم كلهم حاكمون ودائنون وأصحاب حقّ وأنت مدان، إلا أنّ هذا لا يعني أنه إذا ما وقع عليك ظلماً معيناً وكنت صاحب حق أن تدعي أنّ الحق ليس لك، كلا، فإنّ ما قلناه يعتبر مفهوماً عاماً.

إنّ للناس حقوقاً، وهم أحياناً يطالبون بها، ويرفعون أصواتهم من أجلها، وأحياناً يستفزون الإنسان بصراخهم؛ فلنفرض أنّ مجموعة من الناس كانوا يراجعون دائرة من الدوائر ولسبب ما تعالت أصواتهم، فمن الطبيعي أنّ أول فكرة تخطر على ذهنك هي أنّ هؤلاء ما كان يحق لهم أن يأتوا الى هنا -باعتبارك غير مخطيء- و

يقوموا بإثارة الشغب؛ فالأمر ليس كذلك، فلا بد أن يكون أول تفكيرك هو أن هؤلاء أصحاب حق، وعليك أن تنظر بمطالبهم.

وكما عليك أن تأخذ حق الناس من نفسك، فكذلك (من خاصة أهلك)؛ كإبنك وأخوك وأقربائك وعشيرتك؛ (ومن لك فيه هوى من وعيتك) فإذا ما كانت هناك فئة من الناس داخلة في حمايتك الخاصة، فعليك أيضاً أن تأخذ الحق منهم.

وأنت باعتبارك مسؤولاً - كأن تكون وزيراً أو رئيساً للوزراء - عندما تنحاز الى طبقة معينة من الشعب، سوف تكون السبب في حصول هؤلاء على بعض الموارد التي تمكنهم أن يكونوا أصحاب نفوذ، مما يؤدي الى تسلطهم على الناس وبالتالي التعدي على حقوقهم، فعليكم أن تنتبهوا لهذا.

ومن العبارات الأخرى في هذه الرسالة المهمة هي: (وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق و أعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية).

إنّ سلسلة الأعمال التي لا بدّ أن يؤديها الإنسان كثيرة، ولا يستطيع أن يقوم بها جميعاً، فعليك أن تقوم بالأعمال المحبوبة، ومثل هذه الأعمال تكون (أوسطها في الحق) الوسط معناه بين الإفراط والتفريط، والحقّ أيضاً كذلك لا يكون فيه إفراط ولا تفريط، (أوسطها في الحق) أي قد روعي فيها الحق على أتمّ وجه.

(وأعمها في العدل) أي أنّ العدالة التي يدعوا لها يجب أن تعم الناس؛ لأن في بعض الأحيان تكون هناك عدالة، إلا أنها لا تعم الناس جميعاً، بل ينتفع بها أناس معدودون ومن الممكن أن يكون هناك عمل ليس فيه ظلم - عمل عادل وصحيح - إلا أنّ دائرة الاستفادة منه محدودة.

وأحياناً على العكس من ذلك، يقوم الإنسان بعملٍ عادلٍ ويستفاد منه مجموعة كبيرة من الناس، فليكن هذا الأمر أحب الأمور إليك.

وكون العمل محبوباً؛ هو أنك تختاره إذا ما دار الأمر بينه وبين عملاً آخر، وهذا

هو معنى الأولوية التي كنا نتحدث عنها دائماً، وهذا هو أحد مصاديق الأولوية. (واجمعها لرضى الرعية) أي لا بدّ أن تختار العمل الذي يكون فيه رضى الناس، و(الرعية) تطلق على الناس؛ أي الإنسان الذي لا بدّ أن ترعاه.

يتصور البعض أنّ الرعية هي أمرٌ قبيحٌ، مع أنها ليس كذلك، وإنما تعني الشخص الذي عليك أن ترعاه؛ وهم عموم الناس.

إنّ مفردة (الرعية) تطلق غالباً على السواد الأعظم من الناس، وليس على الخواص أو مجموعة بالذات، وقد صبّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام والقرآن الكريم بالغ الاهتمام على هذه الطبقة من الناس، التي يطلق عليها عوام الناس، وهذا هو الأمر الذي يعترض عليه الخواص من أن يناقش في المسائل السياسية والثقافية، وهو ما يسمى اليوم بـ (الميل الى عامة الشعب) والذي يطلق عليه مصطلح (الوليسم)، ولم يكن يدعي هذا الأمر إلا جماعة أو حزب أو تشكيل أو مجموعة خاصة تنتخب وتكون هي مركزاً للقرارات والتنفيذ، وبالحقيقة مركزاً للمصالح.

ومن التصورات الساذجة، أنّ الإنسان يرى أنّ هناك مجموعة خاصة تكون هي مركز القرارات، يؤدون الأعمال ويقومون بالتنصيب؛ وعندما تأتي النوبة لتقسيم الغنائم، يتظاهرون بمظهر الزهاد فلا يأخذوا منها شيئاً، ويقولون قسّموها قسّموها على الناس! التجربة لا تؤيد هذا، ولا يحكم به المنطق.

لهذا، إننا نجد المنطق العلوي، يأخذ بنظر الاعتبار عامة الناس، فلا يختص بمجموعة معينة وطبقة خاصة تحمل عنواناً معيناً وترى لنفسها مكانة خاصة، وهذا لا يعني وجوب إيقاع الظلم عليهم؛ كلا، فهم مثل بقية الناس، لا يمتلكون أمراً خاصاً؛ وليس لهم ميزة عن غيرهم في نظر الإسلام؛ ولهذا يقول عليه السلام: (واجمعها لرضا الرعية)، لا بدّ أن يأخذ رضى عامة الناس بعين الاعتبار.

ثم يستدل الإمام عليه السلام إستدلالاً مذهلاً ورائعاً، فيقول: (فإنَّ سخط العامة يُجحف برضى الخاصة)؛ أي أنَّ الملاك والمعيار هو رضى عامة الناس وعدم رضاهم، لماذا؟ لأنَّ عدم رضى عامة الناس، يؤدي الى اضمحلال رضى الخاصة، فكثيراً ما يحدث أنَّ مجموعة من المثقفين أو النخب السياسية تقوم بتأييد الدولة والحاكم، في حال كون عموم الناس لا يرضون عنها؛ فإنَّ عدم رضى عموم الناس هذا يؤدي الى هزيمة رضى الخاصة ونفيه من الوجود؛ ولقد جربنا ذلك عملياً؛ والعكس أيضاً صحيح (وإنَّ سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة) أي لو أنك قمت بإرضاء عامة الناس، فإنَّ سخط المجاميع الخاصة يمكن أن يغتفر ولا يكون له أثر؛ وبناءً على ذلك، فعلينا أن نتوجّه الى إرضاء عموم الناس.

ثم إنَّ للإمام عليه السلام إلفاتة رائعة - وحقاً لقد شاهدنا ذلك، ولمسناه في السنين التي كانت المسؤولية ملقاة على عاتقنا - (وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند مُلمات الدهر من أهل الخاصة)^(١).

إنَّ الخاصة هي سبب المتاعب في كل الأماكن؛ لأنهم يستأثرون بالمؤونة الكبيرة من قِبَل الوالي في وقت الرخاء والسعة؛ ويطلبون كل شيء. وغالباً - نحن نقول (غالباً) أما الإمام عليه السلام فيطلق ذلك - ما تصرف الدولة أكبر ميزانية للخاصة في حالة الرفاه والأمن (واقل معونة له في البلاء) فمثلاً إذا ما حدثت حرب أو تجاوز على البلاد، فإنك لا تجد أثراً لهؤلاء الخاصة، فهم قليلي التواجد في ميادين القتال.

(وأكره للإنصاف) أي أنَّ الخاصة يتذمرون من العدل والإنصاف أكثر من غيرهم (واسأل بالإلحاف) ويلجئون أكثر من الجميع في طلباتهم.

أما العامة فلهم حاجات أيضاً وأحياناً يكتبون الرسائل ويدونون فيها طلباتهم لمرة واحدة لا أكثر، فيحقق المسؤول طلباتهم قدر المستطاع وأحياناً لا يحقق ذلك؛ فهم على العكس من الخاصة من الانتهازيين السياسيين والإقتصادييين فإنهم إذا أرادوا شيئاً ما، فإنهم يلتصقون كالقراد فلا ينصرفوا حتى يحققوا مآربهم.

(وأقل شكراً عند الإعطاء) وإذا ما وهبوا شيئاً فإنهم لا يشكرون إلا قليلاً، إلا أن عامة الناس ليسوا كذلك؛ فلو أنك قمت ببناء مدرسة صغيرة في منطقة من مناطقتهم المحرومة، فسوف يدعون لك ويظهرون لك المحبة، وفي المقابل لو أنك هبأت أفضل الامكانيات للخاصة فسوف لا يشكرون إلا قليلاً.

(وأبطأ عذراً عن المنع)؛ عندما يتعذر على الإنسان إعطاء الخاصة شيئاً، فإنهم لا يقبلون عذره وإن كان عذره مقبولاً.

(وأضعف صبراً عند مُلِمات الدهر) وإذا ما أصابتهم مصيبة كالابتلاء بكارثة طبيعية أو اجتماعية، تجدهم أكثر الناس جزعاً وتبرماً من غيرهم، فيظهرون الجزع والتأثر (وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة) إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يعتقد أن قاعدة الدين هم عامة الشعب، فإذا ما كانت هناك نظرية باسم (وليسم) - التي تعني الميل الى عامة الشعب - فإنها نظرية علوية بالأساس، وهي موضع احترامنا وتقديسنا .
(والعدة للأعداء) عند اندلاع الحرب..

(فليكن صفوك لهم وميلك معهم) سوف أتطرق مرة أخرى الى ما تعرضنا له سابقاً من قوله عليه السلام (أوسطها في الحق) فإن من الصعوبة التعرف على الحد الوسط مع وجود المسائل الاقتصادية والاجتماعية المعقدة في الوقت الحاضر.

إن المهمة التي تقع على عاتقكم - باعتباركم مسؤولون في الحكومة - هو أن تلتمسوا الدقة لمعرفة الحد الوسط، باعتباره (أعم للعدل) و (أشمل لرضا العامة) و

(أوسط الى الحق) على أن ذلك يجب أن لا يتنافى مع الحسابات الصحيحة التي لا بد أن يلتزم بها الإنسان اليوم برغم وجود العلاقات الاجتماعية والاقتصادية المعقدة.

من المعلوم أن رسالة الإمام عليه السلام هي رسالة طويلة، وقد تعرفتم عليها؛ من خلال تكرارها المستمر على ألسنتنا.

ومن العبارات الأخرى التي جاءت فيها (ثم انظر في أمور عمالك)، أي اجعلهم موضع اهتمامك، (فاستعملهم اختياراً) أي تقوم باختيار الأصلح منهم، وبناءً على ذلك لا بد أن ننتخب الشخص الذي يليق لمنصب الرئاسة وتجعله موضع اهتمامك بكل ما للاهتمام من معنى.

(ولا تولهم محاباة وأثرة)، أي لا تختارهم على أساس القرابة والصداقة، دون مراعاة للقابليات التي يمتلكها الشخص، ولا على أساس الجبر والاستثثار؛ بأن يتمسك بالشخص الفلاني، من دون مراعات للملاكات والمعايير، أو دون التشاور مع أهل النظر والخبرة.

ثم يذكر الإمام عليه السلام خصوصيات أصحاب التجربة والحياء... الخ؛ الى أن يصل الى قوله: (ثم أسبغ عليهم الأرزاق) أي عند اختيارك للولاية الصالحين، عليك أن تؤمن لهم معيشتهم.

(ثم تفقد أعمالهم) هذا الأمر الذي كنت أوصي به المسؤولين دائماً، كما كنت أوصيهم في السابق، والآن كذلك أوصيكم، وأوصي رئيس الجمهورية الدكتور أحمدي نجاد؛ عليكم مراقبة عمالكم والمكلفون من قبلكم في شؤون الدولة باستمرار؛ اجعلوهم نصب أعينكم ولا تغفلوا عنهم، كونوا كالحارس في الليل يدير المصباح دائماً ويبحث في الزوايا المظلمة.

(ثم تفقد أعمالهم) أي تابع أعمالهم، وانظر هل ينجزونها أم لا؟ وإذا ما أنجزوها

فهل ينجزونها بصورة صحيحة أم يبقى فيها نقصاً.

(وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فإنّ تعامدك في السر لأموهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية) أي أنّ هذا يؤدي الى سعيهم الحثيث في أداء الأمانة.

(فإنّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك) أي بعد أن تتأكد من خيانة أحدهم، لا تقوم بترتيب الأثر على ذلك فور وصول التقرير إليك، بل عليك أن تتأكد بأن فلان من الناس ارتكب خيانةً من خلال التقارير المتواترة والمسلمة وحينها تكون .

(اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله) وعندها لا بدّ أن يُعاقب، وإن للعقوبة حدوداً وشروطاً وأشكالاً ومتطلبات مختلفة، فلا بد أن تؤدي العقوبة على النحو الذي تتطلبه.

لقد كنت مضطراً لاختيار بعض المقاطع الضرورية من الرسالة؛ لطولها - وهذا لا يعني أن باقي الرسالة ليس له أهمية - يقول عليه السلام (واياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يُعجبك منها) يحذر الإمام عليه السلام من الوقوع في فخ الغرور والإعجاب بالنفس؛ لأنّ الإنسان يعتقد في بعض الأحيان بأن له مواهب دون غيره - كأن يمتلك فهماً جيداً، أو بدنناً قرياً، أو قدرة ذهنية ثاقبة، أو مخزناً كبيراً من المعلومات، أو لساناً فصيحاً، أو صوتاً جميلاً، أو جمالاً خارقاً - وبمجرد أن يشعر الإنسان بوجود حالة الإعجاب في النفس، تراه لا يلتفت الى العيوب الموجودة الى جانب محاسنه وهنا يكمن الخطر الذي حذر منه أمير المؤمنين عليه السلام.

قد يبادر أحدكم بقوله: إنني أجد في نفسي هذه الموهبة، فما الذي أفعله؟

فقد يكون أحدهم حصل على المرتبة الأولى من بين جميع التلاميذ، أو حصل على درجة الامتياز الساحق في العمل الفلاني؟ فماذا يفعل؟ هل يقض الطرف عن

هذا الامتياز؟ كلا، عليه أن يفتخر بهذا الامتياز؛ لكن الى جانب ذلك عليه أن يستشعر التواضع والعيوب ونقاط الضعف الكثيرة التي يمتلكها.

إنَّ سبب اعجاب الإنسان بنفسه، هو طبيعة الإنسان، فهو يرى نقاط قوته، ولا يلتفت الى نقاط ضعفه؛ ولهذا فإن النتيجة التي يصل إليها من خلال ذلك هي الإعجاب بالنفس؛ وهذا هو الخطأ. فعلينا أن نلتفت الى نقاط الضعف فينا كما نلتفت الى نقاط القوة.

(واياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها). أي لا تعتقد أن كل ما تمتلكه من صفات هي نقاط قوة؛ لأنَّ ما يتصوره الإنسان من وجود لنقاط القوة في نفسه قد يكون وهماً أحياناً؛ لأنه يقوم بمقارنة نفسه مع أصحاب المستوى الداني، وعلى ضوء ذلك يقيّم نفسه، فيعطي لنفسه امتيازاً عالياً، و لو قارن نفسه مع أصحاب المستوى العالي لحصل على درجة ضعيفة عند التقييم، وعلى ضوء ذلك، عليكم أن لا تعتمدوا على ما ترون في أنفسكم من مزايا.

(وحب الاطراء) أي عليك أن تحذر من التعلق بما يمدحك به الآخرون (فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين) أي أن حب الإنسان للإطراء، هو من أفضل فرص الشيطان التي يستفاد منها؛ حيث يسلب الأعمال الحسنة والجميلة والفضائل الروحية والمعنوية من حياة الإنسان.

ثم يتطرق أمير المؤمنين عليه السلام الى فقرة مهمة جداً فيقول **(واياك والمن على رعيقتك بإحسانك)** أي أن ما تؤديه من أعمال للناس هو من واجباتك فلا تمن بها عليهم **(أو التزيد فيما كان من فعلك)** أي لا تضخّم الأعمال التي تقوم بها، ففي بعض الأحيان يقوم الإنسان بعمل ما ثم يقوم بالمبالغة في مدحه، فيضاعفه أضعافاً مضاعفة عن الحقيقة التي هو عليها **(أو أن تعدهم فتتبع موعدهك بخلفك)** لا تخلفوا مواعيدكم، وإذا ما عاهدتم الناس بأمر فاحرصوا على أدائه، اعتبروا أنفسكم أسرى

لتلك العهود، لا تتحججوا بقولكم: إنَّ هذا العمل لا يمكن أن يتحقق، عليكم أن تصروا على أدائه، إلا أن يتعذر على الإنسان أن يفِي بوعده، وهذا أمر آخر؛ أما إذا كانت هناك القدرة على الوفاء بوعدك فافعل كل ما بوسعك من أجل أن تقضي حاجات الناس، ومن دون أن تمن بها عليهم (فإنَّ المنَّ يبطل الإحسان والتزويد يذهب بنور الحق) (والخلف يوجب المقت عند الله والناس) (وإياك والعجلة بالأمر قبل أوانها)^(١) إنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشبه العجلة والقيام بالعمل قبل مواعده في خطبة أخرى بقطف الثمار قبل أوانها، فيقول: إنَّ الإنسان الذي يقطف الثمار قبل أوانها، كالشخص الذي يزرع للآخرين فلا يحصل على شيء مما زرع.

إنَّ الذي ينثر بذوراً في أرض غيره، سيكون ثمرها إلى ذلك الغير ولا يصل له من ريعها شيء؛ أما إذا نثر البذور أو الشجيرات في أرضه، وحافظ عليها عند نموها، وبذل جهداً في مراحل زراعتها، ثم أثمرت، فسوف تعود بثمرها عليه، أما إذا جنى الثمر قبل موعد قطافه، فسوف تذهب جميع الجهود التي بذلها هدرًا.

لقد حذّر أمير المؤمنين عليه السلام من مغبة العجلة والقيام بالعمل قبل أن يحين مواعده في كلا الخطبتين.

(أو التَّسْقُطُ فِيهَا عِنْدَ إِمَّكَانِهَا) والتسقط يعني الإهمال والتقصير وعرقلة العمل.
إذاً فالعجلة والإهمال مذمومان.

(أو اللجاجة فيها إذا تنكرت) أي عندما يعلم بوجود عمل خاطئ، فينبغي عدم الإلحاح فيه، والإصرار عليه، فعلى سبيل المثال لو أننا قمنا بطرح فكرة معينة أقمنا الدليل عليها وتابعتها وبذلنا جهداً من أجلها، واختلفنا بالرأي مع الآخرين بسببها، ثم اتضح لنا أنها خطأ؛ فلا ضير إذا تراجعنا عن هذه الفكرة.

على الإنسان أن لا يبقى مصراً على رأيه؛ (إذا تنكّرت) أي عندما يتضح المنكر.
 (أو الوهن عنها إذا استوضحت) أي عندما يُعلم أنه لا بدّ من القيام بالعمل الفلاني؛
 فعلى الإنسان أن لا يقصر في أدائه^(١).

ومن وصيته عليه السلام لكميل بن زياد: «يا كميل، لست والله متملقاً حتى أطاع، ولا ممتناً حتى
 لا أعصى، ولا مائلاً لطعام الأعراب حتى أنحل إمرة المؤمنين وأدعى بها»^(٢).

في هذا القسم من الوصية يتبرأ الإمام عليه السلام من الطرق والأساليب المتداولة
 والمتعارفة التي يتشبث بها أهل الدنيا للوصول إلى الحكم والحكومة واستحكام
 أمرهم وحفظه والتّملق لا يكون دائماً مقابل أصحاب القدرة والسلطة والمال فقط
 بل أحياناً يتملق الحاكم شعبه بل الذين يعملون عنده ويطيعونه أيضاً لكي يكونوا
 في طاعته.

يقول عليه السلام: بأنه لم يتم بإحياء الأمانى في قلوب الناس ولم يعطهم الوعود الفارغة
 ويشغلهم بها لكي يطيعوه ويتقادوا له. وكذلك لم يرغب بأكل طعام سكّان الصحراء
 البسيط وغيره من الأطعمة لأجل أن يصل من هذا الطريق إلى إمارة المؤمنين.

وليعلم أن هذه الجملة قالها من كان يأكل أبسط الطعام ومن اختار لنفسه أحسن
 وأشق الظروف المعيشية. ولكن في نفس الوقت يقول: بأنه لم يفعل ذلك لأجل
 الوصول إلى الحكومة ولم يتظاهر به رياءً.

وهذا الأمر مهم جداً لنا ويجب أن نعتبره درساً لتكون نياتنا وأغراضنا خالصةً لله
 تعالى، ويكون كل عمل نقوم به نابعاً من صميم الشريعة ولأجل الله تعالى فقط^(٣).

(١) من كلمة ألقاها في ١٧/٧/١٣٨٤ هـ الموافق ١٤ رمضان المبارك ١٤٢٦ هـ الموافق ١٠/٩/٢٠٠٥ م طهران.

(٢) تحف العقول، صفحة: ١٧٥.

(٣) كلمات مضيئة: ١٠٠.

شهادة أمير المؤمنين علي عليه السلام

وقعت الفاجعة الكبرى في سحر ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، أي أن أمير المؤمنين عليه السلام - مظهر العدالة - ضُرج بدمه في محراب الصلاة وخُصّب وجهه الكريم بدم رأسه الشريف، بسبب جهاده في سبيل العدل والإنصاف وتطبيق حكم الله (١).

لقد أصيب أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) بسبب هذه العظمة وهذه القيمة الراقية التي تجمعت في وجوده، وارتكبت هذه المأساة الإنسانية الكبرى بحقه من قبل الأشقياء الضالين، وقد وُصِفَ دم أمير المؤمنين عليه السلام بأنه نار الله، فإنكم تخاطبون الإمام الحسين عليه السلام: «السلام عليك يا نار الله وابن ناره» فليس الله هو المنتقم لدم الإمام الحسين عليه السلام فحسب بل إن دم أمير المؤمنين عليه السلام هو نار الله أيضاً، أي أن المنتقم لدمه وولي دمه هو الله سبحانه وتعالى.

لقد كان هذا يوم مصاب بالنسبة لأهل الكوفة ولدنيا الإسلام، وهو يوم مصيبة بالنسبة لكافة الأجيال المسلمة بل لجميع الأحرار في العالم وذلك للآثار التي خلفتها شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ولحرمان المسلمين من تلك الحكومة العادلة.

فلقد كانت الواقعة من العظمة بحيث إن صوت المنادي سُمِعَ بعد أن أصيب أمير المؤمنين عليه السلام عند طلوع الفجر بضرية ابن ملجم وهو في المسجد وسالت دماؤه

(١) من كلمة ألقاها في ١٧/رمضان المبارك ١٤٢٦هـ الموافق ٢٩/٧/١٣٨٤هـ. ق. الموافق ٢١ /

الطاهرة على وجهه ولحيته، وهو يقول: «تهدمت والله أركان الهدى»^(١)، فلقد كان أمير المؤمنين عليه السلام ركن الهدى.

لقد أفنى أمير المؤمنين عليه السلام شبابه مفعماً بالجهاد وكهولته مليئة بالغصص والمنغصات وكانت نهايته مكللة بالمصاعب الجمة الممتزجة بالمظلومية، وحقاً كان أمير المؤمنين عليه السلام أعظم مظلوم، فقد أمضى حياته مظلوماً وانتهت بشهادة كبرى^(٢).

حقيقة استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام

إنّ استشهاد أمير المؤمنين ليس مأتماً ومصيبة حدثت في زمن، وعلينا حالياً أن نتذكرها ونذرف الدمع على صاحبها، بل إنها مصيبة خالدة مع الأيام، فهي مصيبة عبّر عنها جبرئيل بقوله: «تهدمت والله أركان الهدى».

إنّ استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام يعدّ خسارة للإنسانية على مرّ العصور، وقد ذكرت فاطمة الزهراء سلام الله عليها لنساء المدينة قبل ذلك بخمسين وعشرين سنة وهي على فراش المرض: إنهم لو وُلّوا علياً عليه السلام (لسار بهم سيراً سُجْحاً)، والسُّجْح: هي الطريق السهلة، أي أنه يحملهم على المحجّة، (لايكلّم خُشاشنة) أي أنه -بتعبيري- لايسمح لاقتدار الدولة والنزعة السلطوية أن تحدث جرحاً في جسد المجتمع الإسلامي، وتعمل على سعادة الناس مادياً ومعنوياً، «ولا يكلّ سائرهم، ولا يُملّ راعبه، ولاوردهم منهلاً عذباً صافياً رويّاً»^(٣).

ولم يسوّلوها علياً عليه السلام إلا بعد ذلك بخمسين وعشرين سنة، فتصدى أمير

(١) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٨٢.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٩ / رمضان / ١٤٢٤ - طهران.

(٣) الإحتجاج: ١ / ١٤٨.

المؤمنين عليه السلام وتمكن خلال مدة حكمه - من شهر ذي الحجة عام (٣٥) الى شهر رمضان من عام (٤٠)، والتي استغرقت أربع سنوات وتسعة أشهر أو عشرة أشهر - من انجازات عظيمة، ولولا سيف الغدر والخيانة الذي حملته اليد الأثيمة لابن ملجم ومن ورائه المخططون لهذه الجريمة، لاستمر الإمام في انجازاته ولسدد مسيرة العالم الإسلامي، ومن هنا فإن المصيبة التي حدثت في ذلك اليوم انما طالت العالم الإسلامي وتاريخ الإسلام، ولذلك كانت هذه المصيبة مصيبة خالدة مع الأيام^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٥/٨/١٣٨٣ هـ، ش الموافق ٢١/رمضان/١٤٢٥ هـ - طهران.

ذكر المصيبة

هذه بعض العبارات الواردة في الروايات كذكر للمصيبة:

يقول لوط بن يحيى بن أبي مخنف^(١): "لما أحسّ الإمام بالضرب لم يتأوه" أي إنه لم يتأوه ولم يتألم عندما نزلت الضربة على رأسه وشقت جبهته وهو في المحراب"، وصبر واحتسب، ووقع على وجهه وليس عنده أحد" إذ لم تبدأ الصلاة بعد وكان المسجد مظلماً فيما كان الناس مشغولين بالنافلة أشتاتاً، وعليه لم يفهم أحد ماذا جرى بادئ الأمر، قائلاً: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله» فكانت أولى العبارات التي تلفظ بها بعد ضربته، هي تلك العبارات التي طرقت أسماعنا في حالات أخرى، فبعد أن أصيب سيد الشهداء (سلام الله عليه) ووقع على الأرض نُقلت عنه هذه العبارة: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله». فقد بذلوا ثمرة حياتهم في هذا الدرب.

ثم نُقلت عن أمير المؤمنين عليه السلام هذه العبارة إذ قال: «فزت ورب الكعبة»^(٢).

تلك الليلة التي هي بمثابة العزاء والمصيبة بالنسبة للمسلمين جميعاً، تحولت إلى ليلة ظفر وسرور وفوز بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام الذي كان على موعد معها، ويبدو أنها كانت ليلة جمعة؛ ففي بعض الروايات كانت ليلة التاسع عشر ليلة جمعة، فيما تقول روايات أخرى إن ليلة الحادي والعشرين كانت ليلة جمعة، وفي تلك الليلة أفطر عليه السلام عند أم كلثوم حيث اقتصر إفطاره على الخبز والملح - وهذا يعني الإفطار بخبز لوحده في واقع الأمر - حيث رُفِع اللبن وبقي الخبز، فأمضى عليه السلام تلك

(١) انظر البحار: ٤٢ / ٢٨١ .

(٢) من كلمة ألقاها في ١٩ / رمضان / ١٤٢٤ - طهران.

اللبيلة بالعبادة حتى الفجر حيث دخل المسجد، بعدها رفع صوته مؤذناً ونزل إلى محراب الصلاة، وإذا بالمنادي ينادي أثناء الصلاة: «تهدمت والله أركان الهدى»^(١) ومن المؤكد أنّ الناس كانوا قد فهموا المعنى من "تهدمت أركان الهدى"، بيد أنّ المنادي سرعان ما أردف تلك العبارة بأخرى توضح مفهومها إذ نادى: "قتل علي المرتضى".

صلى الله عليك يا أمير المؤمنين.^(٢)

وجاء في رواية أخرى أنه قال: «لمثل هذا فليعمل العاملون»^(٣)، وهذا ما يبرهن على مدى اتصال هذه الروح الطاهرة المطهرة بعوالم الملكوت حتى في الوقت الذي لم يزل عليه في قيد الحياة في هذه الدنيا «ثم صاح وقال: قتلني اللعين» وبعد مناجاته تلك صاح عليه كي ينتبه الناس ولا يدعو القاتل يهرب فلما سمع الناس الضجّة أي سمعوا صوت أمير المؤمنين عليه فزع إليه كل من كان في المسجد فتوجه الجميع نحو محراب المسجد دون أن يعرفوا ماذا حصل وماذا عليهم أن يفعلوا ثم أحاطوا بأمر المؤمنين عليه، وهو يشدّ رأسه بمئزره والدم يجري على وجهه ولحيته وقد خضبت بدمائه، فلما اجتمع الناس حوله وجدوه يشد جرحه بمئزره بالرغم من حالة الضعف وانفلاق هامته وأن لحيته التي كانت بيضاء قد تخرّبت بدمه وهو يقول: «هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله» فلقد تحقق وعدهما من أنه سيجري عليه ما جرى.^(٤)

ثم وصل الإمام الحسن عليه، ووضع رأس أبيه في حجره، ثم مسح الدماء عن

(١) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٨٢.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٤٢٢ هـ - طهران.

(٣) جواهر العقود: ٢ / ٥٣.

(٤) من كلمة ألقاها في ١٩ / رمضان / ١٤٢٤ هـ - طهران.

وجهه ورأسه وضمد جراحه.

(وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يستبح الله ويحمده) أغمي على أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام يبكي على أبيه عليه السلام (وجعل يقبل وجه أبيه وما بين عينيه وموضع سجوده، فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين عليه السلام، ففتح عينيه فرآه باكياً، فقال: يا حسن ما هذا البكاء، يا بني لا روعَ على أبيك بعد اليوم، هذا جدك، وخديجة، وفاطمة، والحدور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، قطب نفساً وقرّ عيناً واكفف عن البكاء).

صلى الله عليك يا أمير المؤمنين، صلى الله عليكم يا أهل بيت النبوة^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ١٧/ رمضان المبارك ١٤٢٦هـ الموافق ٢٩/٧/١٣٨٤هـ. ق. الموافق ٢١ /

علي عليه السلام يتأوه

في نهج البلاغة عبارة قالها عليه السلام لولده الحسن عليه السلام وأودَّ أن أدونها هنا لعلَّ عيونكم تبتل بالدموع لمصاب هذا الإنسان العظيم، يقول عليه السلام: «ملكنتني عيني وأنا جالس، فسنع لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدن»، لاحظوا علياً عليه السلام يقف أمام رسول الله كما يقف الابن بين يدي أبيه، فهو عليه السلام نشأ وترعرع في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله.

كان النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة أبيه في كل أدوار حياته، والآن هو شيخ بلغ الثالثة والسبعين من عمره حينما يرى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام يخامرُه نفس إحساس الطفولة أمام النبي (صلى الله عليه وآله)، فيشكوه كما يشكو الطفل لأبيه فيقول: «ملكنتني عيني فسنع لي رسول الله، فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدن؟ فقال لي: ادع عليهم. فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني»^(١).
يعني: يقول اللهم عجل في منيتي، وقد أجيبت تلك الدعوة.

شيعة علي تودع أميرها

بعد أن ضرب أمير المؤمنين عليه السلام أحاط الأصحاب ببيت علي عليه السلام ويروى أن الأيتام جاءوا (وإن كنت لم أر هذه الرواية) وأحاطوا بالبيت وبيد كل واحد منهم كأس من لبن، لأنهم سمعوا بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد طلب لبناً ليشربه، وعلى الرغم من عدم ذكر هذه الحادثة في الكتب التاريخية إلا أنها قد تكون محتملة

الصحة.

لكن المسلم به تاريخياً أن بيت عليّ أحيط بعشاق عليّ ومحبيه وهم يبكون وينحبون، ثمّ خرج الإمام الحسن عليه السلام وقال للناس: إنّ حال أبي ليست على ما يرام فتفرّقوا، فتفرّق الناس (١) (٢).

وفي الليلة التي سبقت استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ازدحم الناس حول داره، يريدون عيادته إلا أنّ حالة الإمام الصحية كانت قد ساءت ولم يعد بالإمكان عيادته، فخرج الإمام الحسن عليه السلام - على نقل - واعتذر إليهم وأمرهم بالانصراف، فتفرّقوا إلا الأصبغ بن نباتة لم تطاوعه نفسه بالانصراف، حتى خرج الإمام الحسن عليه السلام بعد هنيئة فإذا به يرى الأصبغ لا يزال واقفاً، فقال له عليه السلام: أما سمعت ما قلته للناس؟ فقال: يا ابن رسول الله لا طاقة لي على الانصراف، فأذن لي حتى أرى الإمام، فدخل الإمام الحسن عليه السلام ثم خرج وأذن له في الدخول.

يقول الأصبغ (٣): قد دخلت وإذا بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام مسجى على سرير المرض، وقد شدّ موضع جرحه بعصابة صفراء، فلم أستطع أن أميّز أيهما أشدّ صفرة، وجهه أم العصابة! وكان عليه السلام يغمى عليه حيناً، ويفيق حيناً آخر، وفي واحدة من افاقاته أخذ بيدي وحدثني - وهذا هو معنى قول الهائف «تهدمت والله أركان الهدى» حيث إن الإمام لم يترك هداية الناس حتى وهو في هذه الحالة فلم يضمن عليّ الأصبغ بالحديث، فنقل له حديثاً مطولاً (٤)، ثم أغمى عليه، ثم لم يره الأصبغ ولا غيره من أصحاب الإمام، حتى انتقل الى جوار رحمة ربه في ليلة الحادي

(١) انظر حلية الأولياء: ٢ / ٣٩٠.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

(٣) انظر حلية الأولياء: ٢ / ٣٩٠.

(٤) المصدر السابق.

والعشرين وترك الدنيا والتاريخ متشحين بشباب السواد^(١).

وقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أن يُغسَّل بدنه الطاهر ويدفن ليلاً، ويبدو كأن هذه المسألة أصبحت سنة عند أهل البيت فكما غُسلت فاطمة عليها السلام وكُنَّت ودُفِنَت ليلاً، فأمر أمير المؤمنين أيضاً غُسل وكُفَّن ودُفِن ليلاً لأنه لم يكن مُستبعد من أولئك الذين سبوا علياً سنوات طويلة على منابر المسلمين أن يقوموا بنش قبره عليه السلام إذا علموه موضعه، ويهينوا بدنه الطاهر، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يعرف ذلك ببعد نظره.

وعندما تناصف الليل أخذوا الجسد الطاهر ودفنوه ورجعوا، ولم يكن المشيِّعون سوى أولاد علي عليه السلام وبعض خواص أصحابه.

وقد فكَّرت في مظلومية الإمام عليه السلام في ذلك التشييع المظلوم والدفن البعيد عن أنظار الناس وفي بيت الإمام المظلم، وفي هذه الأيام الصعبة التي مرَّت على أهل البيت، فلا أظنَّ أنها مرَّت على أحد أصعب كما مرَّت على زينب عليها السلام، فقد شاهدت أمها وهي تدفن ليلاً، ورأت أباهما يدفن ليلاً كالليلة الماضية، وكانت قد شاهدت السهام تُرمى بها جنازة أخيها الحسن عليه السلام، وفي عاشوراء رأت ذلك المشهد المؤلم المهول، فنادت: «يا رسول الله صلِّ على ملك السماء، هذا حسينك مرقل بالدماء مقطَّع الأعضاء»^(٢) لا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم^(٣).

وضع الكوفة يوم الشهادة

كيف كان وضع الكوفة في يوم الشهادة، أنتم تتذكرون تلك اللحظة التي علم فيها أهالي طهران برحيل الإمام الخميني ورأيتم كيف كان البكاء وكيف خيم الحزن على

(١) من كلمة ألقاها في ١٥/٨/١٣٨٣ هـ. ش الموافق ٢١/رمضان/١٤٢٥ هـ - طهران.

(٢) في المصدر «وا محمداه»، البحار: ٤٥/٥٨.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٢ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

القلوب ، مع فارق أنّ الإمام كان مريضاً لمدة من الزمن وكان البعض يخشى نزول المكروه .

بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام حتى قبل ساعة من ضربه يوقظ النائمين في المسجد ، وصوت أذانه يدوي في أرجاء الكوفة ، وكان الناس حتى الأمس وحتى البارحة يسمعون صوته الملكوتي . وفجأة تناهى إلى أسماعهم صوت هاتف يقول: «ألا تهذمت أركان الهدى... قتل علي المرتضى»^(١) وهكذا سمع أهالي الكوفة ومن بعدهم جميع العالم الإسلامي بشهادة أمير المؤمنين عليه السلام .

كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أنبأ مرات ومرات بخبر شهادته ، لعل جميع المقربين إليه كانوا يعلمون ذلك . ففي زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله حينما وقعت معركة الخندق وبرز فيها علي عليه السلام - كان شاباً له من العمر نيف وعشرون سنة - لعمر بن عبدود الذي كان من أبطال العرب وله في قلوب قريش وغيرها هيبة ما بعدها هيبة وظنوا أنه سيقضي على الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين ، وبارزه وقتله ، جرح عليه السلام في تلك المباراة في جبهته وسال منها الدم . ولما رآه الرسول صلى الله عليه وآله على تلك الحالة رق له قلبه ومسح بمنديله الدم عن جبهته وأمر بتضميد جرحه ، ثم أغرورقت عيناه بالدموع وقال: «أين أكون إذا خضبت هذه من هذه»^(٢) إشارة إلى اليوم الذي تخضب فيه محاسنه بدماء رأسه .

ونقل محمد بن شهاب الزهري رواية جاء فيها: «كان أمير المؤمنين يستتبع قاتله».

أي أنه كان يترقب أن يأتي هذا الشقي ويفعل فعلته ، كان يحصي حركة الزمن بانتظار وقوع هذه الحادثة يقول: «متى يكون إذا خضبت هذه من هذه»^(٣).

(١) في المصدر «والله تهذمت»، البحار: ٤٢ / ٢٨٥ .

(٢) البحار: ٤٢ / ١٩٥ ح ١٢ .

(٣) انظر معالم الفتن لسعيد أيوب: ٨٢ / ٢ .

إذن فهو كان يترقب ، والمقربون منه على علم بالأمر . إلا أنّ عظم الحادثة - مع أنهم قد أخبروا عنها سلفاً - قد أذهل الجميع . ثم نقلوا الإمام إلى داره .

قرأت رواية في كتاب بحار الأنوار جاء فيها أنه كان يغمى عليه عليه السلام بين حين وآخر ، كانت ابنته أم كلثوم جالسة أمامه تبكي ، فلما فتح عينه وقع عليها بصره قال لها: « لا تؤذيني يا أم كلثوم ، فإنك لو ترين ما أرى لم تبك ، إن الملائكة من السماوات السبع بعضهم خلف بعض والنبيين يقولون: انطلق يا علي فما أمامك خير لك مما أنت فيه (١) » (٢) .

يوم فقد الناس علياً ذاقت الأمة الإسلامية من فقدته ما ذاقت . وتحملت الكوفة بلايا عظيمة ، وتسلمت عليها الحجاج ، وتسلمت عليها يوسف بن عمر الثقفي ، وتسلمت عليها ، بدلاً من أمير المؤمنين ، الحكام الأمويون واحداً تلو الآخر . وكان الناس هم السبب في هذه المصائب التي حلت بالكوفة . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (٣) .

كان أهل الكوفة ومن حولها ممن بلغهم الخبر في اضطراب دائم ، حيث كان أمير المؤمنين محبوباً من قبل الصغير والكبير ، وكان الاضطراب بادياً على بعض الاصحاب المقربين من الإمام (٤) .

الله ولي دم أمير المؤمنين عليه السلام

من البديهي أنّ لكل دم يراق ولي ، وهو ما يسمى بولي الدم ؛ فالأب ولي دم ولده ،

(١) البحار: ٤٢ / ٢٢٣ ح ٣٢ .

(٢) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٤١٧ هـ - جامعة طهران .

(٣) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ - طهران .

(٤) من كلمة ألقاها في ١٥/٨/١٣٨٣ هـ . ش الموافق ٢١/رمضان/١٤٢٥ هـ - طهران .

والولد ولي دم أبيه، والأخ ولي دم أخيه، ويسمى هذا عند العرب ثأراً، المطالبة بالدم ومالكية حق الدم يسمونها بالنأر. والذي يطالب بدم الإمام الحسين عليه السلام هو الله تعالى، كما أنه هو تعالى المطالب بدم أمير المؤمنين عليه السلام، إذن ولي دم هاتين الشخصيتين هو الله تعالى (١).

مواظب أمير المؤمنين عليه السلام

مواظب في أثر التقوى

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوءِهَا» (١).

إن النجاح الفردي والإجتماعي لا يتأتى إلا من خلال التقوى العملية، ومراقبة النفس وتقوى الفرد والجماعة والأمة.

ولو كانت الأمة الإسلامية تقيّة أمكنها التحرك في الأزمات، وتغلّبت على المشاكل ولم تتغلب المشاكل عليها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوءِهَا» (٢).

فلو أن فرداً - وأقول: ولو أن شعباً - اتخذ من التقوى طريقاً له واتقى فسوف تبتعد عنه المشاكل حتى لو كانت قريبة منه، (واحتولت له الأمور بعد مرارتها، وانفجرت عنه الأمواج بعد تراكمها وأسهلت له الصعاب بعد انصابتها)، وهذه هي الحقيقة.

إن الشعوب المسلمة ليس لديها حالياً ما تقوله تجاه القوى العالمية، فلا تمتلك علماً كافياً ولا إبداعاً أو تقدماً، ولا مهارة في المجالات السياسية المختلفة، فلماذا نحن متخلفون؟ لأننا تركنا التقوى، وهذه هي الشدائد التي تُرتفع من خلال التقوى.

لقد راعيتهم - أيها الشعب الإيراني - التقوى الإلهية في ثورتكم، وفي دفاعكم عن

(١) نهج البلاغة: ٢ / ١٧٣ خ ١٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ٢ / ١٧٣ خ ١٩٨.

هذه الثورة والبلد وثوابتكم الإسلامية والدينية والوطنية، وها أنتم - ولله الحمد - أعزاء بنفس النسبة، فحالياً لا يمكن مقارنة عزة الشعب الإيراني واقتداره وعظمته في أعين الناس في العالم والدول وحتى في عين أعدائه في أكثر البلدان الإسلامية، وهذا إنما يعود إلى التقوى، وكل ما لدينا من النواقص ناتج عن انعدام التقوى. كما أنّ الصمود والثبات ناتج عن التقوى أيضاً^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٢٨/٥/١٣٨٤ هـ - ١٣/٧/١٤٢٦ هـ ق - ١٩/٨/٢٠٠٥ م.

مواظبة في مكارم الأخلاق

رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أورع الناس مَنْ وقف عند الشبهة،
وأعبد الناس مَنْ أقام الفرائض،
وأزهد الناس مَنْ ترك الحرام،
وأشدَّ الناس اجتهاداً مَنْ ترك الذنوب»^(١).

وردت في المعارف الإسلامية بعض المفاهيم والعناوين من قبيل الورع والزهد،
وقد اهتمَّ الشارع المقدَّس بها وحرص وشجع وحثَّ عليها أيضاً.
ولكن قد يظن البعض أن إدارك وفهم هذه العناوين أمر صعب وشاق ومشكل،
إلا أن الروايات بيَّنت ووضَّحت المراد منها كما في هذه الرواية على النحو التالي:
أورع الناس هو الشخص الذي يتوقَّف عند مواجهة الشبهات فلا يدخل فيها.
وأعبد الناس هو الشخص الذي يأتي بالواجبات والفرائض الإلهية.
وأزهد الناس هو الشخص الذي يترك ويجتنب عن المحرَّمات الإلهية.
وأشدَّ الناس اجتهاداً وأكثرهم سعياً وجهداً هو الشخص الذي يترك الذنوب^(٢).

(١) الخصال، باب الواحد، ح: ٥٦.

(٢) كلمات مضيئة: ٦.

موعظة في تهذيب النفس

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة:

أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم، وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئاً من معصيته فربما وافق سخطه وأنت لا تعلم، وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئاً من دعائه فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم، وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله فربما يكون وليه وأنت لا تعلم»^(١).

لقد أخفى الله تعالى أربعة أمور في أربعة أمور:

١- فأخفى رضاه وسروره في موارد طاعته، ولذلك فلا ينبغي أن يستصغر الإنسان شيئاً من موارد الطاعة، لأنه قد يكون هذا الأمر العبادي صغيراً في نظرك ولكن رضا الله موجود فيه.

٢- وأخفى غضبه وسخطه في معصيته، ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يحقر ويستصغر أية معصية من المعاصي، لأنه يمكن أن تكون هذه المعصية التي اعتبرها صغيرة تشتمل على غضب الله وسخطه.

٣- وأخفى إجابته في دعائه فقال: ﴿ادعوني استجب لكم﴾^(٢) ولكن ليس كل الأدعية تستجاب وذلك لوجود الموانع من الاجابة إلا أنه مع ذلك فقد أخفى إجابته

(١) الخصال/ باب الأربعة/ ح ٣١.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

ضمن مجموع هذه الأدعية فلا يعلم أي دعاء هو المستجاب، ولذلك لا ينبغي التقصير في الدعاء بل يجب أن يبادر إلى الدعاء في كل الظروف المقتضية له إذ لعلّه يوفق للدعاء المستجاب.

٤- وأخفى أولياءه في عبادته، ولذلك لا ينبغي استصغار أو تحقير أو إهانة أي عبد من عباد الله إذ يحتمل أن يكون ولياً لله^(١)، ومن المعلوم أن إهانة أو إحتقار أولياء الله تعالى هي مبارزة ومعاندة لله تعالى^(٢).

ومن مواظب علي عليه السلام: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ خَلِيقٌ بَانَ لَا يَنْزِلُ بِهِ مَكْرُوهٌ أَبَداً.

قيل: وما هنّ يا أمير المؤمنين؟

قال: العجلة واللّجاجة والعُجب والتواني»^(٣).

كل شخص يجنب نفسه هذه الأمور الأربعة سوف لن تنزل به آية حادثة سيئة ولا واقعة مكروهة، من دون فرق بين أن يكون شخصاً واحداً أو أشخاصاً متعدّدين أو عاملين أو مسؤولين في المجتمع والدولة أو غيرهم .
وهذه الأمور الأربعة هي:

١- العجلة: وهي اتخاذ القرار من دون تأني وتدبر وتدقيق أو القيام بعمل كذلك، والعجلة تختلف عن السرعة في إنجاز العمل.

٢- اللّجاجة: فإنّ إحدى المسائل الخطيرة والابتلاءات القاصمة هي الإصرار والإلحاح بغير حق. فمثلاً إذا قال شخص كلاماً أو اتخذ موقفاً ما ثمّ تبين له بطلانه أو

(١) في الحديث القدسي: أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري» تفسير ابن عربي: ١ / ٤٢٣.

(٢) كلمات مضيئة: ٤٥.

(٣) تحف العقول، صفحة: ٢٢٢.

انكشف خلافه فإنه ليس مستعداً للتراجع عنه بل يصرّ عليه.

٢- العجب: أي الإغترار بالنفس والإعجاب بها بحيث لا يدري أي نقص أو عيب في نفسه بل أحياناً يقوم بتعظيم وتحسين أوصافه.

٣- التواني: أي التواكل والفتور في إنجاز العمل وتأجيل عمل اليوم وتأخيرته. وأنا شخصياً - وعلى إثر التجارب في السنوات المتמادية - وصلت إلى النتيجة التالية وهي:

أنّ كلام الإمام علي عليه السلام في واقعها حكم تامة وكاملة. فإن كل الأضرار والمساويء الواردة على المجتمع ناتجة من هذه الأمور الأربعة. ولذلك أسأل الله تعالى أن يجنّبنا هذه الصفات بتوفيقه ويسعينا لمجاهدة أنفسنا^(١).

ومن مواعظ علي عليه السلام: «ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم، وعودوا أنفسكم الحلم»^(٢).

التذليل بمعنى التأهيل والإعداد والتربية.

في أخلاق الإنسان الطبيعية (الإنسان الذي لم يخضع للتربية) هناك عدم انسجام وتلائم وعدم توافق وتطابق بين أخلاقياته، وتكليف الإنسان تجاهها هو تصفية وتهذيب أخلاقه من الصفات غير المتناسبة وتوجيهها نحو الإتجاه المتعادل. فمثلاً صفة القوّة والبطولة بوجهها نحو الشجاعة ولا يتركها لتتحوّل إلى صفة التهور الذميمة.

(١) كلمات مضيئة: ٤٦.

(٢) تحف العقول، صفحة: ٢٢٤.

وهذا العمل يتم من خلال معرفة الصفات ووضع البرنامج والممارسة والمجاهدة لأن القرارات السريعة والمؤقتة لا تعطي نتيجة.

نعم هناك عامل آخر إذا وجد في الإنسان فإنه يحدث فيه انقلاباً عجيبياً في أخلاقياته، وهذا العامل هو المحبة الإلهية. فإن قلب الإنسان إذا اتجه نحو الحق سبحانه وتعالى أوجد ميلاً ورغبة لديه لأن يقطع طريق مئة سنة بليلة واحدة.

ثم في المقطع الأخير يتحدث عن الحلم وتعويد النفس عليه.

والحلم ليس معناه عدم الغضب فقط، بل يكون بمعنى السعة والتحمل أيضاً فالإنسان في مقابل ما يعرض عليه من أسباب الغضب أو أسباب الغرور والعجب أو الفرح والسرور المزيّنين الخاليين من أية فائدة، يجب أن يكون كالبحر الذي تهدأ بالوصول إليه الأنهار الصاخبة المتلاطمة لأنه يضمّها ويبتلعها في نفسه كلها جميعاً^(١).

موعظة في هوى النفس

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان، اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فيضلّكم عن سبيل الله»^(١).

فما هو إذاً الخطر الأساس؟ سأقرأ عليكم رواية في معرض الجواب عن هذا السؤال، وهي: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان، اتباع الهوى وطول الأمل».

فلا تعجبوا من ذلك حيث أنّ هوى النفس لمن أشد الآفات خطراً علينا «إن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك».

وهاهنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان، اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فيضلّكم عن سبيل الله».

فأشد وأكثر أنواع الضلال مردّها إلى هوى النفس. وبالطبع فإننا عادة ما نجد لأنفسنا آلاف التبريرات حتى ننحرف عن الصراط الإلهي ويجيء قولنا وفعلنا على خلاف ما أوصى به الدين والشرع.

إنّ خطورة هوى النفس هو أنه يضلّكم عن سبيل الله، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.

وطول الأمل يعني الآمال البعيدة والشخصية؛ كأن تفكّر في تشييد منزل لنفسك على أحدث طراز، أو أن تتسلّم أعلى المناصب، أو أن تمدّد عينيك إلى ما متع به الله بعضاً من الناس، فتخلق لنفسك المصاعب والمشقات لكي تحصل على المبالغ المالية الطائلة أو تمارس ذلك النوع من النشاطات الاقتصادية.

(١) تحف العقول: ١٥٣.

فطول الأمل هذا؛ أي تلك الآمال التي لا تقف عند حدّ، تأخذ بالسيطرة على فكر الإنسان، وتختلق له أهدافاً مزيفة، وتجعل من الآمال التافهة آمالاً عظيمة في نظره. وتكون نتيجة ذلك أنه «ينسى الآخرة»؛ حيث يظل دائماً في شغل شاغل من هذه الأهداف التافهة، فيموت قلبه، ولا يبقى عنده وقت أو رغبة في الدعاء أو الإيابة أو التضرع^(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٥ رمضان ١٤٢١هـ - طهران.

موعظة في حقيقة الإيمان

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثلاثة بهن يكمل المسلم:

التفقه في الدين، والتقدير في المعيشة، والصبر على النوائب»^(١).

هناك ثلاثة عناصر لها دور مهم في تكميل شخصية الإنسان المؤمن. وهذه الشخصية المتكاملة الجوانب والأطراف يمكنها أن تؤثر أثرها في هذه الدنيا المملوثة بالأغراض والبواعث والجهود المختلفة سواء كانت في المجتمعات الإسلامية أم المجتمعات غير الإسلامية. وهذه العناصر هي:

١ - التفقه في الدين، والتفقه يجب أخذه بمعناه الواسع وليس فقط المعنى المصطلح في الحقوق الإسلامية. فإن التفقه يشمل معرفة الله تعالى التي هي الفقه الأكبر، ويشمل سائر المعارف الإسلامية التي يتعطش الناس والدنيا كلها في العصر الحاضر لفهم هذه الحقائق.

ورسالتنا في هذه الدنيا ما هي؟ وما هي التكاليف الملقاة على عاتقنا؟ وما هي الآثار والعواقب المترتبة على فعل أو ترك هذه التكاليف؟ وكذلك ما هي أسباب سعادة الإنسان؟ وما هي العوامل المساعدة على هذا الأمر والتي توصل الإنسان إلى أهدافه النهائية؟ فكل هذه الأمور والمسائل بيانها وتوضيحها لا يمكن أن يتأتى من المذاهب اللادينية، لأن تلك المذاهب مأخوذة من التجارب والعقول البشرية، وهي وإن كان مصيبة في بعض الموارد إلا أنها مخطئة في أكثر الموارد الأخرى، ولذلك عاش الناس في مختلف العصور السالفة حالة الضياع والحيرة والتهيه في دنيا مليئة

(١) الخصال / باب الثلاثة / ح ١٢٠.

بالظلم والعدوان والشهوات النفسانية.

ولم تتوفر إلا للقليل منهم فرصة إرضاء وإشباع هذه الشهوات وأما الآخرين فإنهم أفنوا عمرهم في سبيل إشباع شهواتهم ولكنهم لم يصلوا إلى ذلك.

هذه المصائب كلها تأتي من عدم التفقه في الدين.

طبعاً المسلمون يمتلكون هذا الإمتياز (أي الفقه في الدين) حيث إنهم يؤمنون بالمبدأ الإلهي إلا أنهم إذا لم يستفيدوا من هذا الإمتياز كانوا يحكم الناس الجاهلين تماماً نظير أتباع الأديان الحققة في العصور السالفة فإنهم بسبب عدم إدراكهم وفهمهم وعدم عملهم وإلتزامهم بالمعارف الدينية أخفقوا وحرموا من الاستفادة من هذا الإمتياز.

وعليه فلا ننخدع لمجرد أننا مسلمون، بل يجب أن نسعى ونجد في طريق فهم المعارف الإسلامية وحقيقتها والإحاطة بها. ونحن للأسف مبتلون بهذا النقص في الوقت الحاضر ولكن هناك جهود كثيرة قد أنجزت - والله الحمد - سواء في الحوزات العلمية أم غيرها إلا أن ما تحتاجه الدنيا أكثر من ذلك.

ويجب علينا أن نعرف ما يحتاجه الناس اليوم سواء في المسائل الإعتقادية أم في المسائل الحقوقية من أجل إدارة المجتمع.

وأؤكد مجدداً أنه يجب على الحوزات الدينية والمفكرين أن ينظروا إلى المسائل الدينية من هاتين الزاويتين. هذا هو معنى الفقه في الدين في يومنا الحاضر.

٢ - التقدير في المعيشة، وهذه المسألة مهمة في الحياة الفردية ولكنها تصدق وتنطبق بشكل واسع على المجتمع الإسلامي أيضاً. فالتقدير يعني المحاسبة والموازنة، فيجب أن يحاسب ويوازن بين ما يدخل من موارد وما يصرف وينفق منها.

٣ - الصبر على النوائب، وهذا العنصر هو المحافظ والمحامي لكل هذه الأمور.

فالصبر يعني عدم التراجع وبذل الأرواح و خوض الصعاب لأجل الوصول الى الهدف.

ولذلك كان شعار القادة العسكريين في ميادين القتال وسوح الجهاد هو «أيها الكرام اصبروا».

فالصبر فيه هدف وغرض وغاية يجب الإلتفات إليها، ولا نتراجع عن الطريق الصحيح بسبب الصعاب والمتاعب والموانع الموجودة في الطريق^(١).

موعظة في الزهد

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كونوا على قبول العمل أشدَّ عنايةً منكم على العمل.
وقال عليه السلام: الزهد في الدنيا قصر الأمل»^(١).

يجب على الإنسان أن يسعى ويجتهد لتكون أعماله التي يقوم بها مقبولة عند الله تعالى وليس المهمّ كثرة العمل وحجمه وإنما الشيء المهم الذي يجب على الإنسان أن يصرف جهده وسعيه فيه هو كفيّة وباطن وحقيقة العمل.

وأما الزهد في الدنيا فحقيقته أن لا يكون للإنسان آمال وأمانٍ بعيدة وطويلة لأنّ الآمال والأمانى البعيدة والتعلّق بها تكون سبباً موجّباً لأنّ يقوم الإنسان بأي عملٍ ومن طريق الحرام أو الباطل من أجل الحصول عليها.
ونتيجة ذلك أن يعمى القلب وينحرف الإنسان عن جادة الحق^(٢).

ومن حكّم عليّ ومواظبه عليه السلام: «الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره»^(٣).

الزهد بنظر الإسلام والذي أوصى به الأئمة المعصومين عليهم السلام أيضاً حقيقته طبقاً لهذه الرواية عبارة عن أمرين:

الأول: أن يكون الإنسان صابراً ومستقيماً في مقابل الوسوس الشيطانية والميول

(١) الخصال باب الواحد ح: ٥٠.

(٢) كلمات مضيئة: ١١٦.

(٣) تحف العقول، صفحة: ٢٠٠.

الحيوانية ونزاعاتها التي تحرك الإنسان وتدفعه لارتكاب المحرمات فيكون غالباً لها لا مغلوباً وقادراً على الوقوف بوجهها بصبرٍ واستقامة.

الثاني: أن لا تشغله النعم الإلهية ولا تجعله غافلاً عن شكر الله تعالى. فالإنسان يجب أن لا يغفل عن شكر هذه النعم وأنها من أين أتت؟ ومن أعطاه إياها؟ لأن النتائج السيئة لهذه الغفلة تجرّ الإنسان للوقوف في المهالك الخطيرة^(١).

موعظة في حسن العاقبة وسوءها

عن علي عليه السلام أنه قال: «حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة،
وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء»^(١).

السعادة الحقيقية للإنسان أن تكون خاتمة أعماله التي عملها في حياته خيراً،
والشقاوة الحقيقية والتعاسة للإنسان أن تكون خاتمة أعماله وعاقبته شراً.
ومن الممكن أن تكون أعمال الإنسان في حياته في طريق الخير إلا أنه قد يعرض
له في آخر عمره زلّات كبيرة تحيط به وتبطل الأثر المتوخى منها.
على أن أسباب وعلل ختم الأعمال بالخير أو بالشر متوقفة ومرتبطة بأعمال
الإنسان في هذه الحياة. فالإنسان هو الذي يقرّر ما سوف تنتهي إليه أعماله ويقرر
مصيره بيده.
ولذلك فإن الغفلة والانحراف والزلّات في هذه الدنيا أسباب توجب سوء العاقبة
في الآخرة.
بينما نيّة الخير والوفاء والتضحية والعتو والتجاوز والإيثار أسباب لحسن العاقبة.
وبما أن نهاية عمر الإنسان ليست معلومة له فاللّازم أن يكون سلوك ومسير
الإنسان على طول حياته بنحو يرى ويعتقد أنه سيموت في أيّة لحظة مما يجعله
مراقباً دائماً لأقواله وأفعاله^(٢).

(١) الخصال، باب الواحد، صفحة: ٥.

(٢) كلمات مضيئة: ١٤٠.

موعظة في الفتنة والغرور

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الفتن ثلاثة: حب النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان، وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان.

فمن أحب النساء لم ينتفع بعيشه، ومن أحب الأشربة حُرمت عليه الجنة، ومن أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا.

وقال عليه السلام: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين، فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء الى نفسه فاتهموه واعلموا أنه غير ناصح لغيره»^(١).

ثلاثة أمور تعتبر فتنة للإنسان. والمراد من الفتنة هنا الإختبار والابتلاء، والأصل اللغوي للكلمة هو تلوث الهواء لأن الإنسان في هذه الحالة لا يمكنه تحديد الطريق وتشخيصه، ولذلك يقع في الحيرة والتيه. وهذا الأمور هي:

١ - حب النساء وهو سيف الشيطان. ولكن هذا لا يعني أن لا يحب الإنسان زوجته فإن حب الزوجة أمر مستحب. بل معناه الإنحلال الجنسي والإنفلات من القيود والضوابط المقررة بهذا الصدد فيكون همه هو النساء. فإن نتيجة هذا الأمر هو أن الشخص المذكور لن يكتفي بالاستفادة في هذا المورد من الشيء الحلال الطبيعي ضمن دائرة عائلته بل يسعى للأكثر مما يؤدي الى تهدم الأسرة وتفككها.

٢ - شرب الخمر الذي هو فخ ومصيدة الشيطان فيقع فيها الإنسان. فإذا وقع في هذا الأمر فإن الجنة محرمة عليه.

٣ - حب الدينار والدرهم، والمراد بهما الثروة والمال. والمراد من الحب هنا هو

(١) الخصال / باب الثلاثة / ح ٩١.

السعي لتحصيل المال من طريق الغش والتزوير والخداع والمكر والإحتيال، وهذا ما يسمّى بعبادة المال، والإنسان الذي يعبد المال يصبح عبداً للدنيا.

ثم يذكر كلاماً للنبي عيسى عليه السلام ومفاده: إن المال داءٌ وآفةٌ للدين، والعالم كالطبيب يسعى لإصلاح دين الناس ولكن إذا كان هذه الطبيب (أي العالم) عبداً للمال فحينئذٍ لن يمكن الإعتماد عليه والثوق به بل هو متهم إذ كيف يكون ناصحاً لغيره ولا ينصح نفسه؟! (١).

موعظة في الدين والشرع

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قوام الدين بأربعة: بعالم ناطقٍ مستعملٍ له، وبغنيٍّ لا يبخل بفضله على أهل دين الله وبفقرٍ لا يبيع آخرته بدنياه، وبجاهلٍ لا يتكبر عن طلب العلم»^(١).

إن قوام واستحكام الدين وأركانه التي يعتمد عليها مرتبطة بهذه الطوائف الأربعة. طبعاً هذا لا يعني قطعاً أنّ هذه الأصناف الأربعة من الناس يجب أن تكون موجودة فعلاً في المجتمع وإلا كان الدين ناقصاً، وإنما المقصود أنه إذا وجدت هذه الأصناف الأربعة كلاً أو بعضاً في المجتمع وعمل كل صنف منهم بوظيفته المقررة له كما هو مذكور في هذه الرواية فسوف يقوم الدين ويستحکم في المجتمع. وهذه الأصناف الأربعة هي:

- ١ - العالم الذي يظهر علمه ولا يكتمه أو يسكت عنه بل يعمل بعلمه أيضاً.
- ٢ - الثري الذي لا يبخل بماله أن ينفقه على المتدئين المحتاجين.
- ٣ - الفقير الذي لا يبيع آخرته بدنياه ولا يبيع دينه بدنياه.
- ٤ - الجاهل الذي لا يتكبر ولا يترفع عن طلب العلم بل يسعى لتحصيله.

وعلى هذا فإذا سكت العالم وكنم علمه ولم يظهره للناس وإذا امتنع الغني عن إنفاق ماله وإذا باع الفقير دينه وآخرته بالدنيا وإذا استكبر وترفع الجاهل وامتنع عن تحصيل العلم، فحينئذٍ سوف يبطل المجتمع بالركود والتأخر وسوف تهجر المعارف الدينية في المجتمع.

(١) الخصال/باب الأربعة / ح ٥ .

ولذلك فلا يتخذع الإنسان بكثرة المساجد وكثرة المصلين فيها ويظن أنّ الدين قائم بذلك، بل يجب أن يعمل هؤلاء الأصناف الأربعة بوظيفتهم لكي يقوم الدين في المجتمع^(١).

موعظة في الخير والشر

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من علامات الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الرزق، والإصرار على الذنب» (١).

إن السعادة والشقاء أهم مسألة في حياة الإنسان. ولذلك تجد أن الإنسان المؤمن قلق دائماً ومضطرب الفكر ومشوش الذهن في أنه داخل في زمرة السعداء أم أنه والعباد بالله داخل في زمرة الأشقياء.

وفي الآثار الإسلامية ورد الإهتمام بهذا المطلب كثيراً، فقد جاء في بعض الأدعية « اللهم إن كنت عندك في أم الكتاب شقياً فاجعلني سعيداً» (٢).

ففي هذه الرواية ذكرت عدة علامات وأسباب للشقاء من أجل أن يعرفها الإنسان ويختبر نفسه من خلالها.

نعم هذه الأسباب ليست قهرية بل تحصل بسوء اختيار الإنسان. وإذا وجدت في الشخص فلا ييأس ويقنط لأنه من خلال مراقبته لنفسه وأعماله والتدقيق فيها سوف يتمكن من إزالتها ومحوها ويخطر مجدداً في طريق السعادة. وهذه الأسباب هي:

١- جمود العين وعدم التضرع والبكاء في محضر الله تعالى فإن البكاء بين يدي الله عز وجل - سواء كان ناشئاً من الخوف والخشية مقابل صفات الله الجلالية

(١) الخصال / باب الأربعة / ح ٩٦ .

(٢) فلاح السائل: ٢٢٢ .

(كالعظمة والقهار) أم كان ناشئاً من المحبة والشكر مقابل صفات الله الجمالية (كاللطيف والحنان) - يذكر الإنسان بالنعيم الإلهية ويذكر الإنسان بضعفه وحقارته أمام الله تعالى.

وهذا الأمر محبوب ومرضي لله. ولذلك يكون عدم البكاء من علامات الشقاء.

٢ - قسوة القلب، وعدم الرأفة والعطف على الآخرين، كما إذا وقف الإنسان حيادياً غير مبالي بالأحداث والمصائب التي يتعرض لها الآخرون.

٣ - شدة الحرص في طلب الرزق، بأن يكون ذا طمع وحرص ويخل.

٤ - الإصرار على الذنب، أي الإلحاح على ارتكاب الذنوب^(١).

موعظة في اليقين

في خطبة لعلي عليه السلام المعروفة بالديباج جاء فيها: «عباد الله، سلوا الله اليقين فإن اليقين رأس الدين، وارغبوا إليه في العافية فإن أعظم النعمة العافية، فاغتنموها للدنيا والآخرة» (١).

لليقين مراتب ولكل مرتبة منه مرتبة أعلى منها.

ولذلك كان الأئمة الأطهار عليهم السلام - مع أنهم واصلون لمراتب اليقين العالية - يطلبون من الله تعالى اليقين أيضاً.

في هذا الحديث شُبِّه اليقين بالرأس، وهو كذلك لأن الرأس منشأ هداية الحركات والسكنات للإنسان واليقين له نفس الدور بالنسبة لدين الإنسان .
ثم إنَّ تحصيل اليقين له طريقتان:

إحدهما: التأمل والتفكير في دلائل ومبادئ الدين وحقانية الشرع الإسلامي المقدس .

والأخرى: التوجه نحو الذات الإلهية المقدسة والتضرع والخضوع أمام العظمة الربانية.

والعافية الواردة في هذا الحديث ليست هي ما يعبر عنه في عرفنا من طلب العافية والراحة وعدم دخول الإنسان سوح الجهاد والصعاب والمشقات وتكاليف الحياة المعيشية وصعوباتها ومواجهتها. بل المراد من العافية هنا العافية في الاعتقاد والعمل وأن يكون محفوظاً من الوسوس الشيطانية والنفسانية.

(١) تحف العقول، صفحة: ١٥٠.

على أن الإنسان يجب أن يطلب أيضاً العافية في ميادين الجهاد ونحوها ويسأل الله تعالى ذلك بمعنى أن يسأله الثبات والإستقامة وعدم الوقوع في الشك والخوف والتزلزل.

والإمام السجّاد^{الثالث} في الدعاء الثالث والعشرين من الصحيفة السجّادية يشير إلى الأبعاد المتعددة للعافية ويطلبها من الله تعالى^(١).

موعظة في العُجب

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لإبنيه محمد بن الحنفية: «إياك والعجب وسوء الخلق وقلة الصبر، فإنه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس مجانب»^(١).

هذه الرواية قسم من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام الأبوية لإبنيه العزيز محمد بن الحنفية، وبما أن الامام علي عليه السلام أب لكل الأمة فلذلك تكون هذه الرصايا عامة للجميع.

فيقول عليه السلام، عليك الحذر من ثلاثة خصال فإنه إذا وجدت فيك هذه الخصال الثلاث لن يبق لك صاحب ولا رفيق وسوف يتجنبك الناس ويبتعدون عنك. وهي :

١- العجب والفخر والغرور، وهذه الصفة ليست مخصوصة بالعبادات فقط بل تشمل غيرها أيضاً، إذ لعل الإنسان يدخله العجب من خلال علمه أو مقامه ومنصبه أو محبوبيته بين الناس، وهذه الصفة من الصفات الخبيثة والسيئة التي تعرض على روح ونفسية الإنسان، ويترتب عليها آثار ونتائج سيئة أيضاً، وذلك لأن الشخص المعجب بنفسه حيث إن الآخرين لا يدركون خصوصياته فسوف يشتكي منهم ويعتب عليهم وبالتالي سوف ينظر إليهم بعين البغض والضغينة.

ومن جهة أخرى حيث إنه يرى أن الآخرين ليسوا في مستواه فسوف ينظر إليهم نظرة احتقار، وحيث إنه يرى نفسه أفضل من الناس فهو يعتقد أنه صاحب حق

عليهم ولذلك يطلب منهم ما ليس له .

- ٢ - سوء الخلق، والمراد به هنا المعنى الأخص من هذا المفهوم، أي سوء الأخلاق وحدّة المزاج في التعامل مع الآخرين .
- ٣ - قلة الصبر وعدم التحمل، فإنه إذا اعترض عليه شخص أو تكلم بكلام على خلاف رغبته وميله فإنه لا يتحمل منه ذلك ويفقد طاقته تجاهه^(١).

موعظة في أداء الأمانة

من وصيته عليه السلام لكميل بن زياد: «يا كميل: إفهم واعلم، أنا لا نرخص في ترك أداء الأمانة لأحدٍ من الخلق، فمن روى عننا في ذلك رخصةً فقد أبطل وأثم وجزأؤه النار بما كذب. أقسمُ لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثاً: يا أبا الحسن أدِّ الأمانة إلى البرِّ والفاجر فيما جَلَّ وقلَّ، حتى الخيط والمخيط»^(١).

أداء الأمانة بنظر الإسلام مهمٌّ جداً، حتى إذا كان الشيء قليل القيمة فإنه يجب على من أوتمن عليه أن يحفظه ويؤديه إلى صاحبه.

ولا فرق في ذلك بين أن يكون صاحبه مؤمناً أو فاجراً بل وكافراً أيضاً. ويجب أن يعلم أن الأمانة ليست مختصة بالأمانة المالية فقط بل تشمل أيضاً الروائف الملقاة على عاتق الإنسان وأسرار الآخرين الموجودة عنده، فكلها أمانات ويجب على الإنسان حفظها^(٢).

(١) تحف العقول، صفحة: ١٧٥.

(٢) كلمات مضبوطة: ٢١٣.

موعظة في الصداقة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن للمرء المسلم ثلاثة أخلاء:

فخليلٌ يقول: أنا معك حياً وميتاً وهو عمله.

وخليلٌ يقول له: أنا معك الى باب قبرك ثم أخليك وهو ولده.

وخليلٌ يقول له: أنا معك الى أن تموت وهو ماله، فإذا مات صار للوارث»^(١).

هناك ثلاثة أصدقاء وأخلاء للمسلم هم:

١ - الصديق أو الخليل الذي يكون دائماً مع الإنسان حياً وميتاً وفي الدنيا

والآخرة، وهو العمل الذي عمله في دنياه.

٢ - الصديق أو الخليل الذي يرافقه ويصاحبه الى باب القبر ثم يتركه وحده، وهو

الأولاد.

٣ - الصديق أو الخليل الذي يرافقه ويصاحبه الى حين موته وهو المال لأنه بعد

موته ينتقل الى ورثته.

والعجب هنا أن الناس تهتم بالصديق أو الخليل الذي تكون صحبته أقصر من

غيره، وهو المال فإنهم يهتمون به أكثر من العمل الذي هو الصديق الوفي لهم لأنه لا

يتركهم أبداً بخلاف المال^(٢).

(١) الخصال / باب الثلاثة / ح ٩٢.

(٢) كلمات مضيئة: ٢٢١.

موعظة في الحق والباطل

قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو يقول: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كم بين الحق والباطل؟»

فقال: أربع أصابع، ووضع أمير المؤمنين عليه السلام يده على أذنه وعينه فقال: ما رآته عينك فهو الحق وما سمعته أذنك فأكثره باطل». (١)

سئل الإمام علي عليه السلام عن الفاصلة والمسافة بين الحق والباطل ما هو مقدارها؟ فأجاب عليه السلام: إن الفاصلة بينهما أربع أصابع ووضع يده المباركة على عينه وأذنه وقال موضحاً المسألة: بأن ما تراه بعينك فهو حق وأما ما تسمعه بأذنك فأكثره باطل. ولذلك يجب على الإنسان الفحص والتحقيق فيما يسمعه ليتميز له الحق من الباطل منه.

وهذا الكلام منه عليه السلام يعتبر درساً كبيراً لنا في حياتنا فيما يرتبط بالشائعات التي يطلقها البعض في بعض الموارد أو بحق بعض الأشخاص، فإنه لا يجب الاعتماد والوثوق بهذه الشائعات بل لا بدّ من الفحص والتفتيش والبحث والتحقيق ولا نسيء الظن بالناس (٢).

(١) الخصال / باب الأربعة / ح ٧٨.

(٢) كلمات مضيئة: ٢٢٤.

مواظفة في التوحيد

روي الشيخ الصدوق في الخصال: «أن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أتقول إن الله واحد؟

قال: فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب» (١).

في حرب الجمل قام شخص وسأل الإمام علي عليه السلام عن معنى وحدانية الله تعالى.

ولكن سؤاله هذا واجه موجهة من اعتراض أصحاب الإمام عليه السلام بأن هذا الوقت وقت قتال وحرب وليس الوقت مناسباً لمثل هذا السؤال.

إلا أن الإمام عليه السلام لم يعترض على سؤاله وخاطب أصحابه بقوله إنما نقاتل لأجل هذا الأمر «وجوابه هذا كناية عن أننا إنما نقاتل الناس ونحاربهم لأجل الدفاع عن المعرفة والإعتقاد الصحيحين، وسؤال هذا الشخص لأجل المعرفة والإطلاع على التوحيد».

ثم أجابه على سؤاله بما يلي: إن معنى كونه واحداً يتصور على معانٍ أربعة:

- ١ - الواحد بمعنى أنه لا شريك له ولا نظير.
- ٢ - الواحد بمعنى أنه ليس مركباً ولا قابلاً للتجزئة والتحليل بالعقل.
- ٣ - الواحد بمعنى أنه واحد بالعدد في مقابل سائر الأعداد الأخرى كالإثنين والثلاثة....

٤ - الواحد بمعنى أنه واحد بالجنس.

فأما المعنيان الأوّلان فهما صحيحان ويمكن نسبتهما إلى الله تعالى بخلاف المعنيين الأخيرين.

واليوم فإنّ أعداء النظام الإسلامي يحاولون من وراء إيجاد الشبهات في أذهان الناس وخاصة الشباب منهم أن يوجّهوا ضربتهم لهذا النظام. وذلك لأنّ النظام الإسلامي مبني على أساس وقاعدة الفكر والعقيدة وهو قائم وثابت على هذا الأساس المتين، فإذا تزلزل - والعباذ بالله - هذا الأساس سقط بناء النظام وتهدّم. ومن هنا فالواجب على الذين لديهم معرفة دينية أن يتصدّوا للردّ على تلك الشبهات ويواجهوها بالإستدلال المنطقي وبالأسلوب المحكم والمتين والقوي، لتضلل تلك المؤامرات (١).

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة
٦	رأى القائد فى الكتاب
٧	تمهيد
٨	مدح أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
١٣	علي قدوة

أبعاد شخصية أمير المؤمنين عليه السلام

١٦	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> الشخصية التاريخية المحبوبة
١٦	علينا الاقتداء عملياً بأمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
١٨	أمير المؤمنين عليه السلام أسوة كاملة للجميع

صفات وخصائص علي عليه السلام

١٩	البشرية بحاجة إلى خصال أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
٢١	شهادة علي بالأنبياء عليهم السلام
٢٢	المعرفة مقدمة للاقتداء بأمير المؤمنين عليه السلام
٢٢	أثر معرفة صفات علي عليه السلام
٢٣	الأسوة بعد المعرفة
٢٤	عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشر
٢٤	الشيعة الحقيقي
٢٨	صفات أمير المؤمنين عليه السلام لا تحصى
٣٠	١ - الإيمان:

- ٢ - السابقة في الإسلام: ٣١
- ٣ - شجاعة أمير المؤمنين: ٣٣
- الشجاعة بمعناها العام ٣٣
- شجاعة علي في سبقه للإسلام ٣٤
- شجاعة علي في بيعة الرضوان ٣٦
- الجوهر الإنساني في علي ٣٧
- شجاعة علي في حكومته ٣٨
- كزار غير فزار ٣٩
- شجاعة علي في بيت المال ٤٠
- حاجة المسلمين لشجاعة أمير المؤمنين ٤١
- ٤ - تقوى أمير المؤمنين عليه السلام ٤٤
- شخصية أمير المؤمنين .. قوة ومظلومية وانتصار ٤٥
- ٥ - قوة أمير المؤمنين عليه السلام ٤٦
- ٦ - مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام ٤٦
- ٧ - المؤيد والمنصور دائماً ٤٨
- الشخصية المعنوية لأمر المؤمنين عليه السلام ٥٠
- ٨ - اليقظة عند علي عليه السلام ٥٢
- ٩ - الصبر والثبات ٥٢
- أثر البصيرة والصبر في المجتمعات ٥٣
- ١٠ و ١١ - الصراحة والصدق عند علي عليه السلام ٥٦
- قيمة الإنسانيّة عند علي ٥٧
- ١٢ - الصرامة والتصلب عند علي عليه السلام ٥٨
- ١٣ - تعبئة الطاقات في سبيل الحق ٥٩
- علينا السير باتجاه هذه القمة السامقة ٦٠
- أمير المؤمنين قدوة الثورة الإسلامية ٦٠
- السيرة العلوية درس نخالد لنا ٦٢

- ٦٣ تعاليم علي دستورنا
- ٦٥ ١٤ - تقوى أمير المؤمنين عليه السلام
- ٦٥ مفهوم التقوى
- ٦٩ ١٥ - علي عليه السلام أكثر الناس أعداء ومحبين
- ٧١ شباب أمير المؤمنين عليه السلام قدوة
- ٧٥ ١٦ - تواضع علي الحاكم المقتدر
- ٧٦ عظمة الإمام الخميني لتحليه بتواضع علي
- ٧٧ إتباع علي بالعمل
- ٧٩ ١٧ - عدالة أمير المؤمنين عليه السلام
- ٨٠ نموذج من عدل علي
- ٨٢ مظهر آخر للعدل عند علي
- ٨٣ ١٨ - زهد علي عليه السلام
- ٨٥ نماذج من زهد علي عليه السلام

عجائب شخصية أمير المؤمنين عليه السلام

- ٨٨ أمير المؤمنين شخصية متوازنة وصفات متضادة
- ٨٨ ١ - الرأفة والصلابة:
- ٩١ ٢ - ورع وحكومة أمير المؤمنين عليه السلام
- ٩٤ ٣ - قوّة أمير المؤمنين ومظلوميته
- ٩٥ ٤ - إستغفار علي بن أبي طالب وحاكميته

غدير خم وتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام

- ٩٩ أهمية الغدير في إدارة المجتمع
- ٩٩ لماذا علي؟
- ١٠٠ التنصيب على أساس الكفاءة
- ١٠١ أثر أبعاد الغدير على حكومات الأمة الإسلامية

١٠٢	نماذج تاريخية:	١٠٢
١٠٢	نموذج آخر:	١٠٢
١٠٥	تحريف المبادئ الإسلامية	١٠٥
١٠٦	التمسك بالغدير هو تمسك بالمبادئ الإسلامية	١٠٦
١٠٧	نجاح الحكومة الإسلامية يؤكد صحة المبادئ الإسلامية	١٠٧
١٠٨	ضرورة الغدير والحاجة إليه الآن	١٠٨
١٠٩	استمرار الحاجة إلى الغدير	١٠٩
١١٢	حادثة الغدير من المسلمات	١١٢
١١٣	قصة الغدير	١١٣
١١٤	ما معنى الولاية والحاكمة؟	١١٤
١١٤	حقيقة معنى الولاية	١١٤
١١٧	المفهوم الكلي للولاية	١١٧
١١٩	الفرق بين الولاية والإنقلاب	١١٩
١٢٠	تحريف معنى الولاية	١٢٠

أبعاد غدير خم

١٢١	١- الولاية:	١٢١
١٢٢	جوهر الولاية والحكومة	١٢٢
١٢٤	أصل قضية الغدير	١٢٤
١٢٦	٢- إدارة شؤون الناس أمر إلهي:	١٢٦
١٢٦	رسالة الغدير حاكمية الإسلام في المجتمعات	١٢٦
١٢٨	٤- الغدير إمتداد لخط الرسائل الإلهية:	١٢٨
١٢٩	مغزى واقعة الغدير: بقاء حجة الله	١٢٩
١٣٠	عهد صاحب الأمر (عج) هو منطلق السعادة البشرية	١٣٠
١٣١	جوهر التنصيب في الغدير	١٣١
١٣٥	تنصيب الغدير حصيلة خصال وفضائل	١٣٥

- الولاية في الغدير ولاية إلهية ١٣٥
- عدم نسيان رسالة الغدير ١٣٦
- ٥ - الغدير روح الوحدة: ١٣٧
- الولاية توحد القلوب وهي من مستلزمات الحكومة الإلهية ١٣٨
- أمير المؤمنين نقطة إلتقاء المسلمين ١٣٨
- الإعتقاد بالغدير ليس سبباً للتفرقة ١٣٩
- دعوة للإهتمام بيوم الغدير ومضامينه ١٤٠
- محاولات الأعداء لتفرقة السنة والشيعة ١٤١
- معنى الوحدة ١٤٢

حروب أمير المؤمنين عليه السلام

- آلام أمير المؤمنين عليه السلام ١٤٣
- من دافع عن علي ؟ ١٤٤
- أعداء أمير المؤمنين عليه السلام ١٤٦
- القاسطون ١٤٧
- إلتفاف القاسطين حول معاوية ١٤٩
- الناكثون ١٥١
- المارقون ١٥٣
- معنى الخارجي ١٥٤
- التعريف الصحيح بالمنافقين ١٥٤
- حقيقة الخوارج المارقين أنهم ليسوا متمسكين ١٥٥
- نموذج المارقين في زماننا ١٥٧
- حرب صفين ١٥٨
- رأي الإسلام في العنف ١٥٨
- العنف القانوني وغير القانوني ١٥٩
- العنف القانوني المشرّع ١٦١

١٦٢ الخواص في جبهة علي ومعاوية
١٦٢ خواص أنصار الحق
١٦٣ مصير العوام
١٦٤ الخواص
١٦٥ أقسام أنصار الحق
١٦٧ الفرق بين عهد حكومة علي وحكومة رسول الله
١٧٠ التاريخ يعيد نفسه

معالم الحكومة العلوية

١٧٣ كيف بدأ الإنحراف
١٧٤ الإنجاز العظيم الذي قام به أمير المؤمنين
١٧٦ درس من إنجاز علي عليه السلام
١٧٦ سياسة علي في بداية حكومته
١٧٩ نماذج من سياسة علي في الحدّ
١٨١ خصائص الحكم في المجتمع الإسلامي
١٨٣ الفرق بين الإمامة والسلطة
١٨٥ إقتفاء خط علي وحكومته
١٨٦ الولاية تعني تدخل الدين في السياسة
١٨٦ نموذج تاريخي لعزل الدين عن المجتمع:
١٨٧ نموذج تاريخي لحاكمية الدين
١٨٨ الغدير يلغي فصل الدين عن السياسة:
١٩٠ مفهوم حاكمية الشعب في ظل الدين
١٩٠ وجهان لحاكمية الشعب
١٩٤ الإمام الخميني وإقامة الحكومة على أساس الدين
١٩٤ الدين يرشد الحياة
١٩٥ آفتان تهددان الدين

- ١٩٥ خطران يهددان السياسة
 ١٩٧ سمات الحاكم
 ١٩٧ الإمام المعصوم الحاكم الحقيقي

الحكومة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

- ١٩٩ الفهم الصحيح للحكومة والهدف من تسلّم المناصب فيها
 ٢٠٣ الإخلاص لله عند ذوي المناصب الحكومية
 ٢٠٤ سمات المصداق الحقيقي للولاية
 ٢٠٥ الحكومة في الإسلام حكومة ولائية
 ٢٠٦ النظام الإسلامي يلبي حاجة الشعوب
 ٢٠٨ أمير المؤمنين عليه السلام والحكم
 ٢٠٩ أمير المؤمنين عليه السلام خير أسوة للبشرية
 ٢١١ خصائص ومعالم الأنموذج العلوي في الحكم
 ٢١٢ ١ - الإصرار على إقامة دين الله
 ٢١٤ ٢ - العدالة المطلقة
 ٢١٥ ٣ - التقوى
 ٢١٥ ٤ - الإنبثاق عن إرادة الأمة
 ٢١٧ وجوب الإلتزام بالحكومة العلوية
 ٢١٩ المنهج السليم في الحكومة
 ٢٢١ الإحتجاب عن الرعية في غاية الخطورة
 ٢٢٣ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم
 ٢٢٦ نماذج من سيرة أمير المؤمنين في الحكم
 ٢٢٦ سيرة علي في بيت المال
 ٢٢٩ نموذج من سيرة علي في المال
 ٢٣٠ مكافحة الفساد الاقتصادي من أولويات سياسة أمير المؤمنين
 ٢٣٢ دفاع علي عليه السلام عن المظلوم

- ٢٣٤ إننا مكلفون باقتضاء سيرة أمير المؤمنين
 ٢٣٦ علي عليه السلام ونهج البلاغة
 ٢٣٦ الأسلوب الفني في نهج البلاغة
 ٢٣٧ التقوى في نهج البلاغة

العدالة جوهره الحكم العلوي

- ٢٣٩ مقارنة جورج جرداق
 ٢٤٠ العدالة عند أمير المؤمنين عليه السلام
 ٢٤١ تجسيد العدالة عملياً
 ٢٤٢ عدالة علي درس لكافة المسلمين
 ٢٤٢ علي عليه السلام مظهر العدل الإلهي
 ٢٤٣ البعد الفردي لعدالة أمير المؤمنين عليه السلام
 ٢٤٤ البعد الاجتماعي لعدالة أمير المؤمنين عليه السلام
 ٢٤٥ تكليفنا تطبيق العدالة في المجتمع

الوصية العلوية الخالدة

- ٢٤٧ وصايا أمير المؤمنين عليه السلام
 ٢٤٩ ١- التوصية بالتقوى
 ٢٥١ ٢- عدم اتباع الدنيا
 ٢٥٣ ٣- عدم التأسف على فوات الدنيا
 ٢٥٣ ٤- إظهار الحق
 ٢٥٤ ٥- توبة القريب
 ٢٥٥ ٦- مخالفة الظالم
 ٢٥٦ ٧- إغاثة المظلوم
 ٢٥٧ ٨- نظم الأمر
 ٢٥٩ ٩- العلاقة بين النظم والتقوى

- ٢٥٩ النظم الإجماعى
- ٢٥٩ التناسق بين النظم السلوكى والفكرى
- ٢٦١ ٩ - صلاح ذات البىن:
- ٢٦٣ ١٠ - الوصىة بالأىتام:
- ٢٦٤ ١١ - الوصىة بالجىران:
- ٢٦٥ ١٢ - الوصىة بالقرآن الكرىم:
- ٢٦٧ ١٣ - ١٤ - الوصىة بالصلاة وبنى الله:
- ٢٦٩ ١٥ - الوصىة بالجهاد:
- ٢٧٢ ثقافة المقاومة والجهد عند على عليه السلام
- ٢٧٣ الجهد الفكرى
- ٢٧٤ ١٦ - الوصىة بالتواصل:
- ٢٧٧ ١٧ - الوصىة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:
- ٢٧٩ ثمار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
- ٢٨١ دوائر الأمر بالمعروف
- ٢٨١ دوائر النهى عن المنكر
- ٢٨٢ المنكرات الأسرىة
- ٢٨٢ المنكرات الإجماعىة
- ٢٨٤ ١٨ - الحذر من الإنتقام:

وصايا على عليه السلام للحكام والحكومات

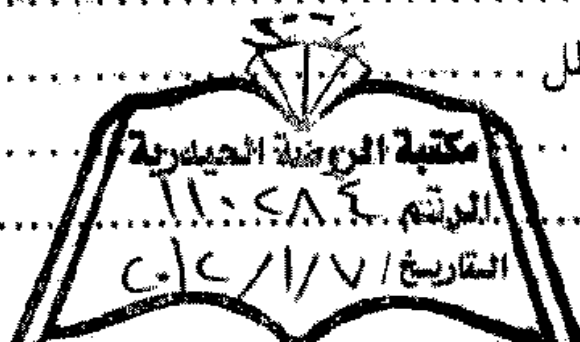
- ٢٨٥ وظىفة الولاة فى كلام أمىر المؤمنىن عليه السلام
- ٢٨٧ الصىانة عن الإنحراف
- ٢٨٧ وسائل الاجتناب والتوقى من الإنحراف
- ٢٩٠ شرح رسالة أمىر المؤمنىن لملك الأشتر

شهادة أمير المؤمنين علي عليه السلام

- ٣٠٢ حقيقة استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٠٤ ذكر المصيبة
- ٣٠٧ علي عليه السلام يتأوه
- ٣٠٧ شيعة علي تودع أميرها
- ٣٠٩ وضع الكوفة يوم الشهادة
- ٣١١ الله ولي دم أمير المؤمنين عليه السلام

مواظب أمير المؤمنين عليه السلام

- ٣١٣ موعظة في أثر التقوى
- ٣١٥ موعظة في مكارم الأخلاق
- ٣١٦ موعظة في تهذيب النفس
- ٣٢٠ موعظة في هوى النفس
- ٣٢٢ موعظة في حقيقة الإيمان
- ٣٢٥ موعظة في الزهد
- ٣٢٧ موعظة في حسن العاقبة وسورها
- ٣٢٨ موعظة في الفتنة والغرور
- ٣٣٠ موعظة في الدين والشرع
- ٣٣٢ موعظة في الخير والشر
- ٣٣٤ موعظة في اليقين
- ٣٣٦ موعظة في العجب
- ٣٣٨ موعظة في أداء الأمانة
- ٣٣٩ موعظة في الصداقة
- ٣٤٠ موعظة في الحق والباطل
- ٣٤١ موعظة في التوحيد
- ٣٤٣ فهرس الموضوعات



دارتة

THE ARABIC HISTORY
PUBLISHING & DISTRIBUTING

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف ٥٤٠٠٠٠ - ٥٤٤٤٤٠ - فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص.ب. ٧٩٥٧/١١
Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel: 540000 - 544440 Fax: 850717 p.o. box 7957/11
E-mail: darcta@cyberia.net.lb